١٠٠

المملكة الأردنية الهاشمية
جمعية المحافظة على القرآن الكريم

النهضة
في القرآن الكريم
بناؤها ومقوماتها
من خلال سورة الكهف

إعداد: علي محمد أسمر

النهضة
في القرآن الكريم

بناؤها ومقوماتها من خلال سورة الكهف

النهضة
في القرآن الكريم

بناؤها ومقوماتها من خلال سورة الكهف

إعداد

علي محمد أسمر

جمعية المحافظة على القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى... أمي وأبي من ربياني صغيراً
وإلى... رفيقة روحي من وقفت معي دائماً
وإلى... مارية وسيرين وملك وجواد فلذات الكبد

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم أ. د. سليمان الدقور

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد...

فلا نزال نرقب في زمن الضعف الذي تعيشه الأمة بوارق الأمل نحو صناعة الوعي، ونحو بناء الإرادات الدافعة لإعادة الدور الحضاري الريادي للأمة الإسلامية...

ولئن كانت أمتنا قد مرت وتمر بأزمات كثيرة؛ فإن ذلك كله ملهم بجهود العلماء والباحثين للوقوف على أسباب ضعفنا وتراجعنا، وإعادة النظر في عوامل نهوضنا واستعادة شهودنا الحضاري...

وفي الوقت الذي تتعدد فيه هذه الجهود، وتتنوع مشاريعها، يبقى نبعها الصافي، ذلك الكتاب العظيم، كلام رب العالمين، الذي يؤكد لنا كل مرة دورنا الذي يجب أن نفهمه ونعيه لنؤديه، حيث يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ولو أنني أردت البسط في الحديث عن النهوض في القرآن الكريم؛ مبيناً مفهومه، وأسبابه، ودواعيه، ومظاهره، وتجلياته، وتحدياته؛ فإن ذلك يحتاج إلى مؤلف خاص، لكن بين يدينا كتاباً أراد صاحبه أن يرمي بسهمه ليسد ثغرة من ثغرات بناء جيل المستقبل، وإعداده ليأخذ طريقه إلى النهوض.

ولن أكتب شيئا في هذه العجالة عن الكتاب؛ الذي كان في أصله رسالة علمية، نال بها صاحبها درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من الجامعة الأردنية، وسأترك لك أخي القارئ أن تبصر بنفسك هذا الهم الكبير، الذي تحمله الكاتب، وتلك الهمة العالية التي تحرك عقله ووجدانه، ويسيل بها قلمه، فسطر بها صفحات كتابه.

لكنني أود لك أن تدرك أن كاتب هذا السفر المبارك هو أحد من نعول عليهم في مسيرة بناء أجيالنا، وإعدادهم نحو النهوض.

لقد عرفت الأخ علي أسمر مذ كان طالباً في مرحلة البكالوريوس، وها أنا لا زلت على علاقة به وهو على أعتاب مرحلة الدكتوراه ويعد لها أطروحتها لنيل الدرجة.

ومنذ رأيته رأيت همته العالية، وفطنته الحاضرة، وشغفه الدؤوب بالقراءة والعلم والتعلم والكتابة، وهو نموذج صادق لأبنائنا وإخواننا من طلبة العلم الشرعي، الذين يرتادون كليات الشريعة وهمهم نشر العلم، وصناعة جيل واعٍ يحمل هم الإسلام، ويسعى لخدمة كتاب الله.

وقد أحسن الظن بي إذ طلب مني تقديم كتابه هذا، فأنا لا أرى نفسي أهلاً لذلك؛ إلا بمقدار شعوري بحاجتي لقراءة هذا الكتاب، والإفادة منه، لعل الله تعالى يكتب على أيدينا جميعاً خدمة هذا الدين، ونصرة أهله.

وأشكر الأخ علي أسمر على هذا الجهد المبارك، سائلاً المولى أن يكتب له القبول في الدارين، وأن يجعله غرساً طيباً، يؤتي ثماره بين شبابنا وأجيال نهضتنا.

وأشكر جمعية المحافظة على القرآن الكريم على عنايتها الرائعة بهذه الدراسات القرآنية، التي تخدم قرآننا، وتنشر الثقافة القرآنية لحماية أجيالنا، وبناء صرحهم الروحي والحضاري.

وأتركك أيها القارئ الكريم لتنعم بقراءة هذا الكتاب، ولكن تأنى، ولا تتعجل، وامكث عند كل قضية لا تتجاوزها إلى غيرها إلا وقد تشبع بها قلبك، وتفاعلت معها نفسك، فإنك ستجد ما يشبع عقلك ويلهب عزيمتك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ. د. سليمان الدقور
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
في الجامعة الأردنية
١٥ / رمضان المبارك / ١٤٣٨هـ
الموافق ٨/ ٦/ ٢٠١٧م

مقدمة

بسم الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، والحمد لله رب العالمين، أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه، وأعوذ بالله من شرور نفسي ومن سيئات أعمالي، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، حبيبنا وقدوتنا، ورسولنا وسيدنا، وباعث نهضتنا، المحمود المصطفى عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، وبعد...

فهذه الصفحات المتواضعة تتألق بنور القرآن الكريم، وتستمد نورها من نوره التام العظيم، مستنبطة مستخرجة بجهد البحث وحرص طالب العلم على استخلاص ألطف معاني كلام الله وأحسن تفاسيره، والاستناد إلى تدبر آياته وتحليلها، والوقوف على تأويله وهداياته، حاولت فيها قدر الإمكان مقاربة روح القرآن ومقاصده في إقامة نهضة الأمة وتشكيلها، وأسأل الله أن يجعلها متقبلة مخلصة، وأن يبارك في شجرتها وثمرتها، وأن يجعلها سبحانه جذوة وقبساً تستنير بها الأمة في طريقها لتحقيق نهضتها.

ولقد حاولت في هذا الكتاب - بكل جد وهمّ - تحصيل مقومات النهضة وإظهارها بأفضل ما يمكن، قاصداً بيان صورة النهضة القرآنية متكاملةً متوازنةً، تتناسق جزئياتها متتابعة ومترابطة، دون تكرار ولا تداخل، وبلا حشو ولا تكلف، فجاءت بفضل الله ومنته على خير ما أرجو وآمل؛ لا أزعم كمالاً ولا إحاطة؛ وإنما هو جهد وتحصيل وبحث، وبضاعة أرجو أن لا تكون مزجاة.

وقد كان لتتلمذي على يدي أستاذ الجيل شيخنا الدكتور أحمد نوفل حفظه الله الدور الأكبر في لفت نظري لأهمية استلهام آيات القرآن الكريم لحل مشكلات المجتمع وبناء نهضته، وقد أكرمني الله سبحانه بأن كان مشرفي على

رسالة الماجستير التي كانت أصل هذا الكتاب ومعدنه، وكانت بعنوان "مقومات النهضة في القرآن الكريم - سورة الكهف أنموذجاً" وقد نوقشت في الجامعة الأردنية وأجيزت بفضل الله.

ومنّ الله علينا في هذا البلد الطيب بجمعية المحافظة على القرآن الكريم، الرائدة في كل ما له علاقة بخدمة كتاب الله عز وجل، وتكرمت جمعية المحافظة ممثلة بأمينها العام أخي العزيز وأستاذي الغالي الدكتور سليمان الدقور، وتفضلوا بالموافقة على نشر هذه الرسالة - الكتاب الذي بين أيديكم، وأسأل الله سبحانه أن يكون ذلك في ميزان حسناتهم أجمعين، وأن يجزل سبحانه لهم الأجر والثواب على حسن خدمتهم لكتابه، وعلى عنايتهم بالمحافظة عليه بما مكّنهم الله، وأعانهم على ذلك أهل الخير.

وأحمد الله سبحانه أن وفقني لاختيار هذا الموضوع، وأن ألهمني السداد والتوفيق في استجلاء مكنوناته واستخراج جزئياته، وأشكر كل من له سهم قل أو جل في معونتي، وأسأل الله أن يكون هذا الجهد فاتحة نهضة أمة الإسلام، وأن يجعله سبحانه في ميزان حسنات كاتبه وكل قارئ له؛ والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

النهضة ومقوماتها في القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كلمة الله ورسالته إلى خلقه كي يعرفوه ويعبدوه، ولذا فقد احتوى هذا الكتاب العظيم على كل ما يهم الإنسان من موضوعات، ومن أهم موضوعاته ما تعلق بحياة هذا الإنسان وسلوكه في التعامل مع مكونات الأرض التي يعيش عليها، ومع البشر الذين يحيون معه على هذه الأرض.

وموضوع النهضة هو من الموضوعات الضرورية للإنسان؛ كونه يختص بالجانب العملي من حياته، فهو متعلق بحركة هذا الإنسان وتفاعله مع المجتمع الذي يعيش فيه ومعطياته ومتطلباته، وجاء هذا الكتاب لمحاولة توضيح هذا المفهوم قرآنيا، وللكشف عن الرؤية القرآنية لهذا الموضوع المهم والضروري للناس في هذا العصر.

ومن هذا المنطلق سيتناول هذا الفصل بإذن الله وأمره المفاهيم الأساسية التي سيبنى عليها الكتاب وهي التعريف بسورة الكهف، ومفهوم المقومات، ومفهوم النهضة، ومن ثم الحديث عن علاقة النهضة بآيات القرآن الكريم، وكيفية تناول القرآن الكريم للنهضة عموماً، ومنهجية سورة الكهف في ذلك خصوصاً، مع التعريج في ثنايا ذلك على الألفاظ التي تحدث القرآن من خلالها عن النهضة، وتبيين شخصية سورة الكهف وتميزها من هذه الناحية.

المبحث الأول: المفاهيم الواردة في عنوان الرسالة

موضوع هذا الكتاب الرئيس "النهضة"، وهو في الأصل رسالة ماجستير بعنوان "مفهوم النهضة ومقوماتها في القرآن الكريم من خلال سورة الكهف"، وهو عنوان يحتوي على ثلاثة مفاهيم ينبغي توضيحها وتعريفها؛ لدوران قضايا هذه الرسالة في فلكها وترابطها معاً فيها؛ وتلك المفاهيم الثلاثة هي: مفهوم النهضة، ومفهوم المقومات، والتعريف بسورة الكهف، وفيما يأتي التعريف بهذه المفاهيم...

المطلب الأول: مفهوم النهضة

النهضة (Renaissance) مصطلح عصري يكثر تناوله والحديث عنه هذه الأيام، وقد تشكل هذا المصطلح وتبلور مفهومه في هذا الزمن المتأخر من تاريخ الإنسانية والبشر، وهو مصطلح متداول في أوساط مختلفة؛ اجتماعية وسياسية ودينية واقتصادية وأدبية، ينظر له في كل وسط منها برؤية مختلفة ومتميزة، ولشيوع المصطلح وكثرة تداوله فإنك تجد له تعريفات كثيرة متنوعة متآلفة، إلا أنها قد توحي بالتنافر، ولذلك يجب توخي الدقة والحذر في تناول هذا المصطلح لئلا تختلط الأفهام وتتداخل حول مفهومه ومعناه.

وابتداءً ينبغي الرجوع إلى معنى النهضة لغة؛ للنظر في أصلها الذي وضعت له، وفي استعمالاتها ودلالاتها، وأصل النهضة هو الجذر الثلاثي "نَهَضَ"؛ فالنون والهاء والضاد "أصل يدل على حركة في علو" كما قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة(١)، ويقول ابن منظور في لسان العرب "النهضة: الطاقة والقوة."(٢)

---

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، (المحقق: عبد السلام محمد هارون)، د.ط، ١٩٧٩م، دار الفكر، بيروت، (٢/ ٢٨٨)، باب (النون والهاء وما يثلثهما).

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت / ط٣- ١٤١٤ هـ، (٣/ ٢٤٦)، مادة (نهض).

وورد للجذر "نهض" في معاجم اللغة(١) عدة معان واستخدامات؛ فيقال نهض النبات إذا استوى، ونهض الطائر إذا فرد جناحيه واستعد للطيران، ونواهض الطريق: أي صعداته العالية منه، والمكان الناهض: المرتفع، وأَنْهُضُ البعير: ما بين كتفه إلى منكبه، وتناهض القوم: تداعوا للحرب وقاموا إليها، واستنهضه: دعاه للنهوض والقيام، وناهِضَةُ الرجل: جماعته الذين يدافعون عنه ويقومون معه ليسندوه، وناهَضَ: قاوم.

ويمكن جمع هذه الاستعمالات بالقول بأن النهوض هو البراح من الموضع والقيام عنه، وهو قيام يقظ نشيط؛(٢) وانظر إلى ارتباطه بطيران الطائر وبالمرتفع من الأرض، وهذا يدلنا على أن استعمال النهضة في اللغة يدور حول **معاني القوة والطاقة والارتفاع إلى أعلى بعد التغلب على الموانع التي تعيق هذا الصعود والارتقاء**(٣). وخلاصة القول أن النهضة في معناها اللغوي تدل على الطاقة، والقوة، والوثبة في سبيل التقدم، والتحرك من المقام الحالي إلى مقام آخر

---

(١) ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، (٢/ ٢٨٨) باب (النون والهاء وما يثلثهما)، وابن منظور، لسان العرب، (٣/ ٢٤٥-٢٤٧)، مادة (نهض)، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، (٢/ ٩٥٨،٩٥٩)، مادة (نهض)، والجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار)، ط٤، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت، (٣/ ١١١٢،١١١١)، مادة (نهض)، والفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط (تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة: بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي)،ط٨، ٢٠٠٥م،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (٦٥٦،٦٥٧) مادة (نهض)، والزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، (تحقيق: محمد باسل عيون السود)، ط١، ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢/ ٣١٣).

(٢) المعجم الوسيط، (٢/ ٩٥٨،٩٥٩)، مادة (نهض).

(٣) مجموعة من الباحثين، القرآن الكريم ومقومات النهضة، أبحاث المؤتمر القرآني الثالث لجمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط١، عام ١٤٣٣هـ _ ٢٠١٢م، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان _ الأردن، (٤٣٣).

أفضل(١)، وهذا يتحقق في المجالات كافة التي يمكن النهوض بها من سياسةٍ، واجتماعٍ، واقتصادٍ، وأمنٍ، وتربيةٍ، وتعليمٍ، وصحةٍ... إلخ.

وهذا المعنى الأخير قريب جداً من معنى النهضة في الاصطلاح، وإن كان معناها عند معظم من عرّفها مستمداً من نظرة الغرب - الأوروبي تحديداً- لها، إذ إن استخدامها مصطلحاً دالاً على حركة تجديدية للمجتمع في مجالاته كافة، بدأ مع بداية القرن الرابع عشر الميلادي، واستمر إلى غاية القرن السابع عشر للميلاد، وهي الفترة التي تدعى في أوروبا خاصةً فترة النهضة أو عصر النهضة، وهو العصر الذي يعد عندهم جسر العبور بين العصور الوسطى والعصر الحديث.

والنهضة بوصفها مفهوماً عاماً متداولة على ألسنة كثير من المتخصصين وأقلامهم في أوساط مختلفة من مجالات الحياة، ولكل استخدام عند أهله مقصود مختلف عن الآخرين؛ فمقصودها عند المفكرين مثلاً تغيير في المبادئ العامة التي تحكم تصورات الناس، وتبدل في النظريات الأساسية التي يستندون إليها في ممارسة وجودهم، وإذا أطلقها السياسيون فيعنون بها تقدم نظريات الحكم ومناهج سياسة الناس وعلاقات الدول وتطور ذلك، ويقصد بها عند أهل الاقتصاد النماء والثراء وزيادة الدخل عند أفراد المجتمع، وتمتعهم بالرفاهية الاقتصادية، كما ويقصد بها عند الأدباء تطور وسائل التعبير عن الحياة ومناهجها من رسم وأدب وفن وما أشبه، بينما هي عند أهل الاجتماع تعني تطور نظام المجتمع وقوانينه وظواهره الحياتية، والمبادئ التي تنسق العلاقات بين أفراده، وأما في الشريعة فيقصد بالنهضة عند منظري الفكر الإسلامي تقدم الدولة (أو الدول) الإسلامية في مجالات الحياة المختلفة لسعادة المجتمع في مجالاته

---

(١) المعجم الوسيط (٢/ ٩٥٩،٩٥٨)، مادة (نهض).

المختلفة، وذلك بحسب التحول من الجاهلية والظلم والفساد والتخلف إلى الدين والنور والعدل والإصلاح(١).

واختلاف زوايا النظر ووجهاته في التعريفات السابقة تبع لنظرة كل متخصص إلى الجانب الذي يعنيه من النهضة، وهي في معظمها وجهات نظر صحيحة ودقيقة لا تعارض ولا تضاد بينها، إلا أن الإشكالية الواقعة عند الجميع هي في رؤية كل منهم إلى أولوية المجال الذي يتبناه على غيره، وادعاء كل فريق أن النهضة المتحققة في مجاله هي الأجدر بالاهتمام والباقي تبع لها، فالسياسيون تهمهم النهضة السياسية، والاقتصاديون تشغلهم النهضة الاقتصادية، والمفكرون يؤكدون على أولوية النهضة الفكرية، وهكذا.

والمدقق في حقيقة هذا النزاع يجد أن جوابه سهل يسير، لكنه في التطبيق صعب وشاق، ويحتاج إلى جهود وتشارك وتفاهم وتكامل؛ ذلك أن الحل هو في تكامل كل هذه المجالات في النهضة واعتماد كل منها على الآخر، فلا يمكن تحقيق نهضة سياسية دون وجود نهضة اجتماعية واقتصادية تسندها، كذلك لا يمكن تحقيق نهضة أدبية إذا لم تؤيد بنهضة اجتماعية وتوازيها نهضة فكرية، وقل مثل هذا في مجالات النهضة كلها، فالصحيح هو أن النهضة تطور وتقدم مجالات الحياة الإنسانية كلها.

وعند النظر في بعض التعريفات للنهضة التي استعملها أول واضعيها – المفكرون الأوروبيون– ستجد هذه النظرة الكلية عندهم أيضاً، فمعظم

---

(١) ينظر يحيى، جلال، أوروبا في العصور الحديثة، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب العربي – فرع الإسكندرية، ط١ – ١٩٨١م، الفصل العاشر(٢٥٩–٢٢٦٣)، ونعيم، بلال، الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد _ قراءة في فكر النهضة، نشر دار الهادي، بيروت – لبنان، ط١ – ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الفصل الأول (٧–٢٧)، وصالح، حافظ، النهضة، نشر دار الينابيع ، عمان – الأردن، ط ٣ _ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م، مقدمة الكتاب.

تعريفاتهم يدور مفهومها ومعناها حول "تفتح عجيب للحياة بأشكالها المختلفة"(١)، أو "تدفق من الحيوية أثار البشرية الأوروبية فتبدلت على أثره حضارة أوروبا بكاملها"(٢).

كما أن التنازع على المجال الأَوْلَى من مجالات النهضة موجود عندهم أيضاً؛ فيميل بعضهم إلى اعتبارها قطيعة كاملة مع التراث، والاحتكام إلى مبادئ ونظريات حديثة، وهذه المبادئ تختلف باختلاف البيئات؛ فبعضهم دعا إلى الشيوعية وبعضهم دعا إلى الرأسمالية، ويميل بعضهم إلى اعتبار النهضة نزوة حياتية في أعمال الفكر(٣)؛ وذلك مبني على أنها نشأت في أحضان الفن والأدب الأوروبي -الإيطالي خصوصاً- وذلك بعد الهزة المفاجئة لقيم أوروبا العصور الوسطى بعد سقوط القسطنطينية بأيدي المسلمين سنة ١٤٥٣م، الأمر الذي فاجأ الواقع المظلم لأوروبا في تلك الأزمنة، فحمل كثيراً من الأدباء والفنانين والمفكرين على حمل راية النهضة والتجديد لقيم أوروبا ومبادئها، مما نتج عنه بدايات ما سمي بعصر النهضة.(٤)

وهذا الميل يجعل مفهوم النهضة مفهوماً مرتبطاً بالتاريخ، مما يكسبه بعداً تاريخياً ثابتاً مصبوغاً بالصبغة الأوروبية للنهضة؛ ذلك أنه نشأ فيها، وتشكل في عصر من عصورها، وهذا أمر لا يمكن الاستناد إليه بالكلية؛ فقد شهدت الأرض كثيراً من حركات التجديد والتطوير لأمم شتى، وحتى لو لم تسمَّ أي منها بمسمّى

---

(١) حاطوم، نور الدين، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر الحديث، بيروت _ لبنان، ١٣٨٧هـ _ ١٩٦٨م، مقدمة الكتاب.

(٢) حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، مقدمة الكتاب.

(٣) سلطان، جاسم، النهضة ... من الصحوة إلى اليقظة، سلسلة أدوات القادة _ المشروع الإسلامي لنهضة الأمة، (١٦).

(٤) موسى، سلامة، ما هي النهضة؟، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة _ مصر، ١٩٩٣م، (٩).

النهضة إلا أنه يمكن اعتبارها كذلك؛ لأنها تشكل حقيقة النهضة في أحداثها وأحوالها، ومن هنا يمكن القول إن هناك نهضات شتى في جميع أنحاء هذه الأرض، وفي عصور مختلفة كذلك، بل عند أمم أخرى كثيرة غير الشعوب الأوروبية، وإلا فماذا نقول مثلاً عن انطلاقة تركيا الحديثة؟ وماذا نسمّي نهوض اليابان؟ وماذا نقول عن تطور إندونيسيا؟ وقبل كل هذا بماذا نصف انطلاقة الإسلام الأولى في عصر النبي ﷺ، وعصر من بعده من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم؟

والجدير بالذكر هنا أن نهضة أوروبا الحديثة قامت في أصولها على تراث المسلمين العرب العلمي الذي كان له الفضل الأول والأكبر على قيام أوروبا بنهضتها الحديثة؛ فقد تشكلت المراحل الأولى من النهضة الأوروبية حين التفت علماء أوروبا إلى علوم الشرق الإسلامي المتقدمة عنهم بمراحل - في العصور الوسطى - وانطلق بعدها علماء الغرب ينهلون ويأخذون من هذه العلوم، وظهرت هذه الحركة أول ما ظهرت في مراكز التبادل الثقافي بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي،(١) والتي تمثلت بالقسطنطينية في شرق أوروبا، وفي مدن الأندلس؛ كغرناطة وقرطبة وإشبيلية في غربها، هذه المدن التي كان يؤمها طلاب العلم من أوروبا؛ لينهلوا من فكر علمائها المسلمين ومنهجيتهم وعلومهم(٢).

وفضل المسلمين على أوروبا في النهضة لا ينكر ولا يغفل، يعترف بذلك المنصفون من علمائهم ومفكريهم، وارجع إلى كتاب المستشرقة الألمانية زيجريد

---

(١) الجمل، شوقي عطا الله، وإبراهيم، عبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، نشر المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة - مصر، ط ١ - ٢٠٠٠م، (٧).

(٢) سلامة، ما هي النهضة؟، (٨٤).

هونكه (شمس العرب تسطع على الغرب)،(١) تجد مصداق هذا وأمثلة كثيرة عليه، فالعرب المسلمون هم أصل النزعة العلمية، وصناع المنهجية والمنطق في الفلسفة والفكر وعلوم النفس والاجتماع والتربية، ونبع من بطون كتب علمائهم علم التجريب الحديث لعلوم الفلك والملاحة والأحياء والكيمياء والطب والرياضيات والفيزياء(٢).

إلا أن التغني بهذه الأمجاد، واجترار التفاخر بها - ولشدة الأسف- ما عاد يجدي نفعا في عصر بلغ فيه الغرب سبل التقدم والحضارة العلمية التي قامت على ميراث الإنسانية التاريخي وإسهامات شتى الأقوام والأمم فيه، ومن أبرزهم أثراً وأكثرهم فضلاً واضحاً كان المسلمون بلا ريب، إلا أن المسلمين في آخر عصورهم دخلوا في عصر الانحطاط والتخلف،(٣) الأمر الدافع لأمتنا أن تجلو مقومات نهضتها وتتبينها وتتبناها لتكون طريقاً لنهضتها القادمة بإذن الله.

والبحث عن مقومات هذه النهضة التي تحتاجها الأمة الإسلامية في هذا العصر أضحى ضرورة ملحة، وحاجة أساسية من أهم واجبات العلماء الأمة ومفكريها في مجالات العلوم كلها، ولقد ظهر من بين المسلمين والعرب مفكرون ومنظرون وعلماء بحثوا في موضوع النهضة الإسلامية -العربية عند بعضهم- ولهؤلاء الباحثين اتجاهات متعددة في منهج هذه النهضة ومقوماتها.

---

(١) هونكه زيجريد، شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوروبا)، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل – بيروت ودار الآفاق الجديدة – بيروت، ط ٨، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

(٢) ينظر الندوي، أبو الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين (ت: ١٤٢٠هـ)، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، نشر: دار القلم، الكويت، ط٩، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، (٢٧٧) وما بعدها إلى نهاية الكتاب، وسلامة، ما هي النهضة؟، (٢٣).

(٣) ينظر الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، (١٧٣ – ٣١٧)، البابين الرابع والخامس.

والناظر المدقق في هذه الاتجاهات يجد أنه يمكن حصرها في أربعة اتجاهات رئيسة بالشكل الآتي:

١. **اتجاه الطرح التغريبي للنهضة**، وهو الذي دعا إلى اتخاذ النهضة الأوروبية مثالاً يحتذى، واتجه دعاته إلى التمثل الكامل بأنموذج الغرب في النهضة، من هؤلاء مثلاً طه حسين، وقاسم أمين، وغيرهما،(١) وتأثر بهم جمع كبير ممن سمِّي تيارهم بعد ذلك بالحداثيين، وهو اتجاه مرفوض بالكلية؛ ذلك أن النهضات تختلف مبادئها باختلاف بيئاتها، ولا يمكن لنهضة أن تستلهم في بيئة أخرى وتنجح كما هي في بيئتها.

٢. **اتجاه قومي عربي إقليمي للنهضة**، وقامت دعوة من تبناه على أساس العرق، أو اللغة، أو الجغرافيا، وطالبوا أن يكون لكل بلد عربي خصوصيته ونهضته؛ بناءً على التقسيم الجغرافي أو العرقي، كالتيار الناصري في القرن المنصرم، وبعض حركات التحرر والأحزاب السياسية (الأحزاب الاشتراكية مثلاً) التي تأسست في بلاد العرب أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م-١٩٤٥م) وبعيدها، وقد يدخل ضمن هؤلاء بعض المفكرين الحداثيين.

٣. **اتجاه الطرح التوليفي المزجي للنهضة**، الذي دعا أصحابه إلى المزاوجة والربط بين الأصول الإسلامية في القيم والأخلاق وبين التجربة العلمية الأوروبية، ومثل هذا الطرح الشيخ محمد عبده،(٢) وهذا الاتجاه يمكن أن يخدع ببريقه ورونقه الشعوب، فيضعوا أنفسهم تحت رحمة الثقافات الأخرى بحجة الاستفادة من تجاربهم، "وهذا الأمر فيه من الخطورة والدقة ما لا يتحمله سوى

---

(١) ينظر نعيم، بلال، الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد _ قراءة في فكر النهضة، نشر دار الهادي، بيروت – لبنان، ط١ – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.، الفصل الخامس.

(٢) ينظر نعيم، الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد، (٢٦).

الراسخين في العلم من بني البشر."[1]، فالفصل بين التجربة الغربية وثقافتها التي ستتسلل عبر هذا المزج ليست بالأمر الهين ولا السهل، وإنما له تأثير كبير ومدمر، والناظر في حال أمتنا هذا الزمن يجد مصداق ذلك، بدلالة أن هذا التيار هو التيار الذي ساد في العالم الإسلامي والعربي في القرنين الأخيرين.

٤. **اتجاه الطرح التأصيلي للنهضة،** وهو الاتجاه القائم على استدعاء مقومات النهضة ومنهجها من الأصول والمصادر الإسلامية، وأصحاب هذا الاتجاه دعوا إلى الرجوع إلى الدين الإسلامي للقيام بالنهضة، وتلمسوا مقومات نهضته في مصادر الشرع الحنيف من قرآن وسنة وفقه وعقيدة وفكر إسلامي، وهؤلاء أيضاً اختلفت مشاربهم وتنوعت أفكارهم بين أصوليين ومجددين، وتفرقت حركاتهم لاسترداد النهضة إلى مجموعة من التيارات والأحزاب والأفكار، وهذا الاتجاه هو الراجح من بين الاتجاهات والأسلم والأفضل، وذلك لاعتبارات عدة فيما يأتي بيانها:

أ. ثبوت إخفاق الاتجاهات الأخرى فكرياً وتاريخياً؛ فكل هذه التيارات قد جربت وحكمت وسادت في الفترة المتأخرة من تاريخ أمتنا، وكانت كل منها لا تزيد الأمة إلا تخلفاً وضياعاً وتشتتاً.

ب. اختلاف البيئات أساس في اختلاف النهضات وتمايزها؛ فلكل أمة بيئة، ولكل بيئة مقومات نهضتها المستمدة من خصائصها الذاتية ومصادرها الخاصة وإرثها الحضاري، وسيأتي بيان ذلك.

ت. وجود تجربة حقيقية لنهضة الأمة، بل لانطلاق نهضتها بين الأمم؛ تلك هي مرحلة فجر الإسلام وانطلاقة الأمة بدعوة النبي ﷺ ونزول القرآن عليه، وما قامت عليه نهضة الأمة ابتداءً هو ما ستقوم عليه نهضتها انتهاءً؛ فقد ثبتت

---

[1] نعيم، الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد،(٢٦).

قدرة هذه المقومات وتفوقها، واختبرت سيرتها وإمكاناتها، وتجلت مظاهرها وآثارها تاريخياً وواقعياً.

والملاحظ هنا أن خط النهضة الزمني على مدى التاريخ يظهر أنها شأن متطور متغير غير ثابت ولا جامد؛ إذ هي بناء تراكمي يسير فيه المتأخر بسير من سبقه زمنا، وقد تختلف المشارب وتتنوع النهضات، وذلك تبعاً لتغير الظروف والقيم والمبادئ التي تشكلت النهضة في محيطها وبيئتها، وبقدر اختلاف البيئات تختلف النهضات(١).

وبما أن المحرك الأساس لحركة النهضة هو المبدأ الذي تقوم عليه فإن لازم هذا أن يكون لكل نهضة مبدأ أساسياً ترتكز عليه وتقوم بسببه، وهو ما يشكل طبيعة هذه النهضة وخصائصها المميزة لها عن غيرها من النهضات. وهذا هو التفسير الأقرب إلى حقيقة النهضة؛ والذي ينص على أنها "ذلك الارتقاء الفكري المتمثل في عقيدة عقلية سياسية تصلح قاعدة لأفكار المجتمع وأصلاً لانبثاق نظامه وأساساً لحضارته"(٢). وبعبارة مختصرة: إن وجود "المبدأ" لدى أمة ما هو السبب في نهضتها"(٣)، ويشهد بصحة هذا المعنى للنهضة قيام أمتنا من العدم (الجاهلية)، تلك الأمة التي نهضت بنزول القرآن عليها، والذي هو كتاب المبادئ، فتحولت من أمة أمية تعيش الجاهلية إلى أمة ذات كتاب ونهضة وحضارة، وكل ذلك بفضل نزول هذا الكتاب الذي حمل أسمى أفكار النهضة وقيمها.

---

(١) ينظر الأدهمي، محمد مظفر، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث _ عصر النهضة – الثورة الفرنسية، نشر الجامعة المستنصرية – بغداد، ط١ – ١٩٨٤م، (١٦،١٥).

(٢) القصص، أحمد، أسس النهضة الراشدة، نشر رابطة الوعي الثقافية ـ طرابلس – لبنان، ط١ ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (٣١).

(٣) القصص، أسس النهضة الراشدة، (٣١).

وبتعدد هذه المبادئ التي ترتكز عليها النهضات تتمايز هذه النهضات وتتفاوت؛ فنهضة الغرب مثلاً قامت في أصلها على المادية، والعلم التجريبي، ومحاربة الدين المتمثل بالكنيسة، وذلك جاء تبعاً لما وجد في البيئة التي تشكلت النهضة في أحضانها، الأمر الذي شكل من هذه المبادئ مقومات النهضة الغربية الحديثة(١).

وحتى هذه النهضة الغربية **كانت مبادئها تختلف باختلاف بلدانها ومجتمعاتها**؛(٢) فقد تمثلت في إيطاليا بالفن والتجديد في الرسم والغناء والمسرح، وتشكلت على يد فنانين ورسامين وموسيقيين عالميين. بينما هي في بريطانيا تشكلت خصوصيتها في الجانب العلمي التجريبي، وقامت على يد علماء في مجالات العلم الطبيعي والإنساني؛ كالطب والاجتماع والنفس وغيرها. وفي فرنسا اتخذت النهضة اتجاهاً ثورياً اجتماعياً نحا منحى الاهتمام بتنظيم حياة المجتمع وبنائها على مبادئ الحرية والإخاء والمساواة، بينما في روسيا قامت النهضة على مبدأ اشتراكي مادي جدلي يؤمن بقوة المادة والمجتمع ولا يأبه بالدين(٣).

---

(١) من المهم الإشارة إلى أن أهم مقوم من مقومات النهضة الغربية هو النظرة العلمانية في الفصل بين العلم والدين، وذلك نبع من عداوة الكنيسة في أوروبا العصور الوسطى للاتجاهات العلمية النهضوية، مما أدى إلى اتخاذ الأخيرة اتجاهاً معاديا للكنيسة والدين، فتشكلت نهضة أوروبا على مبدأ معاداة الدين واجتنابه، أو على الأقل إلغاء وجوده الواقعي في الحياة، وقصره على علاقة الإنسان بخالقه واعتقاده فيه، دون أن يدخل هذا الاعتقاد في أي شأن من شؤون الحياة المختلفة، فهو علاقة خاصة في الكنيسة فقط، وبقي وجود الدين في أوروبا النهضة مقتصراً على بعض الشعائر الطقوسية أو الشكلية مثل عقود الزواج وصلاة الأحد وبعض الأعياد والمناسبات.

(٢) ينظر الأدهمي، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث، (١٣).

(٣) ينظر سلامة، ما هي النهضة؟، (٦٩، ٦٥، ٤٢، ٣٣، ١٣).

وهكذا يتبين أثر كل بيئة في طبيعة النهضة المتكونة فيها، فَتَشَكُّلُ المبادئ الأساسية أو المقومات الرئيسة للنهضة مرهون بظروف البيئة المشكلة لهذه النهضة وأحوالها، وهذا أمر مهم، يجب أن يؤخذ بالحسبان في أثناء البحث عن مقومات نهضة أمتنا؛ إذ لا يمكننا استجلاب أنموذج لنهضة ما في بيئة ما لنتمثله في بيئتنا؛ بل المطلوب أن تنبع نهضة الأمة من مبادئها ومقوماتها وبيئتها وظروفها الخاصة، وهذا أمر أساسٌ لا محيد عنه في واقع النهضة ومستقبلها.

وهذه الأمثلة سابقة الذكر على تمايز النهضات واختلافها باختلاف البيئات والمبادئ المشكلة لها تنبهنا إلى ضرورة أخذ الحيطة، والانتباه في استخدامنا لهذا المصطلح في مجتمعنا؛ إذ يجدر تخليصه مما قد يعلق به من توابع في حال إطلاقه؛ وذلك أنه مصطلح غربي في الأصل، يحمل سمات الغرب التي علقت به، وهذا جعله مصطلحاً خطيراً في بعض الأحيان؛ وذلك حين يدعيه المستغربون ويتبناه العلمانيون في مواجهة الإسلام، وذلك كونه مصطلحاً مغمساً بالمادية، والإلحاد، ومرتبطاً بالعلم التجريبي فحسب، بدون اعتقاد ديني، أو شعور بضرورة وجود الدين في الحياة.

وبناءً على هذا فإن إطلاق مصطلح النهضة في بيئتنا يجب أن يظهر فيه معنى غير ذلك المعنى الذي وجد له المصطلح في بيئته الأولى، وهذا يسوق إلى التأكيد على أن مفهوم النهضة مفهوم متحرك وغير ثابت؛ أي أن له سمات خاصة ببيئته التي يولد فيها، وليس هناك نهضة معينة ذات قيم مخصوصة ومبادئ محددة يمكن اعتبارها هي النهضة فحسب، وإخراج ما سواها من دائرة هذا المفهوم، بل يمكن اعتبار أي "حراك اجتماعي لأمة ما في عصر ما نحو الفاعلية الحضارية والرقي والتقدم في سلم الإنسانية"(١)، أقول يمكن اعتبار هذا الحراك نهضة، وبهذا

---

(١) سلطان، النهضة ... من الصحوة إلى اليقظة، (١٩).

يكون مفهوم النهضة قد اكتسب بعداً إجرائياً موضوعياً لا يحده عصر تاريخي، ولا تشكله مبادئٌ أو قيمٌ مخصوصة لأمة دون أخرى. وهذا كفيل بأن يخرج نهضة أمتنا المرجوّة من بوتقة الانصهار والتماثل بالضرورة مع نهضة أوروبا وغيرها.

ويمكن بالخلاصة تعريف النهضة تعريفاً جامعاً مانعاً يحدد ماهيتها وطبيعتها، وأقرب تعريف يمكن اختياره تعريف الدكتور جاسم سلطان للنهضة في كتابه النهضة من الصحوة إلى اليقظة، حيث يقول: "النهضة هي حركة فكرية عامة، حية منتشرة، تتقدم باستمرار في فضاء القرن، وتطرح الجديد دون قطيعة مع الماضي."(١)

وفي هذا الكتاب بإذن الله سيكون مقصود النهضة ومفهومها هو **تلك الحركة الفاعلة المؤثرة، المستقاة من مصادر الشرع الحنيف، والهادفة لتشكيل حضارة الأمة وانتقالها من الضعف إلى القوة في مجالات الحياة المختلفة.** وهذا المعنى هو ما سيتمثل في هذه الدراسة، التي ستحاول بدورها استخراج تلك المقومات التي تشكل مبادئ النهضة المرجوة لأمتنا وأسسها وأركانها؛ وذلك لإظهارها وجلائها؛ لتبقى واضحة متميزة عن غيرها، وليتبع طريقها كل من يسعى لتحقيق النهضة لأمته.

المطلب الثاني: مفهوم المقومات

المقومات مصطلح مهم من المصطلحات العلمية المستعملة في كثير من المجالات الأكاديمية، وهو ذو أصل صحيح في اللغة العربية، فحروف القاف والواو والميم (قَ وَ مَ) أصل صحيح يدل على الانتصاب والاعتدال، وأخذت

---

(١) سلطان، النهضة ... من الصحوة إلى اليقظة، (١٧).

منه ألفاظ كثيرة دالة على هذا الأصل أو قريبة منه، وهذه أمثلة على استخدام هذا الأصل كما وردت في معاجم اللغة(١):

- أقام الصلاة: أداها بأركانها وحافظ عليها وأدام فعلها.
- قام بالأمر: أداه على وجهه المطلوب.
- قام الحق: ظهر واستقر.
- قام النهار: انتصف وارتفعت شمسه.
- القيِّم: القائم على مكان ما أو على أمر ما ليراقبه ويراعي أموره.
- قام الماء: ثبت متحيراً.
- قوام الحق والدين: الركن الذي به يقوم.
- القيام: العزم.
- القوامة: القيام على النساء والضعفاء.
- القيامة: اليوم الذي يخرج فيه الناس من قبورهم لأجل الحساب.

وهكذا فمعانيه كثيرة ومتنوعة. ولكن يظهر من مجموعها أنه أصل يدل على الثبات والقوة والرسوخ، يقول الرازي: "(قِوام) الأمر بالكسر نظامه وعماده، و(قَوام) الأمر بالفتح ملاكه الذي يقوم به."(٢)، ويقول الأصفهاني: "القيام والقوام اسم لما يقوم به الشيء أي يثبت."(٣)

---

(١) ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (٣/ ٣٦)، والفيروزبادي، القاموس المحيط، (١١٥٢)، وابن منظور، لسان العرب، (١٢/ ٥٠٦)، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (٢/ ٧٦٧).

(٢) الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط ٥ _ ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، (١/ ٢٦٢).

(٣) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، نشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط ١ - ١٤١٢ هـ، (٦٩٠).

وهذا يبين أن الأصل الذي أخذ منه اللفظ دائر حول معان تدل على الانتصاب، والاعتدال، والثبات، والرسوخ، والقوة. وهو ما أدى إلى استعارة هذا اللفظ في كثير من الأمور التي تحتاج إلى هذه المعاني كما تبين ذلك في الأمثلة المذكورة، وفي كثير غيرها تركته خوف الحشو والخروج عن المقصود.

وأما مفهوم المقومات بوصفه مصطلحاً فهو مأخوذ من هذا الأصل ليدل على الأركان والأصول والثوابت التي تقوم عليها النظم ويستند عليها الأمر، يقول أحمد مختار عمر: "المقومات هي كل ما يتألف أو يتركب منه جسم أو جهاز أو مشروع من عناصر أساسية تسهم في قيامه ووجوده وفاعليته"(١). ويقول أستاذي سليمان الدقور شارحاً مفهوم القيام بوصفه مصطلحاً قرآنياً: "القيام صورة نهائية لمفهوم العبادة يحقق مؤداها وواقعها الفاعل... ونقصد بالقيام الحركة والفاعلية والتفاعل الذي ينتج عمل الإنسان وسلوكه بعد إعداده وتكوينه"(٢).

وورد في موقع معجم المعاني الجامع: "مقوِّم: اسم فاعل من قوَّم، والجمع مقوِّمون أو مقوِّمات، والمقوِّمات هي **الدعائم والأسس والقواعد التي تقوم عليها النظم**، ومقومات الحياة: عناصرها وعواملها الأساسية التي بها تقوم مقومات العمران، ومقومات النجاح: هي الأنشطة التي يجب إتمامها أو الشروط التي يجب تحقيقها للوصول إلى تنفيذ ناجح لخطة أو عملية."(٣)

---

(١) عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت: ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، نشر: عالم الكتب، ط١ - ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (٣/ ١٨٩٧).

(٢) الدقور، سليمان، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، نشر جمعية المحافظة على القرآن الكريم _ الأردن، ط١ _ ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م، (٧٨).

(٣) مادة (المقومات) من الموقع الإلكتروني http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar( ) / موقع معجم المعاني الجامع _ معجم عربي/ عربي، بتاريخ ٢٦/ ٨/ ٢٠١٥م.

وبهذا يتبين أن مدار مصطلح المقومات هو حول **الأركان والأسس التي تشكل بنية الأمر**، فكل أمر يحتاج إلى أسس وأركان يقوم عليها، وكما هو الحال مثلاً في أركان الصلاة، والتي هي جزء أساسٌ من الصلاة إذا اختل واحد منها بطلت الصلاة جميعها، فالحال في موضوع النهضة كذلك، فهو يرتكز على **مقومات رئيسة تشكل البناء التكويني له**.

والهدف الأعلى لهذه الدراسة هو تبيين هذه المقومات المؤسسة للنهضة؛ وذلك ببيان ما دلت عليه آيات القرآن بعامةٍ، وسورة الكهف بخاصةٍ، وما أرشدت إليه من مقومات النهضة، والتي هي في هذه الرسالة لا تقتصر فحسب على الأركان التي قامت عليها النهضة في القرآن الكريم؛ وإنما لا بد أن تشمل أيضاً البحث في أمور مهمة متممة لهذه الأركان ومكملة لتبيين الرؤية القرآنية لموضوع النهضة.

ولذلك فإنك ستجد في هذه الدراسة أن المقومات قد قسمت إلى عناصر متعددة كما يأتي:

- **أهداف النهضة**: وهي ما تسعى النهضة إلى الانتهاء إليه من غايات ونتائج، وهي التي تبين المقوّم المقاصدي للنهضة، وتتكون من الأسس والأسباب الباعثة والدافعة لحركة النهضة والأهداف المؤثرة في إيجادها وصنعها.
- **أنواع النهضة ومجالاتها**: وهي المبينة لطبيعة هذه النهضة وماهيتها وصورتها الخارجية، وتشكّل المقوّم الموضوعي بتقسيم النهضة إلى أجزائها ومفرداتها التفصيلية.
- **تحديات النهضة**: وهي الموضحة لما يعترض طريق النهضة من تحديات خارجية أو داخلية تؤثر في مسيرتها، وهي ما يشكل مقوماً دفاعياً عن النهضة، يتمثل بتشكيل سياج الحماية لها.

- **أركان النهضة**: وهي المبادئ الأساسية المكونة للنهضة والمشكلة لبنيتها، وهي تلك الأسس التي لا يمكن التخلي عنها بمكان؛ إذ هي بمثابة القواعد لبناء النهضة، وهي ما يشكل المقوم الأساس لها، عن طريق بيان المبادئ التي تقوم عليها النهضة قرآنياً أو في القرآن.
- **وسائل تحقيق النهضة**: وهي الإجراءات العملية والسلوكيات اللازمة لتكوين النهضة وتمثلها واقعياً في حياة الأمة، وهي التي تظهر المقوّم العملي للنهضة بتفعيل مبادئها وتبيين الوسائل التي تكفل تحويلها إلى واقع معاش.
- **قيم النهضة**: وهي تلك الخصائص والسمات والمظاهر المميزة للنهضة القرآنية، وهي التي تشكّل المقوم الأخلاقي والقيمي للنهضة.
- **آثار النهضة**: وهي ما ينتج عن تحقق النهضة ووجودها، وهي التي تبرز المقوّم التقييمي والاختباري لتحقيق النهضة، بذكر نتيجة وجود النهضة على الفرد والأمة في الدنيا والآخرة.

وهذه العناصر بمجموعها هي ما يشكل المقومات التي ترتكز عليها النهضة القرآنية، والتي ستتولى هذه الرسالة تبيانها وتناولها بالتفصيل بإذن الله.

المطلب الثالث: التعريف بسورة الكهف

سورة الكهف هي النموذج التمثيلي لهذه الدراسة القرآنية عن موضوع النهضة ومقوماتها، ولذا فإنه من المهم التعريف بهذه السورة قبل الشروع في بيان ما استنبطه الباحث من استقراء آياتها وتفسيرها، وتدبر ما فيها من إرشادات ربانية تختص بمقومات النهضة القرآنية، وفيما يأتي عناصر مهمة من التعريف بسورة الكهف...

• أولاً : اسم السورة

سميت سورة الكهف نسبة إلى ما قصه الله فيها من تلك القصة المعجزة لأصحاب الكهف وما حدث معهم من أخبار، وتسمى أيضاً (سورة أصحاب الكهف)،(١) وهو قريب من الاسم التوقيفي المشهور لها.

وورد في بعض روايات منكرة أنها تسمى سورة الحائلة؛(٢) ذلك أنها تحول بين قارئها والنار، وأن هذا اسمها في التوراة، ونقل هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً وهو لا يصح.

• ثانياً: عدد الآيات

كما هو معلوم فإن عدد آياتها (١١٠) مئة وعشر آيات، وهذا في عد الكوفيين المعتمد في مصاحفنا هذه الأيام، إلا أن هناك اختلافاً في عدد آياتها على التوصيف الآتي:(٣)

- **عند المدنيين والمكيين:** عدد آياتها (١٠٥) مئة وخمس آيات.
- **عند الشاميين:** عدد آياتها (١٠٦) مئة وست آيات.
- **عند البصريين:** عدد آياتها (١١١) مئة وإحدى عشرة آية.

ويرجع هذا الاختلاف في أصله إلى أن بعضهم قسم بعض الآيات فعدها أكثر من آية.

---

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت: ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط _ ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م، (١٩٣).

(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٩٣).

(٣) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (ت: ٤٤٤هـ)، البيان في عد آي القرآن، تحقيق غانم قدوري الحمد، نشر مركز المخطوطات والتراث - الكويت، ط ١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، (١٧٩).

• ثالثاً: نزول السورة (وقته وسببه وجوّه)

في هذه النقطة بحث وقت نزول السورة، وما روي في أسباب نزولها، ومن ثم الخلوص إلى بيان جو نزولها وما يدل عليه مما يتعلق بموضوع الدراسة.

— سبب النزول ووقته وجوّه:

سورة الكهف سورة مكية نزلت جملة واحدة في ما رواه بعض المفسرين،⁽¹⁾ وذكر بعضهم أن فيها بضع آيات نزلت في المدينة، وذكروا للسورة سبباً في نزولها كاملة، وأسباباً أخرى لنزول آيات مخصوصة منها في أماكن ومناسبات متفرقة.

فأما ما ذكروه من نزولها جملة واحدة فالرواية تفيد أن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء: عن الروح، وعن فتية ذهبوا في الزمن الأول ما خبرهم، وعن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، فنزلت السورة جواباً على السؤالين الأخيرين بذكر قصتي أصحاب الكهف وذي القرنين في هذه السورة، ونزل الجواب عن الروح في قوله جل

---

(١) ينظر الطبري، ابن جرير أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت: ٣١٠هـ)، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، (١٧/ ٥٩٣)، وابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، (٣/ ٤٩٤)، والرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ٣ - ١٤٢٠ هـ، (٢١/ ٤٢٨)، وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، (٥/ ١٣٦)، وآخرين غيرهم.

جلاله: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[الإسراء: ٨٥]، وهذه الرواية فيها كثير من العلل التي تقدح فيها، وفيما يلي بعض هذه العلل:(١)

١. الرواية لم ترد في كتب الصحاح، ولم يروها أحد ممن كتب في الصحيح من أحاديث أسباب النزول.(٢)

٢. مدار الرواية على "شيخ من أهل مصر"(٣) وهو مجهول، وغير خاف ما في رواية المجاهيل من محاذير، وما يترتب عليها من رد وعدم قبول؛ خصوصاً إذا تفرد هذا المجهول بروايته كما في هذه الحالة.

٣. السؤال الوارد ضمن الرواية عن الروح جاء منفرداً، وهو ليس في سورة الكهف أصلاً، وله عدة طرق صحيحة ثابتة،(٤) ولم يذكر أحد ممن أثبته أياً من

---

(١) ربما يشهد لهذا الرأي المرجوح (كما تقرر للباحث) ما ورد في الصحيح من قول ابن مسعود رضي الله عنه أن سورة الكهف مع عدة سور أخرى من قديم ما أثبته في مصحفه وحفظه، مما يدل على نزولها في مكة، وذلك قوله "إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي" رواه البخاري في صحيحه، (٦/ ١٨٥/ ٤٩٩٤)، ويرد عليه بأنه ليس في الحديث ما يشهد بأنها نزلت جملة واحدة؛ وإنما أنها نزلت متقدمة على ما سواها من سور القرآن الكريم.

(٢) لم يروها أحد من أصحاب الصحاح والسنن والجوامع والمسانيد، وهي مروية فحسب عند بعض المفسرين كما تقدم في الهامش السابق، إلا أن السيوطي ذكرها في أسباب نزول سورة الكهف، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ)، لباب النقول في أسباب النزول، ضبط وتصحيح أحمد عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، (١٢٩).

(٣) ورد هذا الوصف في سند الرواية عند كل من رواها.

(٤) حديث السؤال عن الروح متفق عليه؛ رواه البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري = الجامع الصحيح، نشر دار الشعب – القاهرة، ط ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، (٦/ ٨٧/ ٤٧٢١)، ورواه مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م، (٤/ ٢١٥٢/ ٢٧٩٤).

السؤالين الآخرين؛ غير أنه ذكر في بعض الروايات أن السؤال عن ذي القرنين كان بطريقة مباشرة من اليهود أنفسهم في المدينة،(١) وهو ما يضعف رواية سؤال المشركين التي هي محل النقاش.

٤. في بعض طرق الرواية ذكر مسيلمة الكذاب، وأنه سئل عن هذه الأسئلة فلم يعرفها: "ولكن سلوه عن ثلاث خصال فإنه يخبركم بخصلتين، ولا يخبركم بالثالثة إن كان نبياً، فإنا قد سألنا مسيلمة الكذاب عن هؤلاء الثلاث فلم يدر ما هي"،(٢) وهذا وهم وخطأ كبير؛ فمسيلمة ظهر في آخر عهد النبي ﷺ، ولم يكن موجوداً وقت نزول سورة الكهف(٣).

---

(١) ذكر ذلك النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، نشر دار الإصلاح – الدمام / السعودية، ط ٢، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، (٢٩٨).

وينظر كذلك البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (ت: ٤٥٨هـ)، دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، نشر دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط ١، – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، (٦/ ٢٩٥).

والأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ (ت: ٣٦٩هـ)، العظمة، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، نشر دار العاصمة – الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، (٤/ ١٤٦٨).

ونقله جمع من المفسرين كالطبري في تفسيره (١٨/ ٩٢)، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ)، تفسير السيوطي = الدر المنثور في التفسير بالمأثور، نشر دار الفكر – بيروت، (٥/ ٤٣٥ – ٤٣٧).

ووصفه ابن عطية بأنه حديث واهي السند، انظر تفسير ابن عطية، (٣/ ٥٣٨)، وضعفه ابن كثير في تفسيره، (٥/ ١٨٩).

(٢) السيوطي، الدر المنثور، (٥/ ٣٥٨)، وينظر السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: ٣٧٣هـ)، تفسير السمرقندي = بحر العلوم، المكتبة الشاملة، (٢/ ٣٣٥).

(٣) يراجع وفوده على رسول الله ﷺ في عام الوفود (١٠هـ) عند ابن كثير، البداية والنهاية، (٧/ ٢٥٣_٢٦٢).

٥. أن هناك روايات صحيحة معتبرة ذكرت أسباباً لنزول بعض آيات من السورة متفرقة في أوقات مختلفة، وهذا يشير إلى ضعف الرواية القائلة بنزولها جملة أو بطلانها.

وأما الروايات التي وردت في أسباب نزول بعض الآيات من السورة فهي كثيرة متعددة، وفيما يأتي بيان هذه الآيات، وما روي في سبب نزول كل آية منها:

○ **قوله تعالى:** ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨]، ذكر أنها نزلت في فقراء الصحابة كسلمان، وبلال، وعمار، وأبي ذر، رضي الله عنهم؛ وذلك أن بعض المؤلفة قلوبهم كعيينة بن حصن والأقرع بن حابس طلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام أن يجلسهم في صدر المجلس وينحي عنهم هؤلاء الفقراء من الصحابة، فنزلت هذه الآية، وقال فيها النبي عليه الصلاة والسلام: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات»(١).

○ **قوله تعالى:** ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨]، ورد أنها نزلت في أمية بن خلف الذي ختم الله على قلبه عن التوحيد ومات مشركاً(٢).

---

(١) النيسابوري، أسباب النزول،(٢٩٧)، وانظر السيوطي، لباب النقول، (١٣٠)، ورواه البيهقي، شعب الإيمان، (١٣/ ٩٩/ ١٠٠١٢)، وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، مسند ابن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، نشر: دار الوطن – الرياض، ط ١، ١٩٩٧م، (١٣١٨/ ٤٧٧)، وآخرون.

(٢) النيسابوري، أسباب النزول، تحقيق الحميدان،(٢٩٨)، والسيوطي، لباب النقول، (١٣٠)، ورواه البيهقي، شعب الإيمان، (١٣/ ٩٩/ ١٠٠١٢)، وابن أبي شيبة، مسند ابن أبي شيبة، (١٣١٨/ ٤٧٧).

○ **قوله تعالى:** ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٨٣]، ورد عن قتادة أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن ذي القرنين فنزلت هذه الآيات.(١)

○ **قوله تعالى:** ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]، ذكر أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]، اعترض اليهود على قلة علمهم، وقالوا: كيف وقد أوتينا التوراة وفيها خير كثير؟، فنزلت هذه الآية ترد عليهم(٢).

○ **قوله تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، ذكر أن صحابياً سأل النبي عليه الصلاة والسلام فقال: إني أحب أن أجاهد في سبيل الله، وأحب أن يرى مكاني، فأنزل الله هذه الآية.(٣)

- جو النزول:

استخلاصاً مما سبق من أسباب النزول، وبعد تكرار النظر فيما احتوت عليه السورة من قصص ومواضيع، يمكن استنتاج بضع نقاط مهمة تعين على فهم الجو العام الذي نزلت فيه سورة الكهف، وفيما يأتي خلاصة هذه الاستنتاجات:

أ- أن السورة لم تنزل جملة واحدة في أواخر ما نزل من القرآن المكي، وأنها نزلت متفرقة في أواخر العهد المكي، ونزلت أجزاء منها في أوائل العهد المدني،

---

(١) النيسابوري، أسباب النزول، (٢٩٨)، ولم أجده عند أهل الحديث.

(٢) رواه أحمد، المسند، (٤/ ١٥٤/ ٢٣٠٩)، والترمذي، السنن، (٥/ ٣٠٤/ ٣١٤٠)، والحاكم، المستدرك، (٢/ ٥٧٩/ ٣٩٦١)، والنيسابوري، أسباب النزول، (٢٩٨)، والسيوطي، لباب النقول (١٣٠).

(٣) رواه الحاكم، المستدرك، (٢/ ٤٠٣/ ٣٤٠٤)، والنيسابوري، أسباب النزول، (٢٩٩)، والسيوطي، لباب النقول، (١٣٠).

وذلك في الفترة التي تلت احتدام الصراع بين المسلمين ومشركي قريش، تمهيداً للنقلة النوعية لأمة الإسلام إلى عهد المدينة المنورة؛ مرحلية المدنية والدولة والنهضة، وهذا اعتمادا على ما سبق من الروايات، وهو الأرجح والله أعلم.

ب- جو النزول هذا جاء في فترة مهمة من تاريخ دعوة الإسلام؛ وهي فترة التحول من العهد المكي إلى العهد المدني، أي من طور البناء والإعداد إلى طور الحركة والعمل، وما هذه الفترة إلا نقطة بداية نهضة أمة الإسلام، ومن هنا تبرز أهمية سورة الكهف ووظيفتها في بيان كيفية تشكيل هذه النهضة، وتمكين مقوماتها.

ت- يبنى على النقطة السابقة أن السورة قد احتوت في طياتها على الإرشادات المهمة لإنشاء الدولة المسلمة ومقومات نهوضها؛ فقد نزلت السورة في نهاية عهد من عهود النهضة (العهد المكي)، وبداية عهد آخر (العهد المدني) من عهود النهضة الإسلامية، فهي بهذا تشكل القواعد الأساسية والمبادئ الرئيسة لانطلاقة الإسلام الأولى.

ث- جوُّ السورة هذا زمن نزولها هو ذاته الجو المعاصر لأمة الإسلام والحال الآني الذي تمر به، وما أحوج الأمة اليوم إلى تنزيل آيات سورة الكهف على واقعها؛ لاستخراج مقومات نهضتها؛ فالذي أنتج النهضة الأولى الكبرى لأمة الإسلام لا يعجز عن أن ينتج نهضتها المرجوة الآن.

وبعدُ فإن هذه الاستنتاجات القريبة المحتملة التي هي من مرتكزات هذه الدراسة وبواعثها، أقول إنما هي تبقى استنتاجات الباحث وجهوده؛ ولا يعني هذا أنها نهائية قطعية، وإنما هي اجتهاد يحتمل الخطأ والصواب، ولربما يأتي من يؤكدها أو يقرر حقائق آكد منها وأكثر تدبراً لجو السورة وسبب نزولها وما فيها من هدايات ربانية.

• رابعاً: مناسبات السورة

هي السورة الثامنة عشرة في ترتيب المصحف، وهي قلب المصحف؛ كونها في الجزء الخامس عشر المنصف للقرآن الكريم، والبحث في مناسبات السورة هنا يتركز على أربع نقاط من المناسبات مجملة فيما يأتي:

١. **مناسبتها لما قبلها وما بعدها،** إذ سبقت بسورة الإسراء، وتلتها سورة مريم، يقول البقاعي في نظم الدرر: " لما ختمت الإسراء بالأمر بالحمد لله عن التنزه عن صفات النقص، بدئت الكهف - بمفهوم المقابلة- بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة من كل نقص"(١).

وهذا أحد أوجه تناسب سورتي الإسراء والكهف، يضاف إليه أوجه أخرى متعددة؛ مثل أنهما كلتاهما مكية، وأن في الإسراء حديث صعود الرسول ﷺ إلى السماء، وفي الكهف نزول القرآن عليه من السماء، وابتداء الأولى بالتسبيح والثانية بالحمد، والتسبيح والحمد صنوان، واختتام الإسراء بآية الحمد وافتتاح الكهف بآية الحمد كذلك، إلى غير ذلك من أوجه التناسب الكثيرة(٢).

وأما مناسبتها لتاليتها سورة مريم ففي فاتحة الكهف ذكر وحدانية الله وتجرده عن الولد، وفي مريم بيان قصة عيسى عليه السلام الذي اتخذه النصارى ولداً لله سبحانه، وفي الكهف قصص دالة على عظيم قدرة الله ومنه على عباده، وفي مريم كذلك بعض القصص التي تؤكد هذا المعنى.

---

(١) بتصرف طفيف عن البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (ت: ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تخريج ووضع الحواشي عبد الرزاق غالب المهدي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٣، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، (٤/ ٤٤١).

(٢) ينظر نوفل، أحمد إسماعيل، تفسير سورة الإسراء، نشر جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان – الأردن، ط ١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، (٥٦ – ٥٩).

يقول البقاعي في نظم الدرر: "لما كان مقصود الكهف بيان أن القرآن قيم لا عوج فيه، وأنه يكشف عن أسرار السنن الإلهية بما قصته السورة من قصص، جاءت سورة مريم لتكشف عن أغرب هذه السنن في أعظم القصص (قصة عيسى عليه السلام وأمه مريم)"،(١) والمتأمل في السورتين سيجد كثيراً من أوجه التناسب غير ما ذكر.

٢. **مناسبة فاتحتها لخاتمتها،** إذ افتتحت السورة بالدعوة لحمد الله، وإفراده بالوحدانية عن الشرك، وبضرورة العمل الصالح للنجاة، وختمت كذلك ببيان ضرورة الإيمان بالله وحده بلا شريك، والتأكيد على ضرورة العمل الصالح طريقاً للنجاة.

وفي هذا الترابط تظهر وحدة الموضوع واتفاق المبتدأ والمنتهى؛ وذلك في التأكيد على إعلان الوحدانية وإنكار الشرك وإثبات الوحي، إذ عاد ختام السورة ومنتهاها على افتتاحيتها ومقدمتها(٢).

٣. **مناسبة اسم السورة لموضوعها،** وهذا أمر شديد الوضوح شديد الخفاء في آن معاً، والجانب الواضح فيه هو تناول سورة الكهف لقصة أصحاب الكهف في ثناياها، فناسب أن تسمى سورة الكهف.

وأما الجانب الخفي في التناسب فهو ذلك العمق وراء جعل الكهف اسماً للسورة؛ فإن في السورة قصصاً أخرى لا تقل أهمية عن قصة أصحاب الكهف؛ فلم لم تسمَّ سورة ذي القرنين مثلاً، أما ما وراء ذلك فقليل من الباحثين والمفسرين من أشار إليه بطريقة واضحة، وهو يحتاج لمزيد اجتهاد وتدبر. ومدار كلام من بحث في ذلك أن مرد اسم الكهف راجع إلى كون السورة كلها

---

(١) البقاعي، نظم الدرر، (٤/ ٥١٧).

(٢) قطب، سيد إبراهيم بن حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، في ظلال القرآن (تفسير الظلال)، ط١٧، ١٤١٢هـ، دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة، (٤/ ٢٢٥٧).

كالكهف الذي يحمي من التجأ إليه من الفتن، وأن إرشاداتها وموضوعاتها تشكل كهف الحماية للمسلم الناهض لأجل دينه(١).

ويمكن أن يكون وجه التناسب بين السورة واسمها هو أن قصة الكهف المذكورة في أوائل قصص السورة جاءت للتأكيد على تلك المرحلة المهمة من مراحل النهضة وخطواتها، تلك المرحلة التي لم تخل منها أي نهضة، فغار حراء، ودار الأرقم، في سيرة نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام، ومدين لموسى عليه السلام، وهجرة لوط، ومراحل الدعوات السرية كإعداد صلاح الدين لاسترجاع الأقصى، وإعداد العباسيين لثورتهم على الأمويين، وغير ذلك من الفترات التمهيدية الأولى التي انبثقت منها نهضات الأمم القديمة والحديثة؛ كلها ككهف أهل الكهف، تعتبر نقطة أساسية، ومرحلة جوهرية بالنسبة إلى نهضة الأمم.

٤. **مناسبة القصص الواردة فيها فيما بينها،** وهذا الموضوع مهم جداً وأساسي في بيان أوجه المناسبات في السورة، ولأن له تعلقاً مباشراً بموضوع النهضة فإنه سيبحث بإذن الله في مكانه من الدراسة(٢).

• خامساً: خصائص السورة وفضائلها

وفي هذه النقطة بيان ما اختصت به السورة، وما تميزت به عن غيرها من السور، وتوضيح بعض الفضائل التي وردت فيها...

- خصائص السورة

غلب على هذه السورة الكريمة أسلوب القصص، ففيها قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة العبد الصالح مع موسى، وقصة ذي

---

(١) ينظر مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، نشر دار القلم، ط ٤، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (١٧٩).

(٢) ينظر المطلب السادس من المبحث الثاني في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

القرنين، مع الإشارة إلى قصة آدم مع إبليس، وما بقي منها من آيات فهي تعقيبات على القصص، وأمثلة وإشارات وتنبيهات إيمانية، وهذه الخاصية من بواعث الاهتمام بدراسة ما احتوت عليه هذه القصص من قيم ومقومات تخدم موضوع الرسالة.

ومن خصائص سورة الكهف وميزاتها التي تستحق الذكر والتنبيه هو أنها من خمس سور ابتدأت بلفظ "الحمد لله"، وهي الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر، ولا شك أن ذلك له دلالات معينة مفيدة، وذلك أن كل ما في القرآن مقصود ومحكم من لدن حكيم خبير.

وبعد تتبع كثير من كتب التفسير وجدت قليلاً من المفسرين قد ذكر هذه الخاصية وبحث فيها، منهم مثلاً البقاعي الذي يقول في نظم الدرر نقلاً عن سعد الدين التفتازاني: "أن سور الحمد الخمسة جاءت كل منها للإشارة إلى نعمة من أمهات النعم التي هي إيجاد وبقاء أولاً، وإيجاد وبقاء ثانياً، فأشارت الفاتحة إلى الأنواع الأربعة من النعم، واختصت كل سورة من الأربعة الباقية بنعمة منها، فالأنعام تحدثت عن الإيجاد الأول بنعم الخلق والتسخير، والكهف تحدثت عن الإبقاء الأول بنعمة الكتاب والدين، وسبأ تحدثت عن الإيجاد الثاني بالبعث والنشور، وفاطر ختمت سور الحمد بالحديث عن الإبقاء الثاني في النعيم أو الجحيم"(١).

ويقول سيد طنطاوي ما خلاصته: الفاتحة افتتحت بحمد الله رب العالمين فهي عامة بإقرار ربوبيته وتربيته لخلقه أجمعين (تربية عامة ببيان أنواع التربية الأربع التي اختصت بكل واحدة منها سورة من السور الأخرى المفتتحة بالحمد)، فأما سورة الأنعام فحمد لله سبحانه على الخلق والإيجاد وتسخير الكون والنعم للإنسان (تربية خلقية)، وأما سورة الكهف فجاءت لبيان استحقاقه للحمد سبحانه على إنزال الكتاب لهداية البشر (تربية شرعية)، وكذلك سورة سبأ التي أثبتت الحمد لله

---

(١) بتصرف كبير عن البقاعي، نظم الدرر، (٤٤٢،٤٤٣).

على ملكه وعلمه وتدبيره وقدرته (تربية مطلقة)، وخاتمة سور الحمد سورة فاطر التي جمعت بين التربية الخلقية والشرعية والمطلقة للإنسان فجاءت تقرر الحمد لله وحده على كل ما سبق(١).

وأيا كان... فهذا موضوع يحتاج إلى بحث ودراسة واهتمام من المختصين والباحثين في التفسير وعلوم القرآن يسجل هنا عسى أن يطلع عليه من ينتفع به ويتوجه إليه.

- فضائل السورة

ولسورة الكهف عدة فضائل وردت بها الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، منها ما يأتي:

١. **أنها تعصم من فتنة الدجال** ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال"(٢)، وفي رواية أخرى: "من قرأ عشر آيات من آخر الكهف عصم من الدجال"(٣)،

---

(١) بتصرف عن طنطاوي، سيد محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، نشر دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م، (٥/ ٢٩،٢٨).

(٢) رواه مسلم في الصحيح، (١/ ٥٥٥/ ٨٠٩).

(٣) رواه الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، (٤٥/ ٥٠٨/ ٢٧٥١٦). ورواه النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه شعيب الأرناؤوط، قدم له عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، (٩/ ٣٤٧/ ١٠٧٢٠). ورواه الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (ت: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، النشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط ٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، (٥/ ١٦٢/ ٢٨٨٦). ورواه أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، (٤/ ١١٧/ ٤٣٢٣) ورواه كثير غيرهم.

وروي أيضاً بعشر آيات مطلقة لا أول الكهف ولا آخرها(١)، كما ورد بلفظ "من حفظ" ولفظ "من قرأ" مختلطاً ما بين الروايات المتعددة.

وعلى كل الأحوال فالروايات كلها صححها أهل الحديث(٢)، وهي تدل في مجملها على عظمة وأهمية هذه السورة؛ كونها تبين أهم الوسائل للوقاية من الفتن، وأشدها فتنة الدجال، وهو ما سيفيد في تقرير عدة أمور تهم حديثنا عن موضوع النهضة وارتباطها بوقاية المجتمع من الفتن، مما سيأتي في موضعه بإذن الله.

٢. **استحباب قراءتها يوم الجمعة؛** والحث على المحافظة على ذلك، وترتيب أجور جزيلة على هذه العبادة، فقد روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»(٣)، وفي رواية: «من قرأ سورة الكهف في يوم جمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق (المسجد الحرام في

---

(١) ينظر النسائي، السنن الكبرى، (٧/ ٢٦١/ ٧٩٧١)، وابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، (٣/ ٦٥/ ٧٨٥).

(٢) ينظر الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت:١٤٢٠هـ)، السلسلة الصحيحة للألباني = سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١(لمكتبة المعارف)، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، (٢/ ١٢٣/ ٥٨٢).

(٣) رواه الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م، (٢/ ٣٩٩/ ٣٣٩٢). ورواه البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت: ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، (٣/ ٣٥٣/ ٥٩٩٦)، وغيرهما.

مكة)»(١)، وفي رواية أيضاً: «كان له نور من قدمه إلى قرنه يوم القيامة»(٢)، وفي رواية أخرى أيضاً: «كانت له كفارة إلى الجمعة الأخرى»(٣)، وسواء كان هذا أو هذا أو هذا؛ فكلها أجور من رب العالمين على قراءة هذه السورة الكريمة.

وعند إعادة النظر في هذه النصوص الواردة في فضل قراءة السورة يوم الجمعة والتمعن فيها وجدت أن الأجور اتخذت أبعاداً مختلفة؛ فمنها ما اتخذ بعداً مكانياً: (من بيت القارئ إلى مكة البيت العتيق)، ومنها ما أخذ بعداً زمانياً: (ما بين الجمعتين، أو نوراً يوم القيامة)، ومنها ما أخذ أبعاداً أخرى في كيفية تحقيق الأجر؛ فمرة لقارئها نور، وأخرى له كفارة، وسبق قبل ذلك بيان أنها عصمة من الفتن (الدجال خصوصاً)، وذلك التنويع كله لعمري نابع من تعدد ما في هذه السورة العظيمة من فضائل وآثار تنعكس على من حافظ على قراءتها وتدارسها، وهذه الدراسة تحاول الكشف عن بعض هذه الإرشادات والهدايات الربانية الدالة على أهمية ما تحتويه هذه السورة العظيمة من معانٍ ودروسٍ وعبرٍ وقيمٍ تتطلب زيادة تدبرها واستمراره، وتكرار البحث في ما تضمنته من موضوعات.

---

(١) رواه الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد , وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، نشر دار الحرمين – القاهرة، (٢/ ١٢٣/ ١٤٥٥). ورواه الحاكم، المستدرك، (١/ ٧٥٢٢٠٧٢). ورواه البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت: ٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، نشر مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، (٤/ ٨٦/ ٢٢٢٠). ورواه أصحاب السنن وكثير غيرهم.

(٢) ينظر ابن الضريس، أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار البجلي الرازي (ت: ٢٩٤هـ)، فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، تحقيق: غزوة بدير، نشر دار الفكر، دمشق – سورية، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، (٩٩/ ٢١٢)، باب في فضل سورة الكهف.

(٣) ينظر ابن الضريس، فضائل القرآن (٩٨/ ٢٠٨)، باب في فضل سورة الكهف.

٣. **تنزلت السكينة لتلاوتها،** فقد روى البخاري في صحيحه عن البراء رضي الله عنه أنه قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين (أي بحبلين)، فتغشته سحابة، فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «تلك السكينة تنزلت للقرآن»(١)، وهذا يبين عظمة هذه السورة ومقدار ما تبثه من سكينة وطمأنينة وروحانية على قارئها، ويتعلق ذلك بطبيعة الموضوعات التي طرقتها هذه السورة الكريمة مما سيأتي بيانه في مكانه بحول الله وقوته وأمره وإذنه.

كما ورد عدة أحاديث فيها ذكر لبعض فضائل سورة الكهف،(٢) كمثل أنه نزل بها سبعون ألف ملك، وأن عظمتها ملأت ما بين السماء والأرض، وأن من قرأها في بيت لا يدخله شيطان... وغير ذلك، ولكن هذه الروايات ليست بدرجة من الصحة يعوّل عليها، فغضضت النظر عنها مكتفيا بما صح مما نقلته.

• سادساً: مقاصد السورة وموضوعاتها

بما أن البحث في مقاصد السورة وموضوعاتها وما احتوت عليه من إرشادات ذو تعلق مباشر بموضوع الدراسة فإنني سأتناوله بإذن الله في المبحث الثالث من هذا الفصل، وهو خاص بعلاقة سورة الكهف بالنهضة، وكيفية تناول آيات السورة لها، ومنهجيتها في تقرير حقائقها.

---

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري في الصحيح، (٦/ ٢٣٢/ ٥٠١١)، كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة الكهف، ورواه مسلم في صحيحه، (١/ ٥٤٧/ ٧٩٥)، باب نزول السكينة لقراءة القرآن.

(٢) ينظر السيوطي، الدر المنثور، (٣٥٤-٣٥٩).

المبحث الثاني: مفهوم النهضة ومقوماتها في القرآن الكريم

في هذا المبحث سينظر في علاقة النهضة بالقرآن الكريم، وفي ترابط آيات كتاب الهداية وسوره، والموضوعات التي تناولها بموضوع النهضة، وسيُستخرج فيه حديث القرآن عنها، وبيان منهجيته في تناولها.

وحيث إن لفظة "النهضة" لفظة مستحدثة، فهي لم تكن مستعملة بمعناها المصطلحي في فترة نزول القرآن، ولا في الفترات التي تلتها؛ إلا في العصر الحديث، لأجل ذلك فهي لم ترد في القرآن الكريم، وإنما ورد فيه كلمات مقاربة لمعناها، وتدل على مفهومها الاصطلاحي الذي وقع عليه الاختيار.

وعليه فسيكون في هذا المبحث ثلاثة مطالب، يتناول المطلب الأول منها ورود الألفاظ القريبة من لفظة النهضة في القرآن، وعلاقتها بالنهضة، ويحتوي المطلب الثاني كيفية تناول القرآن الكريم لموضوع النهضة في آياته، وينتهي المبحث بتحديد مقومات النهضة في آيات القرآن الكريم في المطلب الثالث.

المطلب الأول: ورود النهضة والألفاظ القريبة منها في القرآن الكريم

بما أن لفظة " النهضة " لم ترد في كتاب الله بالمعنى الاصطلاحي الوارد في البحث، وبما أنها كذلك لم ترد في القرآن الكريم بأية صيغة أو اشتقاق من اشتقاقاتها؛ فإن لبحث موضوع النهضة في القرآن الكريم طريقتين: **الأولى:** بدراسة (اصطلاحية) لبحث الألفاظ القريبة والمشتركة في المعنى مع لفظة "النهضة"، **والثانية:** هي بدراسة آيات القرآن (دراسة موضوعية) لاستنباط ما يمكن فهمه وإدراكه من جزئياتٍ وعناصرٍ يمكن أن تشكل مكونات موضوع النهضة في القرآن.

فالطريقة الثانية هي ما سيكون منهج الرسالة؛ والمتمثل في بحث جزئيات وعناصر موضوع النهضة المتشكلة من آيات القرآن الكريم عموماً والمتمثلة في آيات سورة الكهف خصوصاً، وأما الطريقة الأولى - دراسة الألفاظ القريبة- فستُبحث هذه الألفاظ في هذا المطلب.

وبدراسة ما تضمنه القرآن الكريم من ألفاظ موافقة أو مقاربة لمفهوم النهضة استخلص الباحث عدة ألفاظ ومصطلحات قريبة من مفهوم النهضة يمكن دراستها، وفيما يأتي أهم هذه المصطلحات وبعض الإضاءات حولها:

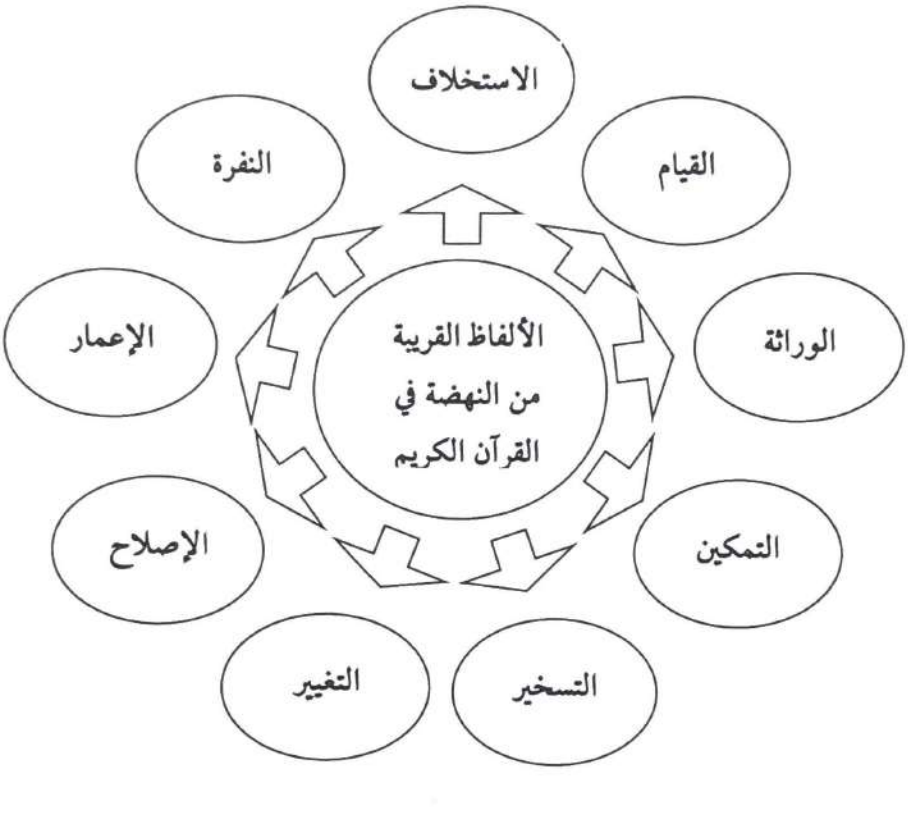
الألفاظ القريبة من النهضة في القرآن الكريم
الاستخلاف
القيام
الوراثة
التمكين
التسخير
التغيير
الإصلاح
الإعمار
النفرة

الاستخلاف: ورد جذر هذا المصطلح (خَلَفَ) (١٣٠) مرة في القرآن الكريم، منها (١٦) مرة بالمعنى القريب من معنى النهضة(١)، حيث جاء معناه

---

(١) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، نشر دار الحديث - القاهرة، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م (٢٩٣_٢٩٥).

بوصفه مصطلحاً قرآنياً هو أن يكون الإنسان عاملاً لإرضاء الله سبحانه الذي استخلفه في الأرض -اختباراً له- بإصلاحها وسياستها[1] ورعاية أهلها وكنوزها، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

والاستخلاف بهذا المعنى يشكل ترابطاً وتوافقاً مع النهضة؛ إذ يتفقان في الأرضية المشتركة لعملهما؛ ألا وهي الأرض؛ فهي موطن النهضة وموطن الاستخلاف كذلك، ويتآلفان في كونهما وظيفتين ربانيتين للمسلم في التعامل مع معطيات هذه الأرض لاستثمارها لمصلحة ساكنيها من البشر، وذلك نيابة عن الله سبحانه في الاستخلاف، ورعاية وسياسة لأمور الناس وحوائجهم في النهضة.

١. **الإعمار:** وقد ورد في القرآن (١٥) مرة[2] بمعنى استغلال الأرض والتوطن فيها،[3] والاستمتاع بما سخر الله فيها من منافع للناس، وهو معنى يعد وسيلة من وسائل تحقيق النهضة.

وإعمار الأرض هو أحد شقي المهمة العظمى الموكولة لهذا الإنسان في الأرض، يقول الله سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، والشق الثاني من تلك المهمة هو عبادة الله ومعرفته، يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، وبمعرفة الله وعبادته مع عمارة

---

[1] (١) مجموعة من الباحثين، القرآن الكريم ومقومات النهضة، (٤٣٣).

[2] (٢) عبد الباقي، المعجم المفهرس، (٥٩٢،٥٩٣).

[3] (٣) مجموعة من الباحثين، القرآن الكريم ومقومات النهضة، (١١١).

الأرض ورعايتها تكتمل مهمة الإنسان في هذه الأرض، وتلك هي النهضة المرجوة للأمة في أخذها بمهمتها الوجودية مع الله سبحانه عبادة، ومع الأرض عمارة.

٢. **الوراثة:** وورد بصيغ متعددة في القرآن في (٣٦) موضعاً،⁽¹⁾ وجاءت بمعنى حكم الأرض والتمكن فيها واستثمارها من بعد قوم آخرين، وهو معنى يتوافق مع أثر النهضة وثمرتها في الأرض من حيث توارث التمكين فيها واستمراريته، ومن حيث إنشاء الحضارة فيها وإقامتها.

ومفهوم الوراثة هو مفهوم تداول الحضارة، يقول الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]، وهو مفهوم تناوب النهضات بين الأمم المختلفة، وهذه الوراثة للأرض لها سنن وأسباب، يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[الأعراف: ١٢٨]، فمن أمسك بهذه السنن مستثمراً جريانها وفق تقدير الله لها، ومن اتبع هذه الأسباب بحسب أوامر مسببها؛ حق له هذا الميراث، وشأن النهضة في هذه الوراثة أنها الصورة الأكثر إتقاناً لإمساك الإنسان بالسنن الربانية للنصر والتمكين، وأكمل ما يمكن اتباعه من أسباب تحقق وراثة الأرض.

٣. **التمكين:** وورد هذا المصطلح القرآني في (١٨) موضعاً⁽²⁾، وهو بمعنى القدرة على التصرف بمنافع الأرض⁽³⁾، واستغلال ثرواتها والتمتع بثمارها،

---

(١) عبد الباقي، المعجم المفهرس، (٨٣٩).

(٢) عبد الباقي، المعجم المفهرس، (٧٦٨ ، ٧٦٩).

(٣) مجموعة من الباحثين، القرآن الكريم ومقومات النهضة، (٤٣٣).

يقول الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

والتمكين بهذا المفهوم يمكن اعتباره المطلوب الأعلى للنهضة، وهو ثمرتها ونتيجة تحقيقها؛ فالمقصد الرئيس للنهضة هو أن يتمكن أصحابها من الأرض التي يعيشون عليها بطريقة تكفل لهم الحياة الطيبة التي تسعدهم في الدنيا، وتجعلهم من المفلحين في الآخرة، والنهضة (بالمفهوم القرآني الذي ندرسه) هي الكفيلة بتحقيق هذا التمكين.

٤. **التسخير**: وقد ورد في القرآن بمعنى إخضاع الله للمخلوقات والجمادات والأمور لمنافع البشر وتوظيف السنن الكونية لمصلحتهم(١)، وتمهيد الأرض ومسالكها ومعايشها لراحتهم، وجاء التسخير بهذا المعنى في (٢٧) موضعاً من القرآن الكريم(٢).

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم: ٣٢ - ٣٤]. وهذه الآيات وأمثالها تبين كيفية تسخير الله سبحانه للمخلوقات والكائنات والسنن الربانية في الكون لمصلحة الإنسان.

وهذا التسخير أحد أهم أسباب النهضة ودوافعها؛ إذ باستعمال هذه المسخّرات واستغلالها بأفضل الوجوه وأكملها تتكون تلك النهضة المرجوة

---

(١) مجموعة من الباحثين، القرآن الكريم ومقومات النهضة، (١١١).

(٢) عبد الباقي، المعجم المفهرس، (٤٢٦،٤٢٧).

للأمم والأقوام، وعلى مقدار قدرة أمة من الأمم على استثمار هذه المقدرات المسخرة لخدمة البشر تكون قوة نهضة هذه الأمة وحضارتها.

٥. **التغيير**: وهو مصطلح قرآني ورد في القرآن (٦) مرات(١) بمعنى التبديل الكامل للشيء، أو التعديل على بعض أجزائه وتحويلها، وجاء في موضعين بمعنى يحمل مظهراً من مظاهر النهضة ألا وهو الانتقال من حال إلى حال، وذلك في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وفي قوله أيضاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ويترافق مصطلح التغيير مع النهضة في مقصدهما؛ فهو الانتقال بحال الأمة والنهوض بها من السيئ إلى الحسن، ويتفقان في أسلوبهما في القيام بذلك؛ فالتغيير له أساليبه وطرقه ومجالاته وقيمه، كما أن للنهضة كذلك أساليبها ووسائلها ومجالاتها وقيمها، كما أنهما في النهاية يتآلفان في ثمرتهما المرجوة؛ ألا وهي الانتقال إلى حال أفضل من الحال الآني، وهي ثمرة التغيير كما هي ثمرة النهضة أيضاً، ويمكن اعتبار هذا التغيير الإصلاحي ركناً من أركان النهضة، يمثل المنهج العملي لتكوينها وتشكيلها.

٦. **الإصلاح**: وهو مصطلح قرآني بمعنى التحسين والإحكام لأمور البشر وأحوال الملك والعلاقات بين الناس، وقد ورد في أكثر من (٢٠) موضعاً من أصل (١٩٧) مرة(٢) ذكر فيها الجذر (صَلُحَ)، والإصلاح مهمة الرسل، يقول

---

(١) عبد الباقي، المعجم المفهرس، (٦١٩-٦٢١).

(٢) عبد الباقي، المعجم المفهرس، (٥٠٤_٥٠٧).

سبحانه: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

والإصلاح هو أمان الأمم من الهلاك يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٧]**، وهو طريق الأمة للتمكين في الأرض ووراثتها، يقول سبحانه :** ﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]**، وبهذا يكون صلاح الأمة وإصلاحها لشؤونها هو المحرك والأساس لنهضتها ورفعتها وحضارتها.**

٧. القيام: والذي ورد في القرآن الكريم بصيغ واشتقاقات متعددة في (٢٧٨) موضعاً،[1] وجاء في معظمها بمعنى تلك الحركة الفاعلة التي يؤديها العبد لربه في مجالات شتى وطرق متعددة[2].

يقول سبحانه: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[البقرة: ٢٣٨]**، وهذا القيام يتحقق بأداء مهمة الإنسان الوجودية بعبادة الله وإعمار الأرض، ويتحقق ذلك بأشكال عدة منها القيام للصلاة وبها، والقيام بالشهادة، والقيام على النساء والضعفاء، والقيام بالقسط والعدل، وما إلى ذلك مما ارتبط في آيات القرآن الكريم بالقيام، مما يشكل في تآلفه وترابطه مفهوماً حركياً فاعلاً للقيام كما يرشد له القرآن.**

---

(١) عبد الباقي، المعجم المفهرس، (٦٨٤_٦٨٧).

(٢) ينظر الدقور، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، (٧٨_١٢١).

والقيام بهذا المعنى يجتمع مع النهضة في الجانب التفاعلي العملي منها؛ وذلك في تشاركهما بمسمى الحركة الفاعلة، فالقيام حركة فاعلة لله سبحانه لأداء ما افترض، والنهضة كذلك حركة فاعلة لأداء مهمة الإنسان في الأرض.

٨. **النفرة**: وهي تلك الحركة الفاعلة المقصودة من المسلم لأجل دينه،(١) يقول الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾[النساء: ٧١]، وقد وردت النفرة في كتاب الله في (١٨) موضعاً(٢).

وتجتمع النفرة مع النهضة كالمصطلح السابق لها (القيام) في كونهما يشكلان الحركة والتفاعل والفاعلية في أداء المهمة الموكولة إلى المسلم على هذه الأرض، وهما بهذا يعدان الجانب العملي من النهضة.

وفي الخلاصة أرى أن الرؤية القرآنية للنهضة تتأكد باجتماع هذه المصطلحات وتكاملها، وذلك كون الإنسان صاحب النهضة هو **خليفة** الله في الأرض، والمطلوب منه **عمارتها وتسخير** ما فيها **لإصلاحها** من فسادها وإعمارها، **ولتغيير** ما فيها من ظلم وكفر وبعد عن الله، **وللقيام** لأجل الله فيها، **وللنفرة** في سبيله على ظهرها، **ليتمكن** فيها ومنها، وليرثها **الميراث** الحق، وبهذا تجتمع هذه المصطلحات وتتآلف في سياق مصطلح متكامل يجمعها ويؤلف بينها؛ ذلك هو مصطلح النهضة في أبهى صوره القرآنية.

وتفصيلاً لما سبق أقول أن النهضة هي الأداء الصحيح لحق **الاستخلاف** في الأرض، وهي حقيقة **إعمار** الأرض ورعايتها، والناهضون حقاً هم أولئك

---

(١) ينظر الدقور، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، (١٢٢_١٣٩).

(٢) عبد الباقي، المعجم المفهرس، (٨٠٣).

الذين **يرثون** الأرض **ويمكن** الله لهم فيها، **ويسخرها** لهم على أحسن وجه يتمنونه.

وكل ذلك جزاء سعيهم **لتغيير** ما فيها من فساد، **وإصلاح** ما فيها من اختلالات، ويتمثل سعيهم وعملهم هذا بقيامهم لله حق **القيام**، ونفرتهم في سبيله حق **النفرة**.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن كل مصطلح من هذه المصطلحات السابقة يستحق دراسة موضوعية مستقلة، حتى يظهر معناه الصحيح، وتتوضح عناصره القرآنية بما يفيد أمر الأمة الساعية لتشكيل نهضتها، فلعل الله أن ييسر لهذه المصطلحات من طلاب تخصص التفسير وعلوم القرآن من ينقب عن الرؤية القرآنية لها؛ فهو باب من العلم مطلوب أكاديمياً من ناحية، وهو من ناحية أخرى مطلب مجتمعي لحاجة الأمة إلى مثل هذه الدراسات التي تؤسس وتؤصل للمصطلحات القرآنية المحركة للأمة ونهضتها.

المطلب الثاني: منهجية القرآن الكريم في تناول موضوع النهضة

القرآن الكريم كتاب له أسلوب مميز في تناوله لموضوعاته وغير معهود في غيره؛ إذ إن موضوعاته تكون متشابكة مترابطة فيما بينها، وليس كل موضوع منفصلاً أو مختصاً بسورة معينة أو مجموعة آيات خاصة، وذلك أن القرآن لو اتخذ أسلوب الحديث عن كل موضوع وحده لكانت موضوعاته محدودة أولاً؛ كونه كتاباً واحداً وليس سلسلة كتب، ولكانت آياته كثيرة جداً ثانياً، ولكان حجمه أكبر مما هو الآن بعشرات المرات؛ وهذا لأن الموضوعات التي تحتاج إلى تبيين وتعريف بها- مما يخص الإنسان الذي أنزل إليه هذا الكتاب - موضوعات كثيرة جداً، وانظر في الموسوعات العلمية التي تحاول أن تستقصي المصطلحات أو المفاهيم أو المعارف الإنسانية لترى كم تبلغ أعداد أوراقها وأجزائها.

وهذا الأمر - توزيع الموضوع القرآني بين الآيات والسور- يدل على أن أسلوب القرآن في توزيع الموضوعات وتشكيلها مع قرائنها في سياقات متعددة، وفي ثنايا أساليب مختلفة وتنوعات متباينة - قصص وأحكام ووعظ وتقرير وأوامر ونواه ووصف وما إلى ذلك- هو أمر معجز لا يستطيعه إلا منزل الكتاب سبحانه وتعالى.

ووجود الموضوع القرآني على شكل آيات متفرقة مبثوثة في عدة سور ومواقع مختلفة أمر محمود، يجعل للمواضيع القرآنية خصائص مميزة لها يستفيد منها من يتتبع أي موضوع قرآني ليبحث فيه، وهذا الموضوع يعد من الموضوعات المحتاجة إلى دراسة قرآنية تأصيلية لمنهجية تناول القرآن الكريم لموضوعاته، وطرائقه وآلياته في ذلك، وهي دراسة تستحق البحث، ولها أولوية أكاديمية ومجتمعية في عصرنا الحالي، أوجه الإشارة لها هنا عسى أن تجد باحثاً مجداً يتناولها بالبحث والدرس.

وفيما يأتي بعض هذه الميزات التي يجدها من يتتبع موضوعاً قرآنياً في ثنايا آيات الكتاب الكريم:

١. أن تأتي كل جزئية من الموضوع في سياق معين يظهرها بجلاء، وفي موقع مخصوص يبين دلالتها وقيمتها الخاصة من بين عناصر الموضوع الأخرى.

٢. أن ترد كل آية تتحدث عن الموضوع في سورة معينة؛ إذ يكون لهذه السورة شخصية مميزة، فيفيد هذا في تقرير علاقة وترابط هذه الجزئية من الموضوع التي تناولتها تلك الآيات مع الموضوعات الأخرى التي تناولتها السورة؛ وذلك اعتماداً على وجودها في تلك السورة ذات الشخصية المميزة.

٣. تتبع هذه الآيات التي تتحدث عن موضوع ما من مواقع شتى يفيد في تكوين الصورة الحقيقية لهذا الموضوع، ويساعد في تشكيل العناصر الرئيسة فيه؛

وذلك بالاستناد إلى ورود هذه الآيات بأساليب مختلفة متباينة؛ فقد يرد أحدها في إشارة لحكم شرعي، وآخر في تقرير لسنة ربانية، وثالث في حوار في قصة قرآنية، وبجمع هذه الآيات معاً تظهر الخصائص المميزة لكل جزئية منها بحسب موقعها وسياقها الذي وردت فيه.

وكل ما سبق يمكن تطبيقه عملياً على موضوع النهضة؛ فقد جاء الحديث عن مضامينها والكلمات الدالة عليها بعدة أساليب، وفي عدة سياقات، وفي سور متعددة.

وقد سبق الحديث عن تناول القرآن الكريم في ثناياه للألفاظ والمصطلحات القريبة من مفهوم النهضة، وهنا يتركز الحديث على كيفية تناول القرآن لهذه الألفاظ وأسلوبه المميز في ذلك.

وأول مظهر بارز في تناول كتاب الله لموضوع النهضة هو تناول القرآن لها في صورة نماذج عملية، وضرب أمثلة عليها من خلال تناوله لقصص الأنبياء وقصص الأمم السابقة، وذلك أن بيان الأفكار في معرض القصص من أوثق الأساليب التربوية؛ إذ النفس مولعة بحب القصص ومعرفة الأحداث وتتبع الأخبار، والقرآن الكريم يتخذ في هذا الجانب منحى علمياً ومنهجياً مميزاً بطريقة قصه للقصص؛ إذ يهتم بالجوانب التربوية والقيمية في الحدث أو الخبر الذي يقصه، ويركز على إبراز الحقائق المهمة التي يحتاجها القارئ ليتمثلها ويطبقها، والقرآن الكريم لأجل ذلك تجده خالياً من الحشو والباطل واللغو الذي لا طائل وراءه ولا فائدة فيه.

فتلك مثلاً قصة أصحاب الكهف في سورة الكهف أنموذجاً للنهضة لا تجد فيها تبياناً لعددهم، ولا لأسمائهم، ولا تهتم الآيات بذكر اسم المنطقة التي كانوا فيها، ولا القوم الذين ينتمون إليهم؛ بل تركز الآيات في أثناء سردها لقصتهم

على موقفهم الإيماني القوي، وعلى اعتزالهم لقومهم، وعلى ثباتهم على دينهم، وما إلى ذلك مما يشكل القيم الإيمانية والتربوية التي يريد القرآن إقرارها والتأكيد عليها للاقتداء بها وتأسيها أساساً لإنشاء نهضة الأمة وحضارتها.

هذا بالإضافة إلى إظهار القرآن لما أثابهم الله به على ثباتهم وقوة إيمانهم من تأييد رباني، وما أسبغه عليهم من نشر رحمته، وتهيئة الخير لهم، ووفي ذلك من المبشرات للعاملين ما فيه، وفرق كبير بين هذه المعاني العظيمة في قصص القرآن وبين الاهتمام بما في القصص من جوانب لا تفيد ولا تهم المتلقي، وإنما هي علم لا ينفع وجهل لا يضر؛ بل هي من معيقات النهضة ومثبطات الأمة عنها؛ إذ إن انشغال الناس بعامة وعلمائهم بخاصة في أي أمة بهذه الأمور هو دليل انحدار تلك الأمة وانحطاطها(١).

كذلك فإن القصص القرآني في استعراضه لأحداثه يركز على الجوانب التي تربط بين الإنسان والخالق سبحانه؛ فهو قصص يحمل رسالة التوحيد والإيمان والتزكية، وهو ما يسهم في بناء النهضة القرآنية (الإسلامية) بنظام مختلف ومتميز عن غيره، فهي نهضة قائمة على الإيمان بالله وتوحيده، وهذه الميزة ظاهرة وجلية في القصص القرآني كله الذي يعتبر أصل الحديث عن النهضة؛ بما يحمل من تجارب بشرية وإنسانية في تحقيق النهضة عند الأقوام السابقة التي آمنت بخالقها ورسله ورسالاته، أو نهاية بعض الأقوام الذين أضاعوا نهضتهم ودمروا حضارتهم بكفرهم بالله، وتبديلهم نعمة الله كفراً، وإحلالهم لقومهم دار البوار.

كما أن القرآن الكريم أيضاً في تناوله لهذه القصص يبرز الجوانب العملية والوسائل التطبيقية والمناهج الفكرية للنهضة، والتي هي كفيلة بتحقيق النهضة وتمكينها؛ فهي التي تشكل الجانب التطبيقي للنهضة، فانظر مثلاً في وصف الله

---

(١) ينظر الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، (١٤٣-١٥٧)، الفصل الثاني من الباب الثالث.

سبحانه لمرتكزات النهضة ومقوماتها في قصة سليمان عليه السلام،(١) من قوة الجند وتعددهم، وحكمة القائد وصفاته، فضلاً عن الاستعانة بالخطوات العملية لإنشاء النهضة من بناء وغوص وتجارة وزراعة وصناعة ومواصلات واتصالات، وكل ذلك مما كان سليمان عليه السلام فيه صاحب المثل الأعلى في إنشائه للنهضة.

وبجانب آيات القصص القرآني الذي يشكل الأنموذج التطبيقي للنهضة، تأتي الآيات الأخرى التي تحمل الإرشادات والأحكام الشرعية والنظم الربانية للمجتمع المسلم، تجتمع كلها لتؤلف أنموذجاً نظرياً لما يجب أن يكون عليه مجتمع النهضة المسلم، ففي هذه الآيات تصورٌ تكليفيٌ واجب التطبيق على المجتمع الإسلامي بأفراده ومؤسساته وكافة أطيافه، وذلك بحسب النظم الربانية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أسس القرآن لها، تلك النظم التي هي المكوّن الرئيس لمجتمع النهضة المسلم.

ونظرة فاحصة مدققة في أي نظام من هذه النظم القرآنية تظهر كيف أن القرآن الكريم لم يغفل أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية التي ترتكز عليها نهضة الأمم، فها هو نظام الأحوال الشخصية، وذاك هو نظام العقوبات والحدود والقصاص، وهذا نظام المعاملات، وهذه أنصبة المواريث، وتلك الآداب السلوكية للمجتمع، وغيرها الكثير مما حملته آيات الأحكام في القرآن كلها تؤسس لمجتمع نهضوي مميز.

وأما الآيات المخصوصة بالعبادات من صلاة وصيام وزكاة ونسك، والتكاليف الربانية فيما بين الإنسان وخالقه سبحانه من تقوى وإحسان ويقين وتوكل وما إلى ذلك، فلربما يظن ظانٌّ أنها بعيدة عن موضوع النهضة وتداعياته،

---

(١) ينظر الدقور، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، (١٨٣_٢٢٦).

وهذا ظن خاطئ في غير محله؛ فلا ريب في أن للعبادات مقاصد عليا، ولا شك بأن من أعظم مقاصدها تنظيم علاقات الإنسان بالخالق والخلق، وبالتأكيد فإن لها (العبادات) دوراً عظيماً في استقرار المجتمع ونهضته وتقدمه ورقيه وحضارته.

ثم ترد مجموعة من الآيات هي أعظم ما يرشد إلى مقومات النهضة وعناصرها في كتاب الله سبحانه؛ تلك هي آيات الأنفس والآفاق؛ فهذه الآيات التي تتحدث عن النفس البشرية وخلقها وصفاتها وتقلباتها وهمومها وحاجاتها، وتلك الآيات التي تتحدث عن آفاق الكون وما فيه من كائنات ومخلوقات، وما يقوم عليه من سنن ربانية وقوانين إلهية تحكمه، إنما تتكامل هذه الآيات لتعرّف الإنسان على نفسه وعلى العالم من حوله، وهي بذلك أكثر ما يرشد الإنسان إلى كيفية نهوضه والرقي بنفسه وتزكيتها في ظل معرفته بها وبما حباها الله به من مميزات وخصائص، إلى جانب الاطلاع على أحوال الكون من حوله، وما فيه من طاقات وأشياء وما يحكمه من قوانين وسنن ربانية، وذلك كي يستغلها الاستغلال الأمثل لمصلحة نهضته.

وتكتمل الصورة القرآنية لتناول النهضة بالآيات التي تتحدث عن المنشأ والمعاد، وعن البعث والنشور، وعن الجنة والنار، وعن الحساب والعذاب، تلك الآيات التي تبين حال الإنسان ومآله في الحياة الأخرى، فهذه الآيات تربط المسلم بالمصير والمقصد من الوجود ترغيباً ورجاءً من جانب، وترهيباً وتخويفاً من جانب آخر، وهذا مما له أعظم الأثر في تكوين الإنسان لنهضته وسعيه في الدنيا وفق ما يكفل له المصير الحسن في تلك الدار.

وهكذا فإن القرآن الكريم قد أظهر النهضة المرجوة للمجتمع المسلم بأبهى صورة، ولم يدع شاردة ولا واردة إلا وتكلم عنها في ثنايا آياته الكريمة؛ سواء منها ما كان قصصاً، أو أحكاماً تكليفية، أو أنظمة تشريعية، أو آيات الأنفس

والآفاق، أو آيات المنشأ والمعاد، كلها تجتمع بصورة متكاملة لتكون مفهوم النهضة القرآني، وتشكل مقوماته من أهداف ومجالات وتحديات وأركان ووسائل تحقيق وقيم وآثار وثمار.

المطلب الثالث: تحديد مقومات النهضة في القرآن الكريم

النهضة في القرآن الكريم نهضة مميزة عن غيرها من النهضات، فلها مبادئ تقوم عليها، ولها أهداف عظيمة تسعى لتحقيقها، ولها وسائل لتحقيقها، وتحمل قيماً راقية، وتحقق في المآل آثاراً جميلةً ومظاهر تدل عليها، وهذه النهضة القرآنية الواقعية الإنسانية هي ما تقوم هذه الرسالة بتجليته وإظهاره.

ولأجل ذلك فإنه يتوجب ابتداءً أن تتحدد المقومات التي سيتم بحثها في هذه الدراسة، تلك المقومات التي تسهم في تشكيل النهضة القرآنية، وقد سبق في المطلب الثاني من المبحث الأول بيان العناصر التي يمكن من خلالها تحديد المقومات التي ستبحث وتدرس. فالنهضة في القرآن تقوم على العناصر الآتية:

- أهداف النهضة
- مجالات النهضة وأنواعها
- تحديات النهضة
- أركان النهضة
- وسائل تحقيق النهضة
- قيم النهضة
- آثار النهضة

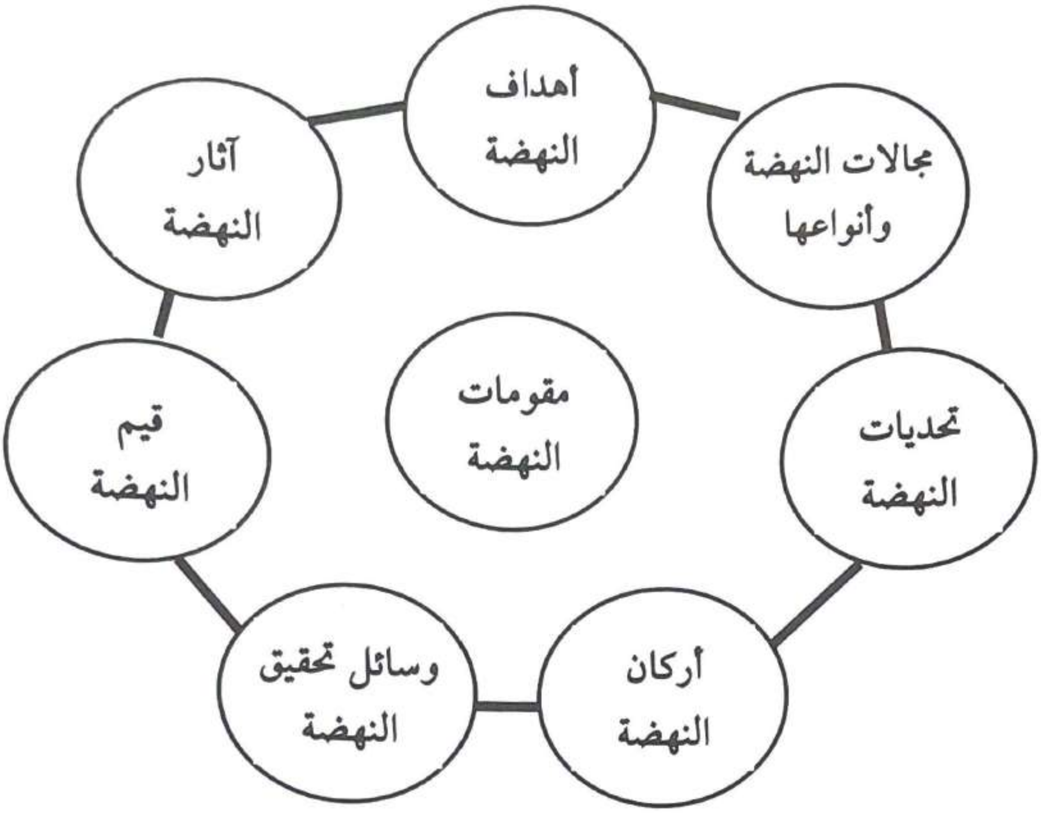
أهداف النهضة
مجالات النهضة وأنواعها
تحديات النهضة
أركان النهضة
وسائل تحقيق النهضة
قيم النهضة
آثار النهضة
مقومات النهضة

وفيما يأتي تفصيل هذه المقومات:

▪ أولاً: أهداف النهضة

تختلف النهضة القرآنية عن غيرها بكونها ذات أهداف ومقاصد عليا، ولكل نهضة مقاصدها وأهدافها، ولكن فرق كبير جداً ما بين نهضة تسعى للقوة والسيطرة، أو التحكم والاستبداد في الأرض، وبين نهضة تسعى إلى إعمار الأرض وإصلاح فسادها وخلافة الله سبحانه فيها، وتتميز النهضة في القرآن الكريم بكون أهدافها أهدافاً ربانية المصدر، فهي من لدن من يعلم مصالح خلقه وما يفيدهم؛ إذ قد يتلبس البشر في طريق نهضتهم بأهداف ومقاصد تضرهم أكثر مما تنفعهم، وقد يظهر لهم أن هذا المقصد هو الخلاص وهو الطريق إلى السعادة، فيظهر لهم بعدُ أنه أبعد ما يكون عن تحقيق النهضة؛ بل ربما يكون هو سبب النكسة والضياع.

وبناء على هذا يمكن التقرير أن مدار أهداف النهضة القرآنية على ثلاثة مقاصد عليا؛ تدور عليها معظم آيات كتاب الله، ويمكن عدها أيضاً مقاصد القرآن الكريم الكلية في موضوع النهضة أو غيره، وهذه هي أهداف النهضة في كتاب الله:

١. **تحقيق العبودية لله**: ويتمثل هذا الهدف بتشكيل تصور الإنسان الصحيح للوجود عبر ترتيب علاقة الإنسان مع خالقه بالتوحيد، يقول الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وهذا المقصد هو الذي يؤلف المجتمع على فكرة واحدة ومبدأ واحد وطريق واحد، وهو الكفيل بذلك أن يحقق النهضة برسوخ وثبات؛ وذلك أن عقيدة التوحيد حين تنغرس في عقول المؤمنين بالله الواحد وقلوبهم وأرواحهم تجعلهم متجهين في أفكارهم وتصوراتهم، وفي أعمالهم وسلوكاتهم، وفي كل شؤونهم إلى غاية واحدة ووجهة موحدة؛ ألا وهي رضوان الله سبحانه والقرب منه، وهذا أساس القوة والفاعلية في تحقيق النهضة.

وفي نهضة المجتمع الإسلامي في زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، تلك النهضة للأمة التي استحقت بنهضتها وصف الله سبحانه لها بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، المثال الأعلى في تشكيل التوحيد للنهضة هدفاً مرجواً من وراء بذل الجهد لتحقيقها، ودوره مقصدا أعلى في انبعاثها ورسوخها وسرعة تحقيقها واستمرارها؛ وذلك أن النهضة تحتاج إلى فكرة مركزية تدور حولها وتكون أساساً محركاً لها، وأي فكرة أقوى وأمتن وأصدق وأحق بالاتباع من التوحيد !؟.

٢. **تزكية الإنسان:** والمتمثلة بتكوين سلوك الإنسان السليم في الحياة عبر ترتيب علاقة الإنسان مع نفسه، يقول الله سبحانه: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا (٨) قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (١٠)﴾ [الشمس: ٧ – ١٠]، وبما أن الإنسان هو عنصر النهضة الأول وعمودها الأساس فإن تزكية نفسه وترتيب شؤونها هو أجل أهداف النهضة، وأكمل دوافعها وبواعثها.

وتزكية النفس وتربيتها والاحتفاء بها بتشكيلها وصناعتها بالشكل الملائم لتقوم بمهمتها الوجودية، ولتحقق أهداف خلقها من عبادة لله وإعمار للأرض هو من أعظم مقاصد القرآن؛ فما أنزل القرآن ولا أرسلت الرسالات إلا لأجل هذا المقصد، وما وضع في الكتاب من آيات وأحكام وقصص وترغيب وترهيب إلا بهدف تزكية نفس هذا الإنسان.

وإذا تزكت النفس وتربت بحسب آيات القرآن الحكيم فتلك هي الغنيمة الكبرى، والهدف الأسمى للنهضة القرآنية، فالنهضة القرآنية تهدف إلى تحقيق أعلى مثال تزكوي لنفوس الأفراد بما يحقق من ثم أصفى مثال للمجتمع المزكى القائم على أخلاق القرآن وآدابه، وتلك لعمري هي النهضة الصحيحة الحقة.

٣. **عمران الأرض:** المتمثل بتمكين الإنسان من تحقيق رسالته ووجوده عبر ترتيب علاقته بالناس والعالم من حوله،(١) يقول الله عز وجل: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[الروم: ٩].

---

(١) ينظر مصطلح (الإعمار) في المطلب الأول من هذا المبحث.

وتتميز النهضة القرآنية عن غيرها من النهضات بأنها تهدف إلى عمارة الأرض وفق منهج الله سبحانه في قرآنه؛ فلا هي تسعى لمنافع تخص جنساً دون جنس، أو لوناً دون لون، أو شعباً من بين الشعوب؛ بل تسعى إلى تحقيق الحياة المطمئنة والسعادة في الدارين للبشرية والإنسانية جميعها.

وعمارة الأرض هدفٌ أصيلٌ للنهضة القرآنية، وذلك وفق الشرطين الآتيين:

○ **عمارتها وفق قانون الله سبحانه وسننه:** ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، فعبادة الله ومعرفته هي غاية الاستقرار الأرضي، واتباع أوامر الله وطاعته هو الهدف من تحرك الإنسان في الأرض وتعامله مع مقدراتها، وسلوكه مع الذين يشاركونه المعيشة عليها، وبتحقيق الأنموذج الذي يريده الله تعمر الأرض على أكمل أوجهها وأفضلها.

○ **عمارتها بحسب مصالح الإنسانية جمعاء،** فالقرآن يهدد من يفسد في الأرض: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، ويبين طريق الرسل فيها: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ويرشد إلى مطالعة أحوال الأمم التي سبقتنا على الأرض من إعمار أو إفساد: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ١٢٨]، وغيرها كثير من الآيات التي تشكل بمجموعها ضرورة أن تعمل النهضة على شمول بني الإنسان جميعهم في عمارتها.

▪ ثانياً: مجالات النهضة وأنواعها

والنهضة القرآنية لها مجالات تتحقق فيها، كما أن لها في القرآن أنواعاً متعددة مختلفة، وفيما يأتي بيان هذه المجالات وتلك الأنواع...

- **مجالات النهضة:**

فتتحقق النهضة القرآنية في المجالات الأربع المتقابلة الآتية:

١. **المجال الفكري التصوري**، وهو المتشكل من آيات العقيدة، وآيات الكون، وآيات المنشأ والمعاد.

٢. **المجال العملي السلوكي**، وهو الذي تشكله آيات الأحكام، وآيات النظم القرآنية، وآيات الأخلاق والآداب والسلوك.

٣. **المجال الفردي**، ففي القرآن إرشادات وتنبيهات وأوامر ونواهٍ يتوجب تحقيقها على الفرد الذي يسعى لتحقيق نهضة أمته.

٤. **المجال المجتمعي أو الجمعي**، فهناك في القرآن آيات كثيرة ترشد وتبين كيفية نهوض الأمة مجتمعاً متكاملاً.

وهكذا يتبين أن النهضة القرآنية متحققة في المجال الفكري التصوري كما هي متحققة في المجال العملي السلوكي، وهي بهذا شاملة للحياة كلها، ولم تغفل أياً من الجوانب الضرورية للنهضة. كما أنها بكمالها استوعبت المجالين الفردي والجمعي كليهما ولم تغلب جانباً منهما على الآخر، كما لم تحاب مجالاً منهما على حساب الآخر، فهي بذلك نهضة الوسطية بين الاشتراكية والرأسمالية، ونهضة الاعتدال بين المثالية والواقعية.

- **أنواع النهضة:**

وللنهضة في القرآن الكريم أنواع متعددة،(١) فيما يأتي الإشارة إلى بعضها:

١. **النهضة السياسية**، ويمكن التمثيل لها بالنماذج الربانية للحكم السياسي بين الصالح والفاسد؛ فيقدم القرآن الملك الصالح ذا القرنين، والنبي المحسن

---

(١) ينظر الدقور، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، (٢١٢ _ ٢١٦).

يوسف الصديق عليه السلام رمزين للنهضة السياسية الصالحة، على حين يقدم بالمقابل فرعون مثلاً يتبين من خلاله الأنموذج الفاسد لاستغلال السياسة، وادعاء النهضة.

٢. **النهضة العسكرية،** فها هي أقوام عاد وثمود رموز للنهضة العسكرية السلبية المتغطرسة بقوتها وقدراتها دون اعتراف بخالقها ومانحها أسباب القوة، يقول الله سبحانه واصفاً قوم عاد: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥]، ويقول في وصف ثمود: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾[الفجر: ٩]، وبالمقابل ترى الأمثلة مضروبة في سليمان عليه السلام وقوته العسكرية، وصفات جنده القائمين بنهضتهم العسكرية مقام المثال الأعلى للنهضة العسكرية المطلوبة، يقول الله عز وجل: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

٣. **النهضة العلمية،** إذ يعد العلم أساس النهضة وأحد أركانها الرئيسة، يقول سبحانه تبياناً لقيمة العلم: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، ويقول تنبيها على أعلى مراتبه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ويقول على لسان سليمان عليه السلام مبيناً أن العلم هو أصل النهضة والتحضر: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢]، وآيات كثيرة أخرى في جانب تبيين النهضة العلمية، ومن جانب آخر تجد قصة قارون تعطي أنموذجاً على العلم الذي يتكبر به صاحبه مع أنه كان حرياً _ لو استغل _ بتشكيل مقومات النهضة

والرفعة له، **يقول عز وجل**: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]، وبهذين الجانبين تكتمل الصورة القرآنية المرسومة للنهضة العلمية.

٤. النهضة الزراعية، وتطالعنا هنا تلك الآيات التي تتحدث عن تصرفات يوسف عليه السلام ليحافظ على مقدرات بلده من زروع وثمار في سنين القحط والجدب، وذلك بما جعلها بلداً قوياً ناهضاً تؤمه الأمم من حوله في سنين الشدة، **يقول تعالى**: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ (٤٩)﴾ [يوسف: ٤٧ – ٤٩].

٥. النهضة الصناعية، ويضرب الله لها العديد من الأمثلة والنماذج، كالسد الذي بناه ذو القرنين: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا (٩٥) ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ [الكهف: ٩٥ – ٩٦]، وصناعة الدروع عند داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وأنواع متعددة من الصناعات؛ كالمحاريب، والتماثيل، والجفان عند جند سليمان عليه السلام: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣]، وكل ذلك أمثلة تطبيقية على كيفية تشكيل النهضة الصناعية وضرورتها نوعاً مهماً من أنواع النهضة القرآنية المطلوبة.

■ ثالثاً: تحديات النهضة

حتى تكتمل الصورة القرآنية للنهضة فلا بد من استعراض الآيات القرآنية التي بينت كثيراً من الأمور التي تشكل تحديات أمام تحقيق النهضة وعقبات في سبيل تكوينها، وهذا ماثل بشكل واضح في الآيات التي تحدثت عن أسباب هلاك الأمم السابقة؛ تلك الأسباب التي دمرت نهضات الأمم ومهدت لانتهاء وجودها وتوقف نهضتها، وفيما يلي بعض الأمثلة على أنواع من الفساد ذكرها القرآن تعد أسباباً معيقة للنهضة ومثبطة لها:

— **الفساد الاقتصادي:** والذي تمثل في قوم شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥].

— **الفساد الأخلاقي:** والمتمثل في قوم لوط عليه السلام: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ (٨١)﴾ [الأعراف: ٨٠ – ٨١].

— **الفساد الاجتماعي:** ويمثله قوم عاد وثمود الذين اجتمعوا على التكبر في الأرض بغير الحق، والاغترار بالقوة، وعدم اتباع الرسل: ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

— **الفساد السياسي:** ويقدم له القرآن الكريم أنموذج فرعون الطاغية السياسي: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

وغير ذلك الكثير من مثل هذه الأنواع من الفساد، الذي أبرزته آيات الكتاب الحكيم ناقضاً ومهلكاً لنهضة الأمم وسبباً لدمارها، والذي بينت الآيات من خلال التعرض له المحاذير والعقبات التي يجب الابتعاد عنها وتخطيها في طريق نهضة الأمة.

▪ رابعاً: أركان النهضة

وتقوم النهضة القرآنية على أركان أساسية، تميزها عن غيرها، وتخصصها بسمات فارقة ترفعها عن غيرها من النهضات، ويمكن اعتبار هذه الأركان مبادئ النهضة وقواعدها القرآنية، تلك المبادئ التي تعرفها وتجليها لمن لا يعرفها، وهذه برأي الباحث أهم ثلاثة أركان منها:

— **الإيمان،** فجميع الرسالات التي جاءت لإصلاح الأمم والنهوض بها قامت في أساسها على الإيمان بالله واليوم الآخر وبالرسل ورسالاتهم وكتبهم، يقول الله سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

— **العلم،** إذ كثيراً ما ينبه القرآن على ضرورة العلم وأهميته، وعلى سوء الجهل وضرره، وما أنزل القرآن ولا أرسلت الرسل من قبله إلا لأجل تعليم البشرية، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟

عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

— **العمل الصالح،** الذي جاء القرآن الكريم تبياناً لكيفيته، وللكشف عن وسائله وطرقه وأساليبه ومناهجه، حتى يمكن القول أن القرآن الكريم أنزل لأجل العمل الصالح،[١] يقول الله عز وجل: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].

■ خامساً: وسائل تحقيق النهضة

ولا يجعل القرآن الكريم موضوع النهضة موضوعاً نظرياً تصورياً فحسب؛ بل هو يركز كثيراً على الجانب العملي والحركي فيه، فقد تناولت آيات القرآن وسائل متعددة، وأساليب متنوعة، ومناهج مختلفة لتحقيق النهضة القرآنية، منها على سبيل المثال لا الحصر:

— **الدعوة،** وهي من أهم الوسائل التي تتحقق النهضة من خلالها، فبالدعوة يُنشر الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلك أداة إذا انتشرت في مجتمع وتفاعلت فيه كانت سبباً في تشكيل حركة مجتمعية عامة توجه المجتمع كله وتأخذ بيده إلى نهضته، ولقد كان عمل الأنبياء والمصلحين على مر التاريخ قائماً في أساسه على هذه الوسيلة الربانية، فهي عمل الأنبياء: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وهي

---

[١] يقول الحسن البصري رحمه الله: "أنزل هذا القرآن للعمل به، فجعل الناس قراءته عملاً". رواه عنه ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣_ ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م، (١/ ٤٤٩).

أمر الله إلى نبيه الخاتم ومن تبعه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وهي تكليف الأمة ومهمتها: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾]آل عمران: ١١٠].

وهذه الوسيلة ليست طريقاً واحداً، ولا هي مقتصرة على أسلوبٍ واحدٍ كذلك؛ بل لها أساليب متعددة وطرق مختلفة، فالحكمة دعوة، والموعظة الحسنة دعوة، والنصيحة دعوة، والخطبة دعوة، والمجادلة بالتي هي أحسن دعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعوة، وكلمة الحق دعوة، والحوار في أحد جوانبه دعوة، وعملية التعليم في بعض الأوقات دعوة كذلك، والخطاب الإعلامي غدا في زماننا أولى طرق الدعوة وأحقها ضرورة لاستغلاله لأجل الدعوة، وكم في كتاب الله من نماذج وطرق وأساليب لهذه الوسيلة التي هي من أقوى وسائل تحقيق النهضة.

— **الجهاد**، وهو وسيلة أخرى تشكل إلى جانب الدعوة طريقاً لإنشاء نهضة الأمة؛ فالجهاد فرع من الدعوة إلى الحق، وهو السياج الكفيل بمنع الأذى عن الدعاة حتى تصل دعوتهم للناس، وهو الطريق لنشر الحق إذا اعترضه معترض أو واجهته عقبة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[المائدة: ٣٥]، وهي سلاح النهضة ووسيلتها الحافظة الحامية لها: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

والجهاد من أعظم وسائل الدعوة، كما أن الدعوة من أعظم وسائل الجهاد، وبهما معاً يتحقق للنهضة كيانها؛ فالدعوة هي باب الناس للإيمان برسالة الأمة الربانية والدخول في نهضتها المنشودة، والجهاد هو السور المحيط بهذه النهضة ليحميها من المعيقات والمثبطات والحواجز التي تحول دونها ودون تحقيق دورها والوصول إلى أهدافها.

— **الحكمة،** وهنا الحديث عن وسيلة دعوية هي فرع من وسيلة الدعوة⁽¹⁾ سابقة الذكر، ولكن مقصودها هنا أنها وسيلة لتحقيق النهضة هو وضع الأمور في نصابها الصحيح، فتكون بذلك وسيلة إدارة مؤسسات النهضة، ووسيلة الحكم لسلطة النهضة، وأسلوب الإعلام النهضوي، وطريق السلوك المجتمعي، فتشكل الحكمة بذلك لبنة أساسية في تكوين النهضة: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، والحكمة من معانيها الذكاء والتعقل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢]، ومنها الإبداع والتميز في الإدارة والحكم: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]، ومنها الإحسان والكمال في السلوك: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩]، وكل ذلك من الأمور الضرورية، والوسائل المهمة لتحقيق النهضة.

— **النصيحة،** وهي وسيلة للتعامل بين الأفراد القائمين على إنشاء النهضة والساعين لتحقيقها، فعلها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكانت لهم سبيلاً: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢]،

---

(١) يلاحظ أن كل طريقة أو أسلوب من أساليب الدعوة سابقة الذكر يمكن اعتباره وسيلة مستقلة، ويستحق كل جانب منها أن يفرد في بحث مستقل لتبين فيه القواعد القرآنية والسنن التي ذكرتها آيات الكتاب والشروط والعناصر لكل وسيلة من هذه الوسائل.

وهي أحد الأركان الأربعة للنجاة من الخسران: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ (١) إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ (٢) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ (٣)﴾[العصر: ١-٣]، فالتواصي بالحق، والنصيحة والتناصح، تشد قوى الناهضين، وتخرج من بينهم أسباب الضعف، فتحقق النصيحة بذلك إحدى وسائل الدعم للنهضة والعاملين عليها.

▪ سادساً: قيم النهضة

وكما أن وسائل النهضة القرآنية كثيرة ومتعددة فكذلك القيم التي تحملها النهضة القرآنية، فهي متميزة بقيمها التي تسعى لإيجادها وتحقيقها، وهذه القيم جزء لا يتجزأ من مقومات النهضة القرآنية، وبغيره فلن تكون النهضة قرآنية، بل هي نهضة أخرى، فلا سبيل إلى تكوين النهضة القرآنية إلا سبيل القيم، ومن هذه القيم التي تحملها النهضة القرآنية مثالاً لا حصراً:

— **العدل،** يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨]، فالعدل بين الناس في الحكم وفي التعامل، وعدم التطفيف، وعدم الميل عن العدل، كل ذلك من شأنه أن يحقق للنهضة قوة الثبات والرسوخ.

والعدل أساس الملك، وميزان الحق، وبه تثبت أمور الأمة وشؤونها، فهو أمر رباني لمصلحة الأمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠]، وعليه العمدة في تقرير الطمأنينة والسكينة والحياة الطيبة والأمن والأمان لأبناء المجتمع في الطريق لنهضتهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ

إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩]، ولا شك أن الظلم في المقابل هو من أشد العقبات والموانع التي تقف في طريق تحقيق النهضة وإقامتها.

— **الوحدة،**(١) ويقصد بها تلك القيمة التي تجمع أبناء النهضة الإسلامية وتوحد بينهم؛ فالعقيدة التي يؤمنون بها واحدة، والشريعة التي يطبقونها واحدة، والأخلاق التي يمارسها الجميع واحدة، وتاريخ الأمة واحد، وثقافة الأمة واحدة، وفكرها كذلك واحد: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقيمة الوحدة بهذه المفردات التي تقرب أفراد الأمة وتوحدهم تعد من أهم القيم النهضوية للأمة، وعبرها وبها تقل الإشكالات وتذلل العقبات أمام نهضة أمة الإسلام وحضارتها.

— **الاهتمام بالوقت،** وهي قيمة واضحة ظاهرة جلية في آيات القرآن الكريم؛ فكم من سورة مفتتحة بقسم من الله سبحانه بجزء من الوقت؛ كالفجر، والعصر، والضحى، والليل، والفلق، والشمس دليل النهار، والقمر دليل الليل، وغير ذلك من أجزاء الوقت التي أقسم الله بها؛ للفت النظر إلى قيمة الوقت وأهميته.

وهذه القيمة التي يجعلها مالك بن نبي أحد العناصر الثلاث الرئيسية لنهضة الأمة: (الإنسان والزمن والتراب)،(٢) هي عامل النجاح في النهضة؛ فما ارتفعت

---

(١) مجموعة من الباحثين، القرآن الكريم ومقومات النهضة، (٤٠٨ _ ٤١٣).

(٢) ينظر بن نبي، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت: ١٣٩٣هـ)، شروط النهضة، محقق بإشراف ندوة مالك بن نبي، نشر دار الفكر-دمشق سورية، ط ١٩٨٦م، فهرس الكتاب.

الأمم ونهضت إلا باحترام الوقت، وما حصل الانحطاط والتأخر في أمم أخرى إلا بإهدارها لثمين أوقاتها في ترف أو فساد أو معارك جانبية تضيع الوقت وتضيع من بعده النهضة. وقيم النهضة في كتاب الله كثيرة جد كثيرة، فهو الكتاب القيّم الذي جاء لإعلاء القيم.

▪ سابعاً: آثار النهضة

والنهضة القرآنية التي تؤسس لها آيات الكتاب أنواعاً وأهدافاً وتحدياتٍ وأركاناً، والتي تشرح الآيات الكريمة وسائل تحقيقها، والقيم التي تحملها، لا بد لها من آثار في المآل، ولا بد لها من نتيجة متحققة تظهرها وتبينها، وهذه الآثار والثمار هي التي نقيس عبرها مقدار تحقق الأهداف المرجوة من النهضة، وبفقدها أو نقصانها يحدث الخلل في النهضة، ويبدو القصور فيها بمقدار ما حصل من عجز في آثارها ونقص في ثمارها؛ فآثار النهضة وثمارها لذلك من أهم مقومات النهضة.

وفي كل قصص القرآن الكريم التي تعد نماذج النهضة وتجاربها الإنسانية السابقة تبرز آثار واضحة وثمار يانعة لتحقق النهضة، كما تظهر في المقابل آثار مدمرة وثمار مهلكة لتنكب طريق النهضة ومحاربتها.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]، فنجاة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وانتصار الحق هو ثمرة من ثمار النهضة، وتمكن الأنبياء وتمهيد الأرض لهم كذلك ثمرة، يقول عز وجل: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، والتمكين في الأرض للأمة من أعظم الثمار: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ

لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]، والنصر على الأعداء كذلك: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٣].

وفي القرآن الكريم كذلك أمثلة كثيرة جداً ـ لا تحتاج إلى إثبات لظهورها ـ على هلاك الأمم السابقة كأثر يدل على تنكب طريق النهضة، وثمرة مرة من ثمار استعداء طريق النهوض القرآني. والخلاصة هنا أن القرآن الكريم احتوى أمثلة كثيرة في كل قصة قصها على ثمرة أو أثر ما تحقق من وجود النهضة أو انعدامها.

المبحث الثالث: علاقة سورة الكهف بالنهضة ومنهجها في تقرير حقائق النهضة

قبل الدخول إلى بحر كلمات الرحمن في سورة الكهف لاستخراج ما فيه من لآلئ النهضة وكنوزها المبثوثة في ثنايا السورة لا بد من تقديم يتبين فيه ذلك التناغم والتناسق والترابط ما بين سورة الكهف من ناحية وموضوع النهضة من الناحية الأخرى، وهو الرابط الرئيس، والحبل المتين، الذي ستقوم عليه عناصر التمثيل التطبيقي لهذه الرسالة ومفرداتها، وسيأتي ذلك في مطلبين يتناول أولهما علاقة سورة الكهف بالنهضة، ويحتوي ثانيهما على منهج سورة الكهف في تقرير حقائق النهضة.

المطلب الأول: علاقة سورة الكهف بالنهضة

للتعرف على علاقة سورة الكهف بموضوع النهضة ينبغي النظر في الموضوعات التي تناولتها سورة الكهف في آياتها لاستخراج الوحدة الموضوعية(١) والإطار الناظم لهذه السورة.

وكما لا يخفى على كل مسلم فإن سورة الكهف تميزت باحتوائها على أربعة من القصص لم ترد في غيرها من القرآن، وهذه القصص هي:

— **قصة أصحاب الكهف**، والتي افتتحت بها قصص السورة، والتي سميت سورة الكهف بها.

— **قصة صاحب الجنتين**، القصة الثانية في الترتيب.

— **قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح**، والتي رغم كثرة ذكر موسى عليه السلام في آيات القرآن إلا أن هذه الحلقة من سيرته لم ترد إلا في هذه السورة.

— **قصة ذي القرنين**، والتي هي آخر القصص في الترتيب.

ولأجل هذه الميزة أكثر الباحثون والمفسرون والمتخصصون في القرآن وعلومه من الحديث حول سورة الكهف وتميزها، وحاول كثير منهم البحث عن الروابط التي تربط هذه القصص موضوعياً، وبُحث الموضوع الرئيس الذي يمكن من خلاله تناول سورة الكهف وحدةً واحدةً على تنوع قصصها الأربعة وما بينها من آيات أخرى.

---

(١) الوحدة الموضوعية تعني كما عرفها محمد الغزالي في كتابه نحو تفسير موضوعي أنها أسلوب تأمل عميق يتناول السورة كلها يحاول رسم " صورة شمسية" لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها."، بتصرف عن الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي، محمد الغزالي، نشر دار نهضة مصر، ط١، (٦) المقدمة.

وفيما يأتي بعض اجتهادات المفسرين والباحثين في الحديث عن سورة الكهف:

يميل جمهور المفسرين إلى أن السورة قد احتوت على إجابة أسئلة اليهود التي لقنوها لكفار قريش كي يسألوها للنبي عليه الصلاة والسلام امتحاناً واختباراً لصدق نبوته،(١) ذكر ذلك كثير من المفسرين من أشهرهم: الطبري(٢) والألوسي،(٤) وهؤلاء لم يزيدوا على ذكر سبب النزول أي رابط أو جامع يجمع بين قصص السورة والموضوعات التي تناولتها في وحدة واحدة، وإنما كان ميلهم إلى التفسير التحليلي التجزيئي لكل آية على حدة دون ربط ما في السورة من موضوعات.

واستعرض آخرون من المفسرين ما احتوت عليه السورة من موضوعات، كابن عاشور(٥) والمراغي(٦) ودروزة(٧)، ويمكن جمع هذه الموضوعات التي تناولتها السورة وإجمالها فيما يأتي:

---

(١) سبق الحديث عن هذا الموضوع في أثناء ذكر أسباب نزول سورة الكهف في المطلب الثالث من المبحث الأول من هذا الفصل.

(٢) الطبري، جامع البيان، (١٧/ ٥٩٢).

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ٤٢٨).

(٤) الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ)، تفسير الألوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، (٨/ ١٨٩).

(٥) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير« تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، نشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، (١٥/ ٢٤٦،٢٤٥).

(٦) ينظر المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط ١ ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، (١٦/ ٣١،٣٠).

(٧) ينظر دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، نشر دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط ٢ _ ١٣٨٣ هـ (٥/ ٥٠).

أ- **افتتاحية السورة**، وفيها الحديث عن القرآن القيم غير ذي العوج، وتبشير المؤمنين، وتسلية الرسول ﷺ، وإنذار المشركين بجملة شديدة عليهم، وبيان حال الدنيا وابتلاء الناس بها.

ب- **قصة أصحاب الكهف** وما جرى لهم من الأخبار والأحداث الغريبة وما في ذلك من عبر ودروس.

ت- **تنبيهات** على التمسك بجماعة المسلمين، وعدم الاغترار بالدنيا وزينتها، ووصف مآل المشركين ومآل المؤمنين.

ث- **قصة صاحب الجنتين**، وما فيها من تحذير من الاغترار بالمادة والمال، وذكر مصير المغترين بالمادة.

ج- **أمثلة ومواعظ** في الحياة الدنيا، وذكر الوعد والوعيد في الآخرة، وبيان أصل العداوة بين إبليس وآدم وذريته، والحديث عن مواقف الناس من الرسالات.

ح- **قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح**، وما فيها من أحداث وأسفار وأسرار.

خ- **قصة ذي القرنين**، وأخبار أسفاره في مشارق الأرض ومغاربها، ووصف كيفية بنائه للسد.

د- **بيان** لمآل المؤمنين وغيرهم وأحوالهم في الآخرة، والإشارة إلى كثرة كلمات الله (علوم الله) وأنها لا نهاية لها.

ذ- **الخاتمة**، وفيها الحديث عن طريق النجاة المتمثل بالإيمان بالله والعمل الصالح.

وهؤلاء الذين بحثوا هذه الموضوعات كان لهم نوع من محاولة تلخيص ما احتوت عليه السورة من موضوعات، إلا أنهم لم يزيدوا على ذلك شيئاً، وبقيت

تلك الدرجة التي من خلالها يجمع بين هذه الموضوعات ويربط بينها للخروج بالإطار العام للسورة أو الوحدة الموضوعية لها.

ويمكن بشيء من التدبر والتأمل وإعادة النظر في هذه الموضوعات استخلاص هذا الإطار واستخراج هذه الوحدة التي تجمع بين هذه الجوانب والموضوعات التي تناولتها آيات السورة الكريمة، إذ يبرز فيها جميعها خطاب المسلم بما يعتبر إعداداً قيمياً مضافاً إليه نماذج عملية في كيفية التعامل مع أحوال الدنيا والناس فيها، وبمعنى آخر أن السورة تدعو المسلم إلى النهضة والتحرك لأجل القيام بمهامه في هذه الأرض.

وسأتحدث هنا عن تلك الدراسات القليلة المعاصرة التي قام بها بعض المفسرين لمحاولة الربط بين موضوعات السورة لاستخراج الوحدة الموضوعية لها، حتى أظهر مدى التقارب أو التباعد بين آرائهم وتفسيراتهم وبين ما قررته في الفقرة السابقة هنا.

من أهم المفسرين الذين تحدثوا عن سورة الكهف بوصفها وحدةً واحدةً سيد قطب رحمه الله؛ إذ يقول في افتتاحيته لتفسير السورة في ظلاله: "أما المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط به موضوعاتها، ويدور حوله سياقها، فهو تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر. وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة"^(١). وقد فصل في هذه المحاور الثلاثة أثناء استعراضه للأشواط التي قسم آيات السورة عليها.

وأما القاسمي فيورد في محاسن التأويل هذه الرواية: " قال المهايميّ: سميت بها لاشتمالها على قصة أصحابه (الكهف) الجامعة فوائد الإيمان بالله، من الأمن

---

(١) سيد قطب، تفسير الظلال، (٤/ ٢٢٥٧).

الكليّ عن الأعداء، والإغناء الكليّ عن الأشياء، والكرامات العجيبة، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"(١).

وقريب منه قول الزحيلي في الوسيط: "مهام القرآن العظيم وغاياته في مطلع سورة الكهف، في منتصف القرآن الكريم تحديد الغايات والأغراض التي من أجلها نزل القرآن، ردا على أسئلة قريش التعجيزية، وتحددت هذه الغايات: في إنذار العصاة والمخالفين المشركين بالبأس الشديد من الله تعالى إذا استمروا في عنادهم، وتبشير المؤمنين الذين يعملون صالح الأعمال بالثواب الحسن الجزيل والتأبيد في جنان الخلد"(٢).

وكذلك يخلص سيد طنطاوي في مقدمته لتفسير السورة إلى قول قريب جداً من قول سيد قطب السابق، فهو يقرر أنها "قد ساقت ـ بأسلوبها البليغ الذي يغلب عليه طابع القصة ـ ألوانا من التوجيهات السامية، التي من شأنها أنها تهدى إلى العقيدة الصحيحة، وإلى السلوك القويم. وإلى الخلق الكريم، وإلى التفكير السليم الذي يهدى إلى الرشد، وإلى كل ما يوصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة"(٣).

ويوضح الشرقاوي أن سورة الكهف قد احتوت على أسباب النجاة من الفتن، يقول: "تدور السورة الكريمة حول محور من المحاور الأساسية والركائز الجوهرية لهذا الدين، إنه الهدف الأساسي الذي نزل من أجله القرآن: إنه العصمة من أمواج الفتن المتلاطمة وحشودها المتلاحمة، فتن متنوعة متباينة متزاحمة تجعل الحليم حيرانا: فتنة السلطان، وفتنة الأهل والعشيرة، وفتنة المال،

---

(١) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت: ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ - ١٤١٨ هـ، (٧/ ٣).

(٢) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، نشر دار الفكر - دمشق، ط ١ - ١٤٢٢ هـ، (٢/ ١٤٠١).

(٣) طنطاوي، الوسيط، (٨/ ٤٦٣).

وفتنة الولد، والاغترار بالدنيا الفانية، وفتنة إبليس اللعين، وفتنة العلم، وفتنة يأجوج ومأجوج، وفتنة الأهواء. وبينا تبين لنا السورة الكريمة أنواع الفتن وتحذر من مخاطرها، فإنها تخط لنا طريق العصمة وتبرز لنا معالم النجاة، وذلك باتباع المنهج الرباني، والاستعانة بالله تعالى واللجوء إليه، وتصحيح المفاهيم وتقويم الموازين، وتأصيل القيم، والنظرة الصحيحة للكون والحياة، وإدراك حقيقة الدنيا الفانية، والعمل لدار الخلود، إلى جانب الصحبة الصالحة، والتحصن بالعلم النافع، والتزود بالعبادة الصحيحة، والتذرع بالصبر والثبات، والتحلي بمكارم الأخلاق، والاعتبار بقصص السابقين"(١).

ووافقه على هذا القول محمد راتب النابلسي(٢)، ومصطفى مسلم، إلا أن الأخير لم يكتف بالقول أنها تناولت أسباب النجاة والعصمة من الفتن فحسب؛ بل إنه حاول استخلاص هذه الأسباب العاصمة في فكرة واحدة أسماها : "القيم في سورة الكهف"، ويرى أن مدار السورة على "إلقاء أضواء كاشفة على كل أسباب الفتن، وإعطاء المؤمن الميزان الحق لمعرفة الحقائق من الأباطيل، والصدق من الكذب والصحيح من الزيف."(٣)، وهذا الميزان الذي تضعه آيات السورة وموضوعاتها وقصصها هو ميزان القيم برأيه.

ويتبنى أستاذي سليمان الدقور رأياً قريباً من هذا الرأي؛ عماده أنها احتوت على أسس الحراك ومنهجية التغيير والإعداد، فيقول: "إن القصص التي وردت في سورة الكهف تشكل الأسس الثلاثة التي تقوم عليها حركة المسلم الفاعلة في إعداد الأمة لتغيير حالها وللنهوض بها، وهذه الأسس الثلاث هي (الإيمان،

---

(١) الشرقاوي، أحمد بن محمد، التفسير الموضوعي لسورة الكهف، بحث محكّم، مشروع التفسير الموضوعي لسور القرآن، جامعة القصيم، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، (٦).

(٢) النابلسي، محمد راتب، مادة سماعية مسجلة لتفسير القرآن كاملاً، مقدمة تفسير سورة الكهف.

(٣) مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، (١٧٨).

والعلم، والعمل) ونتيجتها حصول التمكين للأمة"(١). والتقارب بينه وبين سابقه هو في إمكانية الجمع بينهما بأن القيم التي تحدث عنها مسلم هي ذاتها الأسس التي عبّر أستاذي الدقور عنها بعبارة أسس الحراك، ومنهجية التغيير والإعداد.

ومن أشهر من كتب في سورة الكهف وبيّن ما فيها من وحدة موضوعية أبو الحسن الندوي(٢)، والذي قرر في بحثه عنها أنها احتوت على قصة الصراع بين الإيمان والمادية؛ أي بين النظرة التي تؤمن بالله وتؤمن بالغيب من ناحية، وبين النظرة التي تؤمن بالمادة والظاهر وتكفر بالله والغيب من الناحية الأخرى، وشرحت السورة ما يتبع كل نظرة منهما (الإيمان أو المادية) من عقيدة وعمل وأخلاق ونتائج وآثار، ويقول بهذا الرأي أيضاً أستاذنا أحمد نوفل حفظه الله.

كذلك كان من أفضل من تناول سورة الكهف موضوعياً، وقارب في تناوله مدار هذا الكتاب وموضوعه الدكتور الكاتب أحمد خيري العمري، فقد أشار في آخر كتابه "البوصلة القرآنية" إلى كون سورة الكهف تؤسس لمنهج تغيير نهضوي ضمن ما أسماه مشروع النهضة من التكوين إلى التمكين، وقد استلهم هذا الكتاب بعض ما ذكره العمري وبنى عليه، وكان لما أشار به الفضل في إثراء بعض جوانب هذا الكتاب ومعالجاته.

واستخلاصاً يمكن جمع اجتهادات هؤلاء المفسرين والباحثين في الآراء الآتية:

١. رأي القاسمي والزحيلي أن موضوعها بيان مقاصد وغايات نزول القرآن.

٢. رأي قطب وطنطاوي أن موضوعها تصحيح العقيدة ومنهج النظر والقيم.

---

(١) سمعت منه مشافهة في محاضرات مادة التفسير الموضوعي، في الجامعة الأردنية.

(٢) الغوري، سيد عبد الماجد، دراسات قرآنية للعلامة أبي الحسن الندوي، سلسلة من تراث العلامة الندوي، دار ابن كثير ، دمشق _ بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، (١٥٩).

٣. رأي الشرقاوي والنابلسي أن موضوعها **أسباب النجاة والعصمة من الفتن**.

٤. رأي مسلم والدقور أن موضوعها **القيم وأسس الحراك ومنهجية التغيير والإعداد**.

٥. رأي الندوي ونوفل أن موضوعها **الصراع بين الإيمان والمادية**.

٦. رأي العمري ورأيي المتواضع أن موضوعها **النهضة القرآنية**.

وهذه الآراء فيها نقاط كثيرة من التقارب، ويمكن ربطها معاً في عبارة واحدة تعتبر خلاصة أقوال المفسرين والباحثين في الوحدة البنائية لسورة الكهف أو الإطار العام لها، وهي **تكوين نهضة الأمة المسلمة وكيفية تحقيق ذلك بنماذج واقعية مما احتوت عليه السورة من قصص**. نعم، فتكوين نهضة الأمة يتركب من أجزاء متعددة، منها تصحيح العقيدة، ومنهج النظر، وميزان القيم، ومنها أسس الحراك، ومنهجية التغيير والإعداد، كما أن هذه النهضة هي المتكونة عبر الصراع بين الإيمان والمادية، وفيها أسباب النجاة والعصمة من الفتن، وهذه النهضة كذلك هي من أهم مقاصد القرآن وغاياته.

وما هذه القصص الأربع وما تخللها من تنبيهات وأمثلة وإرشادات إلا حديث القرآن عن كيفية تحقيق نهضة الأمة وتشكيلها، وهذا هو الدافع الأول والسبب الأساس في هذه الدراسة القائمة على تطبيق مقومات النهضة القرآنية على ما ورد في سورة الكهف.

المطلب الثاني: منهج سورة الكهف في تقرير حقائق النهضة

يخلص من المطلب السابق إلى أن هذه السورة العظيمة تجتمع آياتها وقصصها في موضوع رئيس واحد هو تكوين نهضة الأمة المسلمة، وكيفية تحقيق ذلك بنماذج واقعية مما احتوت عليه السورة من قصص.

وفي هذا المطلب يأتي إبراز منهجية سورة الكهف وأساليبها في الكشف عن هذه النهضة، وإظهار مقوماتها، والحديث عنها، بعدة صور وأساليب، ومنهج سورة الكهف في ذلك مبني على عنصرين أساسيين هما:

— **الأمثلة التطبيقية والمواقف العملية الواردة في ثنايا القصص**، وهو عنصر واضح لا يحتاج إلى تبيين.

— **التعليقات والإرشادات التي وردت فيما بين هذه القصص**؛ إذ تخللت القصص بعض الآيات التي تحدثت في موضوعات مختلفة إلا أنها كما مر في المطلب السابق تتناسق مع موضوع السورة الرئيس، ومع ما جاءت القصص لتبيينه والتمثيل عليه.

وهذا المنهج بعنصريه سابقي الذكر اتخذ في السورة عدة أساليب، منها:

▪ **أسلوب التقرير المباشر**؛ ففي آيات عدة جاء تقرير بعض السنن الربانية والأركان الأساسية للنهضة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، وقوله سبحانه: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

▪ **أسلوب ضرب الأمثلة**، وهذا الأسلوب ظاهر متكرر في القرآن كله كما في سورة الكهف، يقول الله عز وجل في سورة الكهف: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢]، ويقول أيضاً: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

▪ **أسلوب الحوار في القصص،** وهو أسلوب يجذب القارئ والمتدبر إلى فهم شخصيات المتحاورين من خلال كلامهم، ويشده إلى المتابعة والاستمرار ليصل إلى نتيجة الحوار ومآله، فهذا حوار صاحب الجنتين مع صاحبه المؤمن كمثال على الحوار في سورة الكهف، يقول الله عز وجل: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾ [الكهف: ٣٤]، ويقول أيضاً: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴾ [الكهف: ٣٧]، وفي الكهف عدة حوارات أخر؛ كحوار أصحاب الكهف فيما بينهم، وحوار موسى عليه السلام مع فتاه، وحواره مع العبد الصالح، وكذلك حوار ذي القرنين مع القوم الذين بنى لهم السد.

▪ **أسلوب السرد القصصي،** وهذا أسلوب ظاهر في سورة الكهف وبارز فيها، ولا يحتاج إلى دليل؛ فالسورة بمجموعها قائمة على أحداث القصص الأربع التي سردتها السورة الكريمة.

▪ **أسلوب الوعظ والتوجيه والإرشاد،** وقد ورد هذا الأسلوب خصيصاً في الآيات التي جاءت تعقيباً على قصص السورة، ففي نهاية قصة أصحاب الكهف وردت عدة وصايا ربانية في قوله سبحانه: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا (٢٤)﴾ [الكهف: ٢٢-٢٤]، وتعقيباً على قصة صاحب الجنتين ورد التوجيه الآتي: ﴿ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا (٤٤) وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا (٤٥) ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٤- ٤٦]، وهكذا كانت المواعظ والتوجيهات والإرشادات تتخلل القصص الواردة في السورة.

■ **أسلوب السؤال الإنكاري**، وهو أسلوب قرآني رصين يرد عادة في الآيات التي تتحدث عن تقريرِ لحقيقةٍ منكرةٍ من الناس أو لبيان سنةٍ ربانيةٍ يردها بعضهم، ووردت نماذج من هذا الأسلوب في سورة الكهف، منها مثلاً قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩]، وقوله سبحانه: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠]، وكذلك قوله عز من قائل: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٢].

■ **أسلوب التكرار**، وهو ليس ذلك التكرار الممل غير المقصود _ حاشا أن تجده في كتاب الله الحكيم _ بل هو تكرار يحمل في كل مرة إشارة أخرى ومعلومة جديدة للقارئ والمتدبر، فانظر مثلاً لتكرار انطلاق موسى والعبد الصالح ﴿ فَٱنطَلَقَا ﴾ [الكهف: ٧١، ٧٤، ٧٧] ثلاث مرات في ثلاث آيات من سورة الكهف، وكذلك اتباع ذي القرنين للأسباب، في قوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٥]، وقوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٩]، وقوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٩٢]، ولكل مرة دلالتها ومعناها.

وفي سورة الكهف أساليب كثيرة ومتنوعة، إلا أن فيما ذكر الكفاية والغنى، وفيه دليل واضح على تنوع أساليبها وتعددها، وكل ذلك يصب في كشف المقصد الأعلى والمحور الرئيس الذي خلصت إليه بعد تحليل ودراسة آيات

السورة وإثرائه، وبعد البحث والتنقيب في حديث المفسرين والباحثين عما تناولته السورة من موضوعات ومحاور،(١) وخلاصة ذلك أن سورة الكهف تدور حول تشكيل نهضة الأمة المسلمة وكيفية ذلك، وأنها تناولت هذا الموضوع بكافة تفاصيله وعناصره ومفرداته، تأصيلاً نظرياً وتطبيقاً عملياً من خلال ما تميزت به السورة من استعمال الأساليب المتعددة، وعبر ما تفردت به من القصص المتنوعة، والتي شكلت نماذج عملية تطبيقية على بيان مقومات النهضة، وكيفية تشكيلها.

---

(١) ينظر المطلب الأول من هذا المبحث.

الفصل الثاني

مجالات النهضة وأنواعها وأهدافها وتحدياتها الواردة في سورة الكهف

بعد بيان المفاهيم الأساسية لهذا الكتاب وتوضيح الرؤية القرآنية لموضوع النهضة وما يتعلق بكيفية تناول القرآن الكريم لها في الفصل الأول، وبعد تحديد علاقة سورة الكهف بالنهضة وكيفية معالجتها له، سيتناول هذا الفصل - والفصلين التاليين كذلك - دراسة ما سبق إقراره من المقومات القرآنية لموضوع النهضة دراسة تطبيقية تمثيلية مما ورد في آيات سورة الكهف أنموذج الدراسة عن موضوع النهضة.

وفي هذا الفصل ستعالج ثلاثة مقومات أساسية من مقومات النهضة في ثلاثة مباحث، وستوضح مفرداتها وعناصرها التي تناولتها سورة الكهف بالشكل الآتي:

- **المبحث الأول:** مجالات النهضة وأنواعها.
- **المبحث الثاني:** أهداف النهضة.
- **المبحث الثالث:** تحديات النهضة.

وفي كل مبحث من هذه المباحث بإذن الله سأتناول الآيات المختصة به من سورة الكهف، وأبين وجه الاستدلال فيها على أي مقوم من هذه المقومات، وأخلص في كل جزئية إلى مكانتها وقيمتها في بناء الصورة الكلية لموضوع النهضة ومقوماتها في سورة الكهف؛ وذلك حتى تتكامل هذه العناصر والجزئيات في الختام مشكلة النموذج التطبيقي للنهضة في هذه السورة القرآنية الكريمة.

المبحث الأول: المفاهيم الواردة في عنوان الرسالة

سيتناول هذا المبحث ما ورد في سورة الكهف من حديث عن أنواع النهضة ومجالاتها، وذلك في مطلبين؛ يبحث أولهما في مجالات النهضة التي بينتها سورة الكهف، ويدرس ثانيهما أنواع النهضة التي أشارت إليها آيات السورة وقصصها.

المطلب الأول: مجالات النهضة في سورة الكهف

المقصود بمجالات النهضة الاتجاه الذي تعالجه النماذج القرآنية الواردة في قصص السورة الكريمة وآياتها بما يمكن اعتباره مجالاً، أو دائرة، أو اتجاهاً خاصاً، لحركة النهضة، أو سبيلاً مميزاً عن غيره من سبلها، وهي تلك المجالات أو الاتجاهات التي تتشكل النهضة من توافقها وتآلفها معاً(١).

والمجالات التي حددها القرآن الكريم وتحدث عنها بشكل عام، والتي يمكن اعتبارها مجالات النهضة في القرآن هي أربعة مجالات أساسية للنهضة، يتقابل كل مجالين منها لتشكيل المجال الكلي للنهضة، وفيما يأتي بيان هذه المجالات والتمثيل عليها من آيات سورة الكهف.

---

(١) بعض النهضات في التاريخ اعتمدت في قيامها على مجال واحد اهتمت به وأولته عنايتها وأهملت غيره من المجالات، كالرأسمالية التي اهتمت بالمجال الفردي، والاشتراكية التي أبرزت جانب المجموع، وكذلك الحضارة اليونانية التي قامت على الاهتمام بمجال الفلسفة والفكر دون مجال العمل والسلوك، وعكسها الحضارة الرومانية، وكل هذا خلل في مقومات النهضة الأساسية، لذا جاءت نهضة الأمة الإسلامية قائمة على الاهتمام بكل هذه المجالات بالموازنة والتوافق بينها.

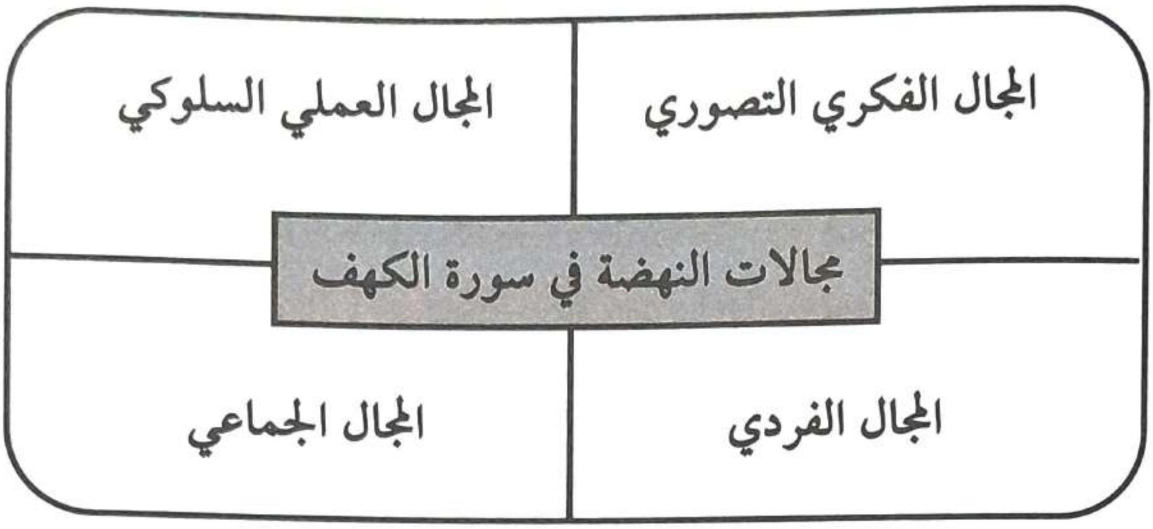
المجال الفكري التصوري
المجال العملي السلوكي
مجالات النهضة في سورة الكهف
المجال الفردي
المجال الجماعي

أولاً: المجال الفكري التصوري

وهذا المجال هو المجال الأساس الرئيس من مجالات النهضة، فلا يمكن بناؤها وتطبيقها واقعاً بغير تصور صحيح يوجهها، ودون فكرة مركزية، أو مبدأ أساس، تقوم عليه هذه النهضة،(1) وتلك المبادئ والتصورات الأساسية هي ما يمكن اعتباره المصدر أو الأصل المغذي والباعث للنهضة.

ونهضة الأمة الإسلامية قائمة في أساسها - بلا شك ولا ريب - على حقيقة التصور العقدي بالإيمان بالله وتوحيده، وما يتبع ذلك من بناء عقدي وتصور كلي للكون والحياة والإنسان.

وقد تحدثت آيات سورة الكهف عن عدة أمور أساسية تسهم في بناء هذا التصور الإيماني، وهي بذلك تشكل الأعمدة والأركان التي يقوم عليها المجال الفكري للنهضة الإسلامية، وفيما يأتي بيان هذه النقاط التي يمكن اعتبارها الخطوط العريضة للمجال الفكري، والتصوري للنهضة في سورة الكهف، أو قل هي التي تكوِّن الفكرة الرئيسة والمبدأ الأساس الذي تقوم عليه النهضة القرآنية المبتغاة والمرجوة والمأمولة...

---

(1) ينظر الدقور، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، (١٨٨ وما بعدها).

■ **التأكيد على أهمية التوحيد ونفي الشرك:** وهذا واضح في فاتحة السورة وخاتمتها؛ ففي فاتحتها الدعوة إلى الإيمان بالله وحده ونفي الشريك والولد عنه سبحانه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤)﴾ [الكهف: ٢ – ٥]، وفي خاتمتها أيضاً الحديث عن كون التوحيد ونفي الشرك هو طريق النجاة، في قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وفيما بين المقدمة والخاتمة لا تنفك الآيات عن التذكير بأساس التوحيد، ونفي الشرك، مرتكزاً ومبدأً من مبادئ النهضة القرآنية؛ وانظر مصداق ذلك ودليله في المثالين الآتيين:

- قوله تعالى مقرراً لعقيدة التوحيد على لسان أصحاب الكهف: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (١٥)﴾ [الكهف: ١٤ – ١٥].

- قوله تعالى في قصة صاحب الجنتين إنكاراً لكفر الكافر منهما وشركه: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٣٨)﴾ [الكهف: ٣٧ – ٣٨].

وفي هذين المثالين غناء عن غيرهما مما ورد في السورة، وفيهما الدليل على أهمية التوحيد، ودوره في بناء التصور الفكري والعقدي لدى المسلم، والذي هو أساس حركته لنهضة أمته ومرتكز عمله وسلوكه في الحياة.

▪ **التأكيد على الإيمان الآخرة والحساب فيها:** وذلك واضح في كثير من آيات السورة التي نبهت على مصير الكفار ومآلهم البائس، وقابلته بعاقبة المؤمنين وفوزهم؛ يقول سبحانه مبيناً حقيقة الوجود ومآله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)﴾ [الكهف: ٢٩ – ٣١].

ويقول تعالى واصفاً أحوال الآخرة ومقرراً لواقع وكيفية الحساب فيها: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧ – ٤٩].

ويقول عز وجل معدداً لأصناف الناس في الآخرة، وموضحاً الفرق بين مصائرهم ومآلاتهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا (١٠٣) ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٨].

وغير ذلك كثير من الآيات التي تحدثت عن الآخرة وأهميتها في بناء تصور المسلم وفي توجيه حركته النهضوية في الأرض؛ وذلك بمركزية الإيمان بالآخرة

والحساب؛ بمثابة فكرة محفزة، وهدف نهائي، لتحقيق النهضة بموافقة أوامر الله ونواهيه، الواردة في آيات الترغيب بالجنة ونعيمها، وآيات الترهيب من النار وجحيمها.

▪ **الإيمان بالكتاب مصدراً ومرجعاً:** ففي فاتحة السورة يبين الله سبحانه طبيعة هذا الكتاب وهدفه في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ [الكهف: ١ - ٤].

فهو كتاب قيّم لا عوج فيه، احتوى على مقوّمات وجود البشر ونهضتهم، وهدفه تبشير من التزم بتعاليمه، وإنذار من حاد عنها،⁽¹⁾ ولذلك تعود الآيات داعية لقراءته وتدبره والتزام ما فيه: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

ثم تبين الآيات مصدرية القرآن للأحكام: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، وتوضح الآيات كذلك كثرة وتنوع كلمات الله المرشدة والهادية إلى سواء السبيل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وكل ذلك لبيان قيمة القرآن مصدراً للتشريع، ودستوراً للنهضة، وميثاقاً للأمة.

---

(١) ينظر دروزة، التفسير الحديث، (٥/ ٥٢).

- **ضرورة الوعي على حقيقة وجود الإنسان:** ويتضح ذلك في التوجيهات الربانية المرشدة إلى وظيفة المسلم في الأرض وسبب وجوده فيها: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ [الكهف: ٧ – ٨].

كما يتضح ذلك الوعي في أثناء الحديث عن حقيقة صراع الإنسان مع عدوه **الأول إبليس:** ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠].

وكذلك في الإرشادات الربانية لإدراك حقيقة هذه الدنيا التي هي ميدان حياة الإنسان: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥]، وتظهر أيضاً في الآيات المتحدثة عن نهاية هذه الأرض ومن عليها ومآلهم ومصيرهم: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٠ – ١٠٧].

- ثانياً: المجال العملي السلوكي

ويعد هذا المجال رديفاً ومكملاً للمجال الفكري التصوري؛ فالفكرة تحتاج التطبيق، والتصور يكمله السلوك، والعقيدة لا تقام إلا بشريعة عملية تنفذها، والنهضة لا تقوم إلا على عاتق ثلة عاملين متحركين بعمل قويم، وسلوك منتظم، مبني على تصورهم الفكري السليم، وعقيدتهم ومبادئهم الصحيحة.

وكما اهتم القرآن الكريم عموماً - وسورة الكهف خصوصاً- ببيان المجال الفكري التصوري للنهضة وإيضاحه؛ فإنه كذلك قام بتبيين المجال العملي والسلوكي للنهضة وتوضيحه، وفيما يأتي النقاط الرئيسة التي يقوم عليها بناء المجال العملي السلوكي للنهضة في سورة الكهف:

- **تقديم نماذج عملية فاعلة ومتفاعلة في مجتمعها تعتبر أسوة حسنة للاحتذاء بها:** فأصحاب الكهف مثال على قوة الإيمان والثبات: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، وصاحبُ صاحبِ الجنتين مثال على دعوة المؤمن وحواره مع الآخر: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا (٤١)﴾ [الكهف: ٣٧ - ٤١]، والعبد الصالح خير مثال للمسلم العالم العامل المؤثر في بيئته بنور الله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف: ٦٥].

▪ **السعي والحركة للدين والنهضة:** وهذا بارز في تحركات شخصيات قصص السورة، فأصحاب الكهف مثلاً لم يطيقوا الجلوس عن عبادة ربهم فقاموا، ولم يسعهم السكوت على كفر قومهم فقالوا:(١) ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا﴾ [الكهف: ١٤]، وهم لأجل الثبات على دينهم، والمحافظة عليه، اعتزلوا قومهم، وأووا إلى الكهف: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٦].

وكذلك العبد الصالح فقد خرق السفينة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ [الكهف: ٧١]، وقتل الغلام: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ [الكهف: ٧٤]، وبنى الجدار: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧]، وكل ذلك أفعال مقصودة لتطبيق أمر الله إليه.

▪ **الإشارات المتكررة إلى أهمية العمل من حيث هو قيمة سلوكية في المجتمع:** وتأمل التأكيد على العمل الصالح في هذه الآيات:

- قوله تعالى في تقرير حقيقة أن إصلاح الأعمال هو مقصد إنزال الكتاب: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢].
- قوله تعالى في بيان أن العمل هو سبب الوجود الإنساني على الأرض:(٢) ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].
- قوله تعالى تبشيراً وتطميناً لمن يحافظ على عمل الصالحات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

---

(١) ينظر سيد قطب، تفسير الظلال، (٤/ ٢٢٥٢).

(٢) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٥/ ٢٥٨).

- قوله تعالى في التأكيد على اعتماد الحساب في الآخرة على أعمال الدنيا: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

- قوله تعالى في إقرار أن حقيقة النجاة والقرب من الله في الآخرة مبنية على حسن عمله وصلاحه في الدنيا: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

▪ **الأوامر والنواهي التي تشكل دستور العمل والسلوك:** فالأوامر والنواهي الربانية، وإرشاداتها الواردة في سورة الكهف، تشكل بمجموعها وسائل تحقيق نهضة الأمة الإسلامية، وستبحث بشكل تفصيلي في المبحث الثاني من الفصل الثالث في هذه الدراسة بإذن الله، وأكتفي هنا بالإشارة فيما يأتي إلى بعض هذه الأوامر من باب التمثيل والدلالة:

- الإرشادات الربانية لذكر الله واعتماد مشيئته وطلب هدايته في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

- مجموعة الأوامر والنواهي العملية والسلوكية المتتالية بتلاوة القرآن والصبر والدعاء وقطع الطمع في الدنيا والاستمرارية على الخير وعدم اتباع الهوى، وذلك كله في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا (٢٧) وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا (٢٨)﴾ [الكهف: ٢٧ - ٢٨].

- ثالثاً: المجال الفردي

وفي هذا المجال التركيز على شخصية الفرد وقدراته وإمكاناته المهمة والضرورية لإقامة النهضة وتشكيلها، ويتضح ذلك فيما يأتي:

▪ **ضرب الأمثلة بنماذج فردية:** وهذا يمثله الصاحب المؤمن في قصة الجنتين، والعبد الصالح رفيق موسى عليه السلام، هذان الفردان اللذان شكلا الأسوة الحسنة، وضربا المثل الأعلى للاقتداء بهما في طريق نهضة الأمة.

▪ **رصد تحركات الأفراد والتعليق على سلوكياتهم:** فمن ثبات أصحاب الكهف واعتزالهم للباطل ودفاعهم عن إيمانهم، إلى حوار الصاحب المؤمن لصاحبه في قصة صاحب الجنتين، إلى أفعال العبد الصالح وأعماله العظيمة، وكل ذلك يرصده القرآن ويسجله ويعلق عليه ويقدمه لنا بصورة مؤثرة نافعة فاعلة(١).

▪ **إظهار جانب الإمكانات والقدرات الفردية ودور ذلك:** فقد وصف الله تعالى فتية الكهف بالإيمان: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣]، ووصف العبد الصالح بالعلم والرحمة: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]، ووصف موسى عليه السلام بالحرص على التعلم والأدب في الطلب: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦]، إلى غير ذلك مما أظهره الله من قدراتٍ وإمكاناتٍ لهؤلاء النماذج الربانية لصانعي النهضة والعاملين لتحقيقها.

---

(١) ستعالج هذه الأفعال ويتناول كل واحد منها بالتفصيل في مكانه من الدراسة في الفصلين القادمين.

_ رابعاً: المجال الجماعي

وكما تركز الحديث في السورة على الجانب الفردي واهتم ببيان دوره في النهضة، فإنه كذلك لم يغفل الجانب الجماعي للنهضة، وإنما سلط عليه الضوء من زوايا متعددة؛ وفيما يأتي بيان ذلك:

▪ **ضرب الأمثلة بنماذج جماعية عملية:** ويمثل هذا فتيةُ الكهف في ثباتهم وإيمانهم، وذو القرنين مع جنده، في سعيه لنشر النهضة والدين في مشارق الأرض ومغاربها، وفي بنائه للسد؛ لمنع فساد يأجوج ومأجوج.

▪ **التوجيهات الربانية لأهمية الاجتماع والمشاركة:** ويظهر هذا جلياً في اجتماع كلمة أصحاب الكهف على اعتزال قومهم، ودخولهم الكهف، وفي مشاركة ذي القرنين للقوم في بناء السد؛ لدرء خطر المفسدين.

▪ **بيان دور المجتمع برمته في النهضة:** ففي ثنايا قصص السورة الكريمة بيان دور المجتمع الكافر في تحديد وجهة المؤمنين وسلوكهم: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠]، وفي المقابل بيان دور الجماعة المؤمنة في التعامل مع المجتمع الضال:(١) ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦)﴾ [الكهف: ١٥- ١٦].

وفي السورة إرشادات ربانية لكيفية تصرف العلماء الصالحين للخلاص من ظلم الملوك: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، ومن تعدي

---

(١) ينظر سيد قطب، تفسير الظلال، (٤/ ٢٢٦٢).

المجتمعات الظالمة: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف: ٨٢].

وفي السورة كذلك توضيح لكيفية التعامل مع المجتمعات الأخرى أثناء حركة النهضة: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ﴾ [الكهف: ٨٧-٨٨].

وفي الخلاصة فإن هذه المجالات التي تعرضت سورة الكهف لتناولها ليست مقتصرة على آيات هذه السورة الكريمة فحسب؛ بل هي منهج القرآن الكريم، وشأنه في كل آياته، فالجانب الفكري التصوري في مقابلة الجانب العملي التطبيقي يمكننا أن نقسم بينهما آيات الكتاب الكريم أجمع، فهي إما آيات تبني التصور الصحيح، والفكر الراجح، وإما آيات تعد المسلم للعمل الصالح، والسلوك القويم؛ لنهضة مجتمعه وأمته.

وكذلك في المجالين الفردي والجماعي، فالقرآن كله توجيهات في المجالين، ولم يغلب جانباً منهما على الآخر، أو يقدمه عليه؛ فنظام الإسلام الذي جاء به القرآن الكريم لا هو نظام رأسمالي يقدس الفرد ونزعته المادية وحريته الشخصية؛ بحيث ينفي دور الأمة الجمعي والمجتمع المحافظ، ولا هو بالمقابل نظام اشتراكي يضيع حقوق الأفراد بصهرهم في اشتراكية مزعومة لا تأبه ولا تهتم إلا بنظرة قاصرة تختصر المجتمع في صراع حول المادة وجدل ديالكتيكي بين بروليتاريا الفقراء وبرجوازية الأغنياء،(١) مما يضيق النظرة الإنسانية للحياة والإنسان.

---

(١) الجدل الديالكتيكي هو الفكرة الشيوعية الاشتراكية حول الوجود وأنه قائم على الصراع الاقتصادي بين طبقات المجتمع وصراع المادة والمصالح بين الأفراد. والبروليتاريا هي فئة العمال المضطهَدين الثائرين على النظام الرأسمالي في النظرية الاشتراكية. والبرجوازية هي الطبقة العليا من طبقات المجتمع، طبقة الأغنياء وعلية القوم أصحاب السيادة، أي (الملأ) في المصطلح القرآني، ينظر عبد الله عزام (ت:١٩٨٩م)، السرطان الأحمر، نشر مكتبة الأقصى، عمان - الأردن، ط١، ١٩٨٠م، (١٣).

وما ذكر من نقاط في ثنايا الحديث عن هذه المجالات الأربعة في سورة الكهف إنما هو نزر يسير من الحديث القرآني عنها، وباقي السور والآيات القرآنية تكمل الصورة وتجعلها أوضح وآكد وأتم، ولعل هذا المطلب على ضعفه وصغره يكون حافزاً لمتخصص في الدراسات القرآنية على بحث هذه المجالات ودراستها في القرآن الكريم؛ فهو موضوع يستحق البحث، وله أهمية قصوى في هذا الزمن.

المطلب الثاني: أنواع النهضة في سورة الكهف

النهضة لها أنواع كثيرة وأشكال متعددة؛ فكل جانب من جوانب الحياة الإنسانية يحتاج نوعاً من النهضة لتنميته والرقي به، وأيُّما نهضة لا بد فيها من مراعاة عدة جوانب أساسية في تكوين الحياة الإنسانية على الأرض.

وبناء على ما تقدم يظهر أن نهضة أمة الإسلام لا بد لها أن تبنى على نظم ومبادئ أساسية تحكم جوانبها المختلفة، وليس هناك أعظم ولا أشمل ولا أكمل من النظم الربانية التي جاءت بها آيات الكتاب الحكيم لتنظيم جوانب الحياة كلها؛ فنظام الاقتصاد الإسلامي، والنظام الأخلاقي الاجتماعي الإسلامي، ونظام العقوبات الإسلامي، ونظام الأحوال الشخصية الإسلامي، ونظام المعاملات الإسلامي، وما إلى ذلك من أنظمة يعالج كل منها جانباً من جوانب الحياة المختلفة بما يعد أساساً لنهضة الأمة في هذا الجانب، أقول إنما هذه الأنظمة كلها تشكل أنواعاً مختلفة من النهضة.

ولذلك تعددت أنواع النهضات في تفصيل الكلام والتنظير حولها، مع أنها في التطبيق لا تنفك عن أن تكون نهضة واحدة شاملة متكاملة،(١) وإذا جاءت

---

(١) فلا يمكننا مثلاً أن نأخذ نظام الإسلام في الأحوال الشخصية ونطبقه دون غيره، فسلخه عن تناسقه وترابطه مع غيره من الأنظمة الأخرى سيجعله قاصراً عن تحقيق النهضة المرجوة منه، وقل مثل ذلك في جميع أنظمة الإسلام الأخرى، فتأمل!.

النهضة في جانب دون غيره فإنها تكون مجزوءة غير مكتملة ولا تامة، ويكون فيها من النقص بمقدار ما ضيعت من رقي ونهوض في جوانب النهضة الأخرى(١).

وفي سورة الكهف - كما في القرآن كله- عرض لبعض هذه الأنواع التي يشكل كل منها جزءاً مهماً من صورة النهضة الكلية الشاملة، وفيما يأتي ذكر أنواع النهضة الواردة في سورة الكهف:

النهضة الإيمانية

النهضة المادية

أنواع النهضة في سورة الكهف

النهضة السياسية العسكرية

النهضة الاجتماعية الإصلاحية

▪ **النهضة الإيمانية في قصة أصحاب الكهف**، فالقصة كلها تدور حول قوة الإيمان والثبات في مواجهة الكفر، وتتجلى مظاهر هذه النهضة في قوة إيمان أصحاب الكهف وعدم رضوخهم لمجتمعهم الكافر: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (١٥) ﴾ [الكهف: ١٤ – ١٥].

---

(١) ومثال ذلك في النهضة الأوروبية الحديثة التي اعتمدت على النهوض في الجانب العلمي التجريبي، ومبادئ المادية والحرية الشخصية، لكنها بالمقابل فرطت في الجانب الأخلاقي والقيمي والإنساني، فأفرز هذا مجتمعات غنية مثقفة متحررة (بحسب مبادئهم طبعاً)، لكنها مجتمعات تعاني في الجانب الآخر من الفساد في القيم والانحطاط الأخلاقي الذي أنتج أنواعا متعددة من الجرائم.

وتظهر كذلك في عزمهم، وقوة ثباتهم، حتى اضطرهم الأمر إلى اعتزال قومهم، والإيواء إلى الكهف: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، وهي بارزة أيضاً في شدة صبرهم، وحذرهم، وتعاهدهم للثبات على إيمانهم: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

ونرى في النهاية تأييد الله لهؤلاء الفتية المؤمنين وتأكيده على استحقاقهم حسن الذكر والتخليد على نهضتهم الإيمانية المباركة في وجه الكفر والشرك: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

▪ **النهضة المادية في قصة صاحب الجنتين،** ذلك الرجل الذي بينت الآيات عظيم منَّة الله سبحانه عليه، والذي أعطاه المال والولد، ومنحه الجنات والأنهار، ورزقه الطيبات والثمار، إلا أنه لم يصن هذه النعمة ويزكيها، مما يقرر أن النعم المادية وحدها لا تنهض بصاحبها ولا تشكل له السعادة المرجوة إلا بتكميلها بمعرفة فضل المنعم سبحانه وعبادته شكراً وحمداً على نعمه(١).

يقول سبحانه وتعالى مبيناً آثار تلك النعمة التي تشكل أساس النهضة المادية في الحياة الدنيا: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ [الكهف: ٣٢ - ٣٤]، وانظر إلى حال هذا الرجل المشابه لكثير من

---

(١) ينظر سيد قطب، تفسير الظلال، (٤/ ٢٢٧١)، والغوري، دراسات قرآنية للندوي، (١٩٥ وما بعدها).

أحوال أصحاب النظرة المادية للحياة: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا (٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا (٣٦)﴾ [الكهف: ٣٤ – ٣٦].

وتنتقل الآيات هنا إلى بيان وجه الحق في النظر إلى النهضة المادية، ووجوب تكميلها بنهضة إيمانية: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا (٣٧) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا (٣٨) وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا (٤٠) أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا (٤١)﴾ [الكهف: ٣٧ – ٤١].

وتبين الآيات أن المادة بلا إيمان لا نفع وراءها؛ وإنما هي متعة آنية زائلة: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا (٤٢) وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا (٤٤)﴾ [الكهف: ٤٢ – ٤٤]. وتخلص في التعقيب على القصة إلى أن الإيمان هو المجمّل والمكمّل للاستمتاع بالمادة ومنافعها: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا (٤٥) ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا (٤٦)﴾ [الكهف: ٤٥ – ٤٦].

- **النهضة الإصلاحية الاجتماعية في قصة موسى والعبد الصالح**، وها هنا نوع آخر مهم من أنواع النهضة لا يمكن إغفاله، فأي مجتمع ناهض لا يخلو من

أشخاص فاسدين أو مفسدين حتماً؛ فتلك مدينة المدينة المنورة، مدينة رسول ﷺ، لم تخل من وجود بعض أفراد خارجين على نظامها الإسلامي النبوي؛ فقد كان فيها منافقين معلومي النفاق، ويهود مبارزون بالعداوة، وهؤلاء الأفراد ربما يؤخرون أو يضيعون طريق النهضة، وقد يشغلونها ويتربصون بها، فلا بد لذلك من أن ينبري لإصلاح فسادهم هذا جماعة من أصحاب العلم والمكانة التي تؤهلهم لمعالجة هذا الفساد.

والعبد الصالح أنموذج هذا النوع من النهضة؛ فهو على علم ونور، ومكانة من الله تؤهله للإصلاح: ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾[الكهف: ٦٥]، وهذا حال كثير ممن أعطاهم الله العلم والحكمة ورفعهم درجة عن باقي المجتمع بعلم، أو منصب، أو مكانة، أو مال، فواجبهم إصلاح مجتمعهم والقيام على نهضته من مشاكل الفساد والظلم الذي يشكو منه.

وهذه نماذج مما قام به العبد الصالح من إصلاح اجتماعي؛ فهو مرة يحمي سفينة المساكين من تعدي الملك المغتصب: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴾ [الكهف: ٧٩]، وتارة يقتل الغلام الذي اطلع بتعليم الله له أنه سيكون من الكفار الطغاة: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا (٨٠) فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا (٨١) ﴾ [الكهف: ٨٠-٨١].

وهو كذلك يبني جداراً ليمنع أهل القرية من سلب الغلامين اليتيمين كنزهما: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف: ٨٢]،

وكل هذه الأفعال جوانب إيجابية عملية لإصلاح أنواع من الفساد والظلم المجتمعي وردعها، مما يسهم في نهضة المجتمع وقوته وصلاحه.

▪ **النهضة السياسية العسكرية في قصة ذي القرنين**، فقد شكل ذو القرنين مثال الملك الصالح، والقائد السياسي، والعسكري البارع، وطاف المشارق والمغارب؛ لأجل نهضة أمته، ولا تكتمل نهضة أمة إلا بحاكم سياسي صالح، وقائد عسكري بارع.

وها هو ذو القرنين يمثل أنموذجاً على سياسة الحاكم في الفصل بين الصالحين والفاسدين تحت حكمه: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: ٨٧-٨٨]. وها هو كذلك يضرب مثلاً في السعي لصالح الرقي الإنساني والنهضة الكلية لسكان الأرض باتباعه للأسباب التي مكن الله له بها في الأرض وأمده بها: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤ – ٨٥]، فهو يستثمر هذه الأسباب أروع استثمار؛ لينفع بها الناس فيطوف بين مشارق الأرض: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٩٠] ، ومغاربها: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٨٦]، حتى بلغ بين السدين حيث لا يدري أحد: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ [الكهف: ٩٣].

ويمثل ذو القرنين كذلك أنموذجاً لمنهج استخدام القوة العسكرية والعلم والصناعة والمال في مشروع مشترك لحماية الأمة من الفساد: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ

ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴾ [الكهف: ٩٥ – ٩٧]، كما يضرب لنا مثلاً في خضوع الحاكم والقائد لأمر الله واعترافه بفضله سبحانه حتى لو كان في قمة مجده ونهضته: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴾ [الكهف: ٩٨]. وكل ما سبق أمثلة عملية ونماذج تطبيقية على ما ينبغي القيام به من أعمال تكون لنهضة السياسية والعسكرية للأمة.

وفي الخلاصة لا بد من ملاحظة أن ما سبق ذكره من أنواع النهضة في سورة الكهف يشكل جزءاً صغيراً من أنواع النهضة، وهذا ما اختصت به سورة الكهف وأبرزته من أنواعها؛ فإنك واجد إن تتبعت هذا الموضوع في قصص القرآن وسوره حديثاً واسعاً شاملاً عن أنواع النهضة جميعها، وفي قصص القرآن كذلك نماذج تطبيقية كثيرة ومتعددة لأنواع النهضة المختلفة(١).

المبحث الثاني: أهداف النهضة المستخرجة من سورة الكهف

للنهضة في القرآن الكريم أهداف كثيرة ومقاصد متعددة، ولكن يمكن جمع هذه الأهداف وتلخيصها في ثلاثة أهداف رئيسة: يدور **أولها** على تحقيق العبودية لله في الأرض، ويتركز **ثانيها** على صناعة إنسان النهضة وبنائه، ويتمحور **ثالثها** حول إقامة مجتمع النهضة وتكوينه وتمكينه، وبهذا تشكل هذه الثلاثية أهدافاً عليا باعثةً لتحقيق النهضة.

وفي هذا المبحث يأتي الحديث بالتفصيل عما تناولته آيات سورة الكهف عن كل هدف من هذه الأهداف في مطلب من مطالب هذا المبحث الثلاثة...

---

(١) ينظر بعض أنواع النهضة في القرآن عند الدقور، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، (٢١٢-٢١٦)، ويرجع إلى أنواع النهضة في القرآن ضمن المطلب الثالث من المبحث الثاني في الفصل الأول من هذا الكتاب.

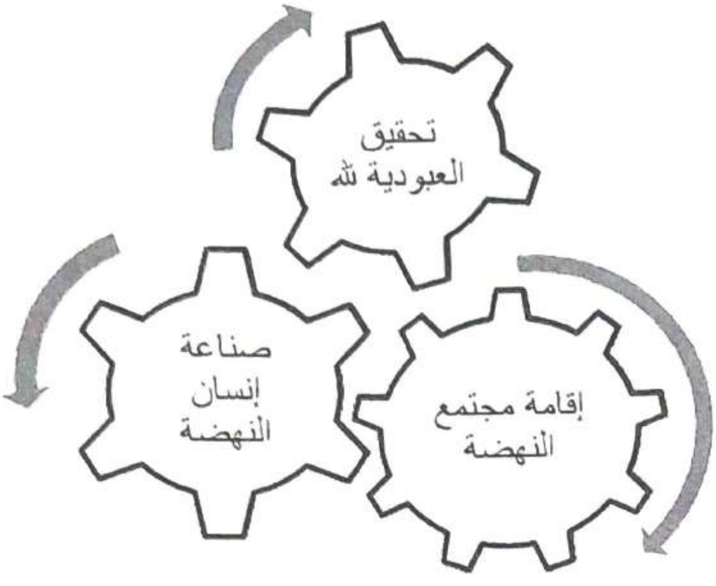

المطلب الأول: تحقيق العبودية لله (التوحيد)

والمقصود بهذا الهدف هو تشكيل التصور الصحيح للإنسان؛ عبر ترتيب علاقته مع الله سبحانه بالتوحيد، يقول الله سبحانه وتعالى في فاتحة سورة الكهف مبيناً سبب إنزال الكتاب القيِّم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤)﴾ [الكهف: ١-٤]، وهذا بيان رباني بأن توحيد الله وإفراده بالعبودية ونفي الشرك عنه هو أعظم مقاصد القرآن الكريم، ومن ثم فهو من أعظم مقاصد هذا الدين وأهدافه، وكل ما انبثق عنه من تشريعات وسلوك ونظم، والنهضة هي طريق تحقيق هذا الهدف.

يقول سبحانه في خاتمة السورة موضحاً مقصد بعث الرسول ﷺ، ومفصلاً أسباب النجاة عند لقاء الله سبحانه في الآخرة: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، وهذا يدل على أن التوحيد غاية ومقصد أسمى

يعد الشطر الأول - بالإضافة إلى العمل الصالح- الذي يحقق غاية وجود الإنسان وسعادته الدائمة ونجاته عند لقاء ربه في آخر مراحل وجوده(١).

وفي ما بين الافتتاحية والخاتمة تمر الآيات والقصص مذكرة ومؤكدة على قيمة إفراد الله بالعبودية وتوحيده وعدم الإشراك به، وأنه هدف حاضر موجود في كل تصورات الإنسان وأفكاره وإيمانه وعقيدته؛ بل هو أساسها ونقطة ارتكازها، وأنه داخل بالتأكيد أيضاً في تحديد اتجاه سلوك الإنسان وأعماله وحركته على هذه الأرض، فتوحيد الله سبحانه بالعبادة غاية غايات الوجود، لأن مقصد هذا الوجود معرفة الله وعبادته وحده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والنظر في قصة أصحاب الكهف يظهر أن المحرك الأول الذي بعث هؤلاء الفتية للهروب بدينهم واعتزال قومهم هو أنهم يوحدون لله ويفردونه بالعبادة على حين كان قومهم كافرين بالله يشركون معه آلهة أخرى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الكهف: ١٤-١٥].

وهكذا فقد كان دافعهم الأول في نهضتهم هو توحيدهم لله، وعدم استطاعتهم مجاراة شرك قومهم، فالتوحيد هدف مقصود وباعث دافع للنهوض من ظل الكفر والشرك، وهذا الحال - الكفر والشرك- يتكرر كذلك في قصة صاحب الجنتين الذي أعماه كفره وعدم تعرفه على صاحب النعمة

---

(١) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ٥٠٤)، وطنطاوي، الوسيط، (٨/ ٥٨٩).

سبحانه: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: ٣٥ – ٣٨].

وقد استحق لذلك ما حاق به من ندم وحسرة وضياع نعمة وكل ذلك بسبب شركه وعدم توحيده لله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢]، وهذه نتيجة من حاد عن هدف الوجود الأساس المتمثل في التوحيد.

والعبد الصالح أيضاً بقتله للغلام الذي أطلعه الله سبحانه أنه سيكون كافراً طاغياً، وذلك حماية لأبويه المؤمنين، يضرب مثلاً على قيمة الفرد المؤمن ومكانته عند ربه: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]، فقد سخر الله سبحانه لهذين الأبوين المؤمنين نبياً مرسلاً (موسى عليه السلام) ورجلاً صالحاً على علم من الله لكي يحميهما من الكفر، وفي هذا ما فيه من طمأنة لقلب المؤمن وإسكان له؛ إيماناً بتدابير الله في حفظ أهل الإيمان والدفاع عنهم.

وانظر خلاف هذا وضده في تخلي الشركاء عمن عبدوهم من دون الله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢]، وهذا ليكون درساً نافعاً؛ لعل المشركين يتخلون عما أشركوا به مع الله في الدنيا، وينصبون وجوههم وقلوبهم إلى الله وحده الذي يستحق العبادة والتأليه، الذي يثيب عباده وموحديه بالجزاء الوافر، والنعيم

المقيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

وهكذا يتبين أن العبودية لله وحده هي الهدف الذي يسعى المؤمن لتحقيقه؛ وهو أن تكون الأرض - كل الأرض- تدين لله وحده بالعبودية، وأن يسعى كما فعل الرسل والأنبياء إلى نشر رسالة التوحيد، ولذلك فإن النهضة الحقيقية لأمة الإسلام وأفرادها هي بأن تكون كلمة "لا إله إلا الله" غاية مرجوة، وهدفاً مقصوداً لحركة الأمة ونهضتها.

وإلى جوار كون عبادة الله وحده هدفاً تسعى النهضة لتحقيقه؛ يمكن اعتباره كذلك باعثاً ومحركاً ودافعاً للنهضة والارتقاء، فالتوحيد ليس فقط مجرد الاعتقاد بإله واحد للكون فحسب؛ وإنما يتبع هذا الاعتقاد عبادة لهذا الإله، واتباع لأوامره التي صحت على لسان رسله وخاتمهم محمد ﷺ، واجتناب كذلك لما نهى عنه سبحانه في آياته وكتبه وآخرها والمحفوظ الباقي منها القرآن الكريم المعجزة الخالدة.

وبالعبودية لله وحده وبالاستقامة عليها اعتقاداً وقولاً والتزاماً عملياً تتحقق رسالة هذه الأمة، وتقوم لها نهضتها بطريقين؛ أولهما أن يكون تحقيق هذه العبودية دافعا للنهضة وباعثاً لتحقيقها، وثانيهما أن تكون النهضة هادفة لنشر عبادة الله وحده في الأرض.

المطلب الثاني: صناعة إنسان النهضة (التزكية)

بناء الإنسان صانع النهضة، وتكوين سلوكه القويم من خلال ترتيب علاقته مع نفسه من خلال التزكية والأخلاق، هو المقصود بصناعة إنسان النهضة.

وكما بينت آيات سورة الكهف العلاقة بين الإنسان وخالقه عبر تحقيق العبودية، فإنها حددت العلاقة الداخلية بين الإنسان ونفسه عبر صناعتها وتزكيتها؛ وتزكية النفس بذلك هي هدف من أهداف الوجود الإنساني، ومقصد من مقاصد الحياة.

ولما كان الإنسان هو العنصر الأول في عناصر النهضة،[١] وهو المناط به تشكيل هذه النهضة وتكوينها؛ فإن مهمة صناعة نفسه عبر تزكيتها وتربيتها من أهم الأهداف الرئيسة لتحقيق النهضة، وهي بهذا كالعبودية تماماً هدف منشود، وباعث دافع في الوقت نفسه.

وانظر في النماذج الربانية لأصحاب النهضة وصنّاعها في سورة الكهف تجد أنهم بتزكيتهم لأنفسهم استطاعوا تحقيق المرجو منهم من صناعة النهضة في حياتهم، وبذلك سعوا لتحقيق نهضتهم بتزكية أنفسهم في الجانب الأول، وزكوا أنفسهم بسعيهم لتحقيق النهضة في الجانب الثاني، وبهذا كانت تزكية أنفسهم وصناعتها دافعاً للنهضة، وكان تحقيق النهضة سبب لتزكية النفس وصناعتها للتأهل لهذا الدور العظيم، وهذه المهمة الوجودية للإنسان المسلم على هذه الأرض.

فأصحاب الكهف ساقهم إيمانهم وثباتهم عليه إلى اعتزالهم لقومهم وكفرهم، وهذا مظهر من مظاهر النهضة، ووسيلة من وسائل تحقيقها: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ [الكهف: ١٦]، وكانت هذه العزلة الإيمانية، والثبات على المبدأ، بما فيها من تزكية لنفس أصحابها، سبيلاً في رفعة شأنهم، وفي تأييد الله لهم ببعثه

---

(١) ينظر بن نبي، شروط النهضة، (٧٥).

لهم وإظهاره لأمرهم بعد ثلاثمائة وتسع سنين، وخلد الله ذكرهم في قرآنه لبيان ما تحقق لهم من رحمة وما هيأ لهم من رشد وراحة ومآل سعيد: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف: ٢١]، وبهذا تكون تزكيتهم لأنفسهم هي بعينها طريق نهضتهم.

وصاحبُ صاحبِ الجنتين يضرب بمراجعته لصاحبه المثل في كيفية تزكية النفس من الكفر والاغترار بالمادة والمال والدنيا: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا (٤٠) أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا (٤١)﴾ [الكهف: ٣٩ – ٤١].

وهو بهذه الكلمات يخط طريقاً لأصحاب النعمة والمادة في صناعة أنفسهم وتزكيتها من الكبر والبطر والترف؛ تلك الأمور التي تسوقهم للكفر بالله والاغترار بما يملكون من مادة ومال: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا (٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا (٣٦)﴾ [الكهف: ٣٥ – ٣٦]، وما أحسن أن تجتمع المادة مع الإيمان، فتزكو نفوس أصحاب النعم، وتكون أموالهم سبباً لهم في تحقيق نهضة أمتهم، وبذلك تظهر تزكية النفس وصناعتها هدفاً منشوداً للتخفف من أعباء النظرة المادية للحياة، تلك النظرة التي هي من أكبر معيقات النهضة وتحدياتها كما سيأتي(١).

---

(١) في المطلب الثاني من المبحث الثالث في هذا الفصل.

وأما العبد الصالح في رحلته مع موسى عليه السلام فهو يضرب أمثلة متعددة في كيفية قيام إنسان النهضة بعد صناعة نفسه وتزكيتها بتطهير مجتمعه واجتثاث أسباب الظلم الموجودة فيه، فمرة يحمي المساكين من ظلم الملك: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾ [الكهف: ٧٩]، وأخرى يمنع ظلم الغلام الكافر وطغيانه على أبويه المؤمنين: ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا (٨٠) فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا (٨١)﴾ [الكهف: ٨٠ – ٨١]، وثالثة يحافظ على مال الغلامين اليتيمين من أن يعتدي عليه أهل القرية: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٢]، وهو في كل ذلك يعطينا نماذج حقيقية لسلوك إنسان النهضة القائم الفعّال على تزكية المجتمع ومنع أسباب الظلم فيه بنور من الله وبوسائل تحقق نهضة الأمة وتآلف أبنائها.

وذو القرنين في آخر قصص السورة الكريمة يبين كيف يسعى المؤمن لنشر دينه، ومن أهم مقاصده نقل تجربة صناعة الإنسان المتكون والمتشكل بمفاهيم النهضة وقيمها العليا، كيف يسعى هذا الإنسان إلى تزكية نفوس البشر واجتثاث الظلم والفساد من مجتمعاتهم، فها هو يخير قوماً ويبين لهم نتائج اختياراتهم وأثرها في التعامل معهم: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا (٨٧) وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا (٨٨)﴾ [الكهف: ٨٧ – ٨٨].

وها هو كذلك يبني سداً عظيماً ليحمي به قوماً آخرين من فساد يأجوج ومأجوج: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: ٩٤-٩٥] وفي هذا البناء وذلك التخيير تجد شخصية قائد النهضة المتكونة والمعجونة بمبادئ تزكية النفس واستقامتها، وبذلك تجد صناعة إنسان النهضة حاضرة كمقصد أعلى من مقاصد تحقيق النهضة، فغاية التخيير أن يحب الناس الإيمان فيدخلوا فيه أفواجاً، ومآل السد أن يتذكر الناس رحمة الله بهم في حمايته لهم فيشكروه ويعبدوه: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨]، وبإيمانهم وشكرهم وعبادتهم تزكوا أنفسهم، وتتغير مواصفاتهم، ليصلوا حد الإنسان القائم بحق وراثة النبوة، وإعمار الأرض، والخلافة فيها بنشر مبادئ النهضة وتحقيقها واقعاً.

وهكذا يظهر في الخلاصة أن صناعة إنسان النهضة وتزكية نفسه هي هدف أساس من أهداف تحقيق النهضة، تحققت في أنموذج فتية الكهف المؤمنين، وأرشدت الآيات أصحاب الجنان والنعيم كي يحافظوا على نعمتهم بإقامة نفوسهم على الشكر والإيمان، وكما تكون صناعة إنسان النهضة هدفاً لتحقيق النهضة الفردية، كذلك تكون هدفاً لتحقيق نهضة المجتمع بمنع الظلم والفساد فيه كما تبين من أعمال العبد الصالح، وهي فوق ذلك هدف لتحقيق نهضة الأمم كما كان سعي ذي القرنين في تزكية من مر بهم في رحلته من أقوام وصناعة نهضتهم.

المطلب الثالث: إقامة مجتمع النهضة (العمران)

إقامة مجتمع النهضة وبناء صرحه تمكّن الإنسان من تحقيق رسالته، ومهمّة وجوده، عبر ترتيب علاقته بالناس والعالم من حوله، وهو ما يمكن أن يطلق عليه مصطلح العمران، والعمران بذلك من أعظم أهداف النهضة؛ فبعد أن

تترتب علاقة الإنسان بخالقه سبحانه عبر العبودية لله وحده، وبنفسه عبر صناعتها وتزكيتها، لا بد من ترتيب علاقته وتحسينها مع من حوله وما حوله من البشر والكائنات والعالمين، ويتحقق ذلك بسعيه للنهضة؛ عمراناً للأرض، وإعماراً لحياة ساكنيها.

ولا يقصد بإقامة مجتمع النهضة عبر العمران التطاول في بنيان الأبنية في الأرض، فهذا مظهر واحد من مظاهر تحقيق النهضة؛ ولكن ما هو أهم من ذلك تحقيقُ العمران في العلاقات الإنسانية بين سكان الأرض، وعمرانُ حياتهم وشؤونهم، وعمرانُ حاجاتهم وضروراتهم، وتحقيقُ الأمن والسعادة للبشر، وإغناؤهم عن الحاجة والفقر، والقضاءُ على مشاكل الإنسانية الحالية من فرقة وجهل وأمراض وفساد أخلاقي ومجتمعي، عمرانُ حمايةٍ من الفساد والظلم، وعمرانُ أنظمةٍ ربانيةٍ قرآنيةٍ تخرج الناس من الظلمات إلى النور، وتلك هي مهمة النهضة في الأرض ورسالتها فيها.

والإشارات الربانية إلى الأبنية في سورة الكهف فيها لطائف تؤخذ بعين الاعتبار في رحلة النهضة العمرانية للأرض، فيذكر بناء المسجد في أول قصص السورة: ﴿فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]، وبناء المسجد من أهم نقاط انطلاق النهضة، وهو المصنع المنتج لرجال النهضة وحامليها، ويكفي دليلاً على هذا أن أول ما عمله النبي ﷺ في المدينة هو بناء مسجده فيها.(١)

---

(١) ينظر الخضري، محمد بن عفيفي الباجوري (ت: ١٣٤٥هـ)، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، نشر: دار الفيحاء - دمشق، ط ٢ - ١٤٢٥ هـ، (٨٣).

وفي قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح إشارة أخرى لبناء الجدار لحماية كنز اليتامى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٧]، وبناء هذا الجدار يوضح أن من أهداف النهضة حماية حقوق الضعفاء في المجتمع وعدم السماح للأقوياء بسلبهم هذه الحقوق، فالجدار رمز حقيقي لمنع الظلم ومنع أكل حق الضعيف في المجتمع، وهذا من أهم أهداف النهضة.

وقل مثل ذلك في الإشارة إلى بناء سد يأجوج ومأجوج: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: ٩٤ – ٩٥]، فذو القرنين ببنائه للسد حاجزاً ومانعاً للفساد في الأرض يذكر بهدف مهم من أهداف النهضة؛ وهو إقامة سدود الحماية من الفساد في الأرض، سواء ببناء حقيقي، أو ببناء مجازي؛ كالسلطة العادلة، والقوانين الحازمة، والأحكام النافعة، وكل ذلك تحققه النهضة بتطبيق الدين الرباني الذي هو مضمون تحقيقها، والذي تشكل إقامته إعماراً للأرض، وتزكية لنفوس أهلها؛ بتوحيد ربهم سبحانه.

وتنوع الأماكن وتعددها في سورة الكهف إشارة أخرى إلى أن يسعى المسلمون لتحقيق نهضتهم في كل مكان من الأرض؛ فالكهف يغدوا ملجأ للناهضين وملاذا لهم: ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، والجنان والأنهار والثمار حق لهم بإيمانهم: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الكهف: ٣٢ – ٣٤]، وظهر السفينة يصبح ركناً

يحصنهم من الظلم: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾ [الكهف: ٧٩]، والقرية تصير مدينة (تتحول من الظلم إلى المدنية والنهضة والتحضر)،(١) وتمسي ميداناً لحماية الضعفاء: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٢].

والنهضة هدفها عمران للأرض كلها حتى مطلع الشمس: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الكهف: ٩٠]، ومغربها: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الكهف: ٨٦]، بل وتصل إلى ما بين السدين حيث لا يدري أحد: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾[الكهف: ٩٣]، وكل هذا يدل على أن النهضة ليست محكومة بمكان ولا محددة بحدود؛ بل هي تسع الأرض كل الأرض.

وكما تهدف النهضة ببنائها لهذه الأبنية - المساجد: منطلق النهضة، والجدر: لحماية الضعفاء والكنوز، والسدود: لمنع الفساد - وكما تهدف من ذكر الأماكن المتعددة من الأرض إلى اتساع رقعة النهضة وشمولها للأرض كلها، كذلك تهدف هذه النهضة إلى إعمار الأرض، وتسعى إلى تزكيتها بالتوحيد والإيمان، وإقامة العدل، وتحقيق الحياة الطيبة لأهلها، وهذا هو هدف النهضة المبنية على مبادئ القرآن؛ فوجود الإنسان على الأرض إنما هو لإعمارها بحسب أوامر الله سبحانه، ولا يحقق ذلك على أتم وجه إلا نهضة أمة القرآن.

---

(١) ينظر البقاعي، نظم الدرر، (١٢/ ١٢٢)، والقاسمي، محاسن التأويل، (٧/ ٥٤).

وما هذه الأبنية إلا نماذج بنائية لأهداف النهضة؛ فبناء المسجد الذي انبثقت منه فيما بعد المدرسة، ومركز القيادة، ودار القضاء، وبيت المال، وما إلى ذلك من مبانٍ تمارس سلطة النهضة وإشرافها على عمران المجتمع، كما أن الجدار أنموذج لبناء المؤسسات والهيئات، وإنشاء الوزارات والإدارات المجتمعية، لتنمية ثروات الأمة، والمحافظة عليها، وكذلك بناء السد؛ فهو أنموذج لإقامة الدستور والقانون، والسلطات القادرة على صد الفساد ومنعه من المجتمع، وحماية المجتمع منه، وفي كل ما سبق يغدو عمران هذه المراكز مهمة منشودة وهدف مقصود لتحقيق النهضة.

وإذا ما أقيمت هذه الصروح وعمرت وفق الأنظمة الربانية القرآنية فإنها ستسهم في بناء مجتمع قوي فعّال، ذلك هو مجتمع النهضة.

المبحث الثالث: تحديات النهضة التي بينتها سورة الكهف

بعد تبيان أنواع النهضة ومجالاتها التي تشكل الصورة العامة لها، وبعد توضيح أهداف النهضة ومقاصدها التي تكوّن بدورها باعث وجود هذه النهضة، والهمّ المحرك لصنّاعها والساعين لتحقيقها، ولتكتمل صورة النهضة العامة قبل الدخول في مقوماتها الداخلية من أركان ووسائل تحقيق وقيم وآثار؛ سيختص هذا المبحث بتناول ما يعترض طريق هذه النهضة من تحديات تحاول إضعافها أو معاكستها أو عرقلة مسيرتها.

وتحديات النهضة ومعيقاتها كثيرة ومتنوعة، إلا أنه يمكن تحديد مجموعة من التحديات الرئيسة الكبرى التي تندرج باقي المعيقات والتحديات تحتها، وفي مطالب هذا المبحث ستعالج ما بثته آيات سورة الكهف الكريمة من حديث عن هذه المعيقات والتحديات على سبيل المثال والنمذجة على ما يعترض النهضة من تحديات ومعيقات.

وتأتي دراسة هذه التحديات هنا نابعة من سببين رئيسين هما:

١. **حماية النهضة من الداخل**، بمعنى أن تتنقى النهضة في حركتها وتنأى بمكوناتها عن أن يدخل فيها أي جزئية من هذه الجزئيات الضارة في تكوين نهضتها وتشكيلها.

٢. **حماية النهضة من الخارج**، عن طريق التحذير من هذه التحديات والمعيقات، والتنبه لها إذا ما أثارها أي عدو متربص بالنهضة الإسلامية.

وبهذا يتبين أن أي تحد أو معيق فيما سيدرس في مطالب هذا المبحث إنما ذكر لأجل حماية النهضة والمحافظة عليها داخلياً وخارجياً؛ داخلياً لكي يبتعد عنها القائمون على نهضة الأمة؛ حتى لا يدخل أي منها في مسيرة النهضة، فيؤثر عليها سلباً، مما يعيق تقدمها وأداءها، ويكون مثبطاً لها، ومؤخراً لثمارها، وخارجياً ليحذر صناع النهضة ممن حولهم بنظر دقيق في هذه التحديات التي تحاول عرقلة مسيرة النهضة والتخطيط لإنهائها.

وأمثال هذه التحديات والمعيقات التي تشكل أفعالاً وتصرفات وسلوكيات معيقة ومثبطة للنهضة - والتي ركزت عليها سورة الكهف وأظهرتها- كثيرة ومتنوعة، سيذكر عدد منها في المطالب القادمة؛ وذلك بناء على ما يظهر من توافق بينها، مما يجعلها تشكل مجموعات متقاربة يختص كل منها بنوع معين من المعيقات والتحديات للنهضة.

وتجدر الإشارة إلى أن أعظم هذه المعيقات، وأشدها على النهضة هي أربعة تحديات رئيسة أساسية: (الكفر، المادية، الظلم، الفساد)، ويضاف إليها خامسها الذي يمسك بيده خيوط التثبيط والإعاقة، ومن يشكل التحدي الرئيس لإقامة النهضة؛ ذلك هو إبليس وجنوده وأولياؤه، وستعالج كل واحدة من هذه التحديات في مطلب من مطالب هذا المبحث، مع إضافة باقي المعيقات التي تندرج تحت هذه الألوان الخمسة الرئيسة من التحديات.

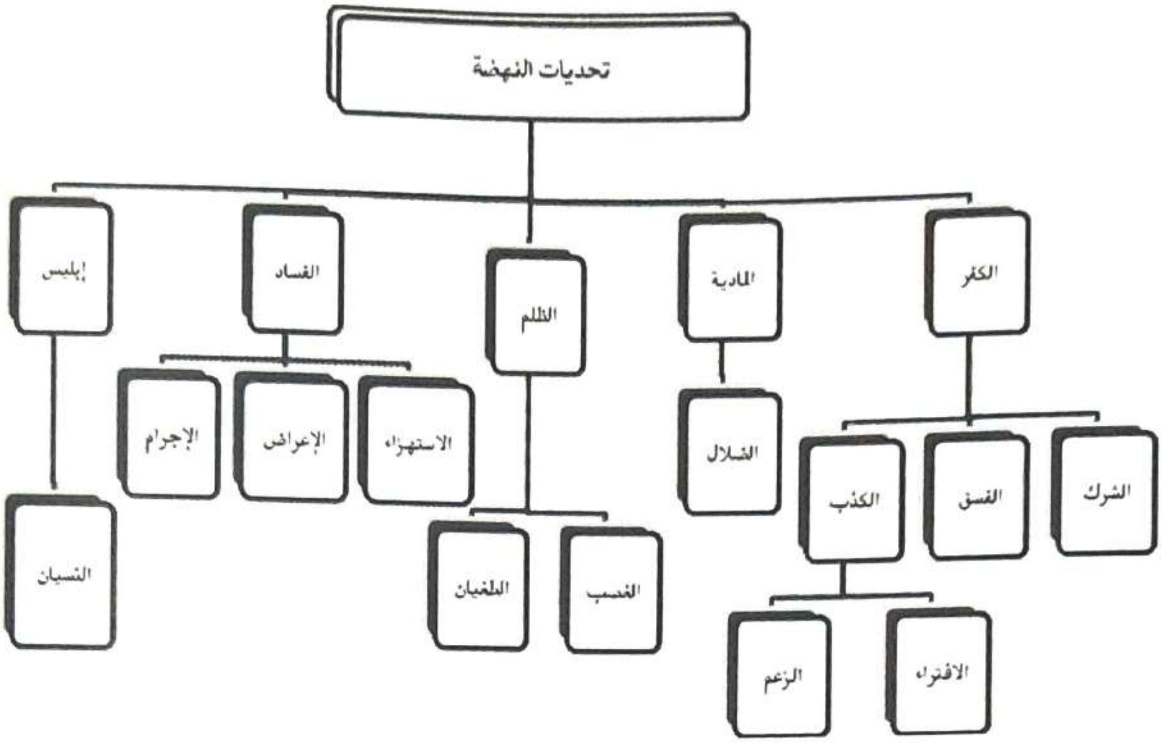
تحديات النهضة
الكفر
المادية
الظلم
الفساد
إبليس
الشرك
الفسق
الكذب
الافتراء
الزعم
الضلال
الغصب
الطغيان
الاستهزاء
الإعراض
الإجرام
النسيان

المطلب الأول: الكفر

قامت نهضة أمتنا أول ما قامت على الإسلام أساساً لها، فكان الإسلام هو الدافع الأول في تشكيل نهضتها، وحجر الزاوية في تكوينها، وستقوم نهضتها القادمة بإذن الله كذلك على الإسلام، فلا غنى لها عنه، وهذا يستلزم الخلوص إلى أن أعظم تحدٍ لتحقيق نهضة أمة الإسلام، وأقوى معارض ومعيق لها هو **الكفر**.

والكفر كما هو معروف نوعان؛ الأول منهما كفر اعتقادي؛ هو كفر الإلحاد والإنكار المقابل للإيمان، وثانيهما كفر النعمة أو جحودها وهو المقابل للشكر، وسورة الكهف تمثل للنوع الأول بأنموذج قوم أصحاب الكهف، وتمثل للنوع الثاني بأنموذج صاحب الجنتين.

ففي قصة أصحاب الكهف يبين الله سبحانه عداوة الكفار ومعاندتهم لإيمان أصحاب الكهف، حتى همّوا بقتلهم وإيذائهم، مما اضطرهم إلى اعتزال

قومهم والإيواء إلى الكهف: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا (١٥) وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا (١٦) ﴾ [الكهف: ١٥- ١٦]، ووصل الأمر بهم إلى أن هددوا الفتية بالرجم إن لم يعودوا في ملتهم: ﴿ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴾ [الكهف: ٢٠].

وفي قصة صاحب الجنتين توضح الآيات كيف تكون النعمة والمادة مؤثرة على صاحبها، حتى تخرجه عن إيمانه، فيجحد المنعم، وينكر نعمته واستحقاقه للعبادة والشكر: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا (٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴾ [الكهف: ٣٤- ٣٦].

وهذان المثالان المتمثلان بكفر القوم في قصة أصحاب الكهف وكفر صاحب الجنتين أنموذجان لما يشكله الكفر كتحد وعائق للنهضة، ولما يعترض طريق النهضة من وراء الكفر وتوابعه؛ فهذا الكفر - بنوعيه- لو كان مقصوراً على صاحبه لما ضر أحداً: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف: ٢٩]، لكن أصحابه وأهله لا يفتؤون يعترضون طريق المؤمنين ويمنعونهم من تحقيق نهضتهم، فهم يتبعون كفرهم أنواعاً شتى من التصرفات التي تشكل العقبات الحقيقية المؤثرة في مسيرة النهضة، وفيما يأتي نماذج على هذه الأفعال الكفرية المعيقة لطريق النهضة فيما تعرضت لذكره آيات سورة الكهف الكريمة:

١. **الشرك**، وهو أشد أنواع الكفر، سواء كان شركاً أكبر فيه إدعاء ألوهية غير الله، أو كان شركاً أصغر؛ بصرف شيء من العبادة نية وقصداً لغير الله سبحانه،[١] وقد جاء ذكره في سورة الكهف خمس مرات، مما يشير إلى أنه أشد أنواع الكفر في مواجهة رسالة التوحيد والنهضة الإسلامية المبنية على مبدأ الإيمان بالله الواحد، فيقول الله سبحانه مقرراً هذا المبدأ في مواجهة الشرك: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٣٨]، ويصف ندم المستكبر على نعمة ربه بعد رؤيته لآثار تنكبه لطريق الحق بسبب شركه: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٤٢]، ويؤكد سبحانه أن من يشركونهم معه ليس لهم قيمة في الآخرة يوم حصد النتائج: ﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴾ [الكهف: ٥٢]، ويبين في خاتمة السورة أن طريق الشرك لا نجاة فيه، وأن الإيمان فقط هو سبيل السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف: ١١٠].

٢. **الفسق**، وهو الخروج عن حد الشرع،[٢] وقد جاء وصفاً لكفر إبليس بالله سبحانه، وهو كفر عصيان عملي: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[الكهف: ٥٠]، ولذا يذكر الله سبحانه الناس بخبر هذا الفاسق في هذه الآية طالباً منهم الانتباه إليه والحذر من متابعته، ويستنكر عليهم موالاته على الرغم من أنه طرد من رحمة الله؛ بسبب رفضه

---

(١) الأصفهاني، المفردات، (٤٥٢).

(٢) الأصفهاني، المفردات، (٦٣٦).

السجود لأبيهم: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف: ٥٠]، وهذا الفسق من أشد تحديات النهضة ومعيقاتها، ففيه خذلان تطبيقها، وضياع أصحابها في موالاتهم للشيطان واتباعهم لأهوائهم وشهواتهم.

٣. الكذب، الزعم، الافتراء، هذه الأفعال الصادرة من أهل الكفر تجاه نهضة المؤمن ودعوته وإيمانه، والمتضمنة مخالفة الحق ومعاداته،[1] فيكذب الكفار على الله مدعين له الولد: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا﴾ [الكهف: ٥]، ويفترون عليه الكذب باتخاذهم شركاء له سبحانه، كما فعل قوم أصحاب الكهف: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ [الكهف: ١٥]، ويزعمون أن هؤلاء الشركاء لهم قدرة من دون الله: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا﴾ [الكهف: ٥٢]، وتزايد زعمهم حتى وصل إلى ادعاء عدم وجود الآخرة والحساب: ﴿بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا﴾ [الكهف: ٤٨]، وهذه الأفعال كلها نابعة من معاداة أهل الكفر، ومعاندتهم لدعوة الحق وأهلها الناهضين بها.

ولكن على الرغم من جهود الكفار، وتخطيطهم للنيل من الإيمان ورسالته ونهضته؛ إلا أن مآل هذا الكفر وما تبعه من شرك وفسق وكذب وافتراء وزعم، إلى زوال، فهذا صاحب الجنتين أحيط بثمره، وأولئك قوم فتية الكهف هلكوا

---

(١) الأصفهاني، المفردات، (٤٧٨).

واندثروا وبقي القرآن شاهداً على خسرانهم وضياعهم، وبالمقابل خلد ذكر الفتية المؤمنين على ضعفهم وقلة حيلتهم؛ ليكونوا أنموذجاً وقدوة لأصحاب الهمم العالية، المجاهدين لصناعة نهضة أمتهم.

والخلاصة أن الكفار (بالمطلق) لا يحبون أن يكون للإيمان دولة وسلطان، ذلك أنه يعاكس مبادئهم وأسلوب حياتهم: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة : ١٢٠]، وهم لذلك لا يريدون أن يكون لدعوته انتشار ولا قبول؛ لأن هذا يحد من ظهورهم وسيطرتهم، ويظهر عجز حضارتهم ومدنيتهم عن مجاراة نهضته، فهم لهذا يحاربونه في السر والعلن، ويعترضون دائماً طريق المؤمنين والساعين لتحقيق نهضة الإيمان في الأرض وبكل وسيلة وأي سبيل يستطيعونه، وهذا أمر مهم كما تبين مما سبق، يحتاج إعداد العدة للمواجهة، ويقوم على أساس المحافظة على أركان النهضة ووسائل تحقيقها وقيمها(١) الكفيلة بدفع هذه العقبات والتحديات من طريق النهضة.

المطلب الثاني: المادية

من أعظم تحديات النهضة وأعقدها المادية، تلك النظرة التي لا تؤمن إلا بالمتع الحسية ومختبر التجريب، وترى أن كل الحياة قائمة على قدرة الإنسان وطاقته، وأنه هو صاحب القدم الأعلى المتمكن في الوجود، وأنه المتصرف في مكونات هذه الحياة، والمسخِّر لهذا العالم، والمسيطر على هذا الكون من حوله.

وهذه النظرة مقصورة على الأشياء الحسية الملموسة، وعاجزة عن إدراك ما وراءها من سنن كونية ربانية، ومن نظام رباني مقدر، ومن إله خالق هو رب

---

(١) ستعالج هذه الأركان والوسائل والقيم بالتفصيل في الفصلين التاليين بإذن الله.

العالمين جميعاً في هذه الحياة، ووجود هاتين النظرتين - النظرة المادية، والنظرة الإيمانية- معاً على ظهر هذه البسيطة هو من أهم مظاهر الصراع الحضاري، وارتقاء الأمم ونهضتها أو انحطاطها، وسورة الكهف في مركز هذا الصراع بين المادية والإيمان، بل إن من المهتمين بالدراسات القرآنية من جعل مدار السورة كله على حقيقة هذا الصراع بين الإيمان والمادية(١).

وتضرب سورة الكهف أنموذجاً واضحاً على تلك المادية التي تحيد بصاحبها عن طريق الحق؛ ذلك هو مثل صاحب الجنتين، الرجل الذي أعطاه الله النعم والجنان ومنحه الطيبات والأنهار والزروع والثمار، وكثر أمواله ونفيره، لكنه تكبر وتجبر وعتى عن طاعة ربه، فكفر بنعمه وأشرك نفسه بنظره القاصر مع الله سبحانه: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا (٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٥ - ٣٦]، فظن أنه مختار مميز بهذا العطاء، ولم ينظر إلى حقيقة أن عطاء الله إنما هو اختبار وامتحان وابتلاء: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧].

وقد جاءت نتيجة هذه النظرة المادية القاصرة هلاك هذه النعم، وضياع صاحبها حسرة وندماً، وفوق ذلك خسران الآخرة التي هي أعظم وأبقى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) ﴾ [الكهف: ٤٢ -٤٤].

---

(١) للعلامة الندوي رحمه الله بحث بعنوان "تأملات في سورة الكهف" جعل فيه مدار السورة ومقصدها الرئيس بيان حقيقة هذا الصراع بين النظرة الإيمانية للكون وبين النظرة المادية له، وجعل وحدة السورة الموضوعية ومحورها الأساس هو قصة صراع الإيمان مع المادية ومظاهره، ينظر الغوري، دراسات قرآنية (١٤٨-٢٢١).

وتضرب سورة الكهف كذلك مثلاً آخر غاية في البلاغة والبيان عن حقيقة هذه الدنيا وما فيها من متاع مادي: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) ﴾ [الكهف: ٤٥ -٤٦].

وكم من حضارة قامت وتعاظمت نهضتها على أسس المادية والأموال والاهتمام بمظاهر الرخاء والترف وكثرة امتلاك الأشياء؛ كقوم أصحاب الكهف، وكالحضارة الرومانية، إلا أن تغييبهم للجانب الإيماني الروحي للنهضة كان سبباً في اندثار حضارتهم وتضعضع نهضتهم⁽¹⁾.

وتكمن خطورة المادية في إعاقتها للنهضة في كون النفس البشرية مجبولة على حب المادة والمال وعرض الدنيا: ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ [النساء : ١٢٨]، وقليل من يسلم من هذه النظرة المثبطة والعقبة الكأداء: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

وانظر إلى أهل القرية التي جاءها العبد الصالح مع موسى عليه السلام، كيف أخرجتهم ماديتهم عن حدود اللياقة والأدب وحسن الخلق، وأوصلتهم إلى حد عدم إطعام ضيوفهم: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ [الكهف: ٧٧]، وفي هذا بيان لشدة تحكم المادة في نفوس أصحابها، ولذا فإن مثل هؤلاء يخاف عليهم من انتهاك أموال الآخرين وسلبها ونهبها؛ حباً في استخلاصها لأنفسهم، والاستئثار بمنفعتها دونهم، ولهذا قام العبد

---

(١) ينظر الغوري، دراسات قرآنية، (١٨٢ – ١٨٥).

الصالح ببناء الجدار؛ ليحمي للغلامين اليتيمين كنزهما: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

وتأمل اللفتة اللطيفة في عدم أخذ العبد الصالح لأجر بناء هذا الجدار: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، والتي فيها التأكيد على أن إخلاص العمل لله وانتظار الأجر منه وحده خير وأبقى من النظر إلى النتائج المادية البحتة في الدنيا.

وتفكر في اللطيفة الأخرى التي تظهر إبطال سعي أهل القرية الماديين وتخييب مسعاهم في ظهورهم على كنز اليتامى، بينما سخر الله رسولاً كليماً ونبياً عظيماً كموسى عليه السلام، وعبداً صالحاً عالماً عارفاً كالعبد الصالح ليحفظا كنز اليتامى، وكل ذلك بسبب إيمان أبيهما وصلاحه:(١) ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، لتظهر حقيقة أن الإيمان هو الحافظ للمادة، وأن المادة هي المعين للإيمان، وليست هي الأصل والمبتغى كما يدعي الماديون.

ولا تفوتني الإشارة هنا إلى ما ورد كذلك في قصة السفينة التي خرقها العبد الصالح؛ ليحميها من اغتصاب الملك الظالم لها، وما أراد ذلك الملك أخذها إلا بسبب حبه للتملك والمادة، مما أخرجه إلى حد الظلم والغصب: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩].

---

(١) تفسير سورة الكهف سماعياً، الدكتور محمد راتب النابلسي.

وهذه هي شدة تأثير المادة على صاحبها، وقد تصل به إلى الضلال، فيظن أنه بامتلاكه للأسباب المادية قد تحصل على الخيرية والسعادة، وينسى قانون الله الذي قدر الآخرة وقضى بالجزاء فيها، ويحيد بضلاله عن أمانة الله في استخلافه لنا معشر البشر في هذه الأرض، ذلك الاستخلاف المتضمن إطاعة أمره سبحانه واتباع رسله وكتبه، فيضل سعي هذا الماديّ وعمله في الدنيا وهو يظن أنه الأفضل والأكمل والأحسن فهماً للحياة: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا (١٠٣) ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا (١٠٤) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا (١٠٥)﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٦].

وهذه هي حال أصحاب الحضارة المادية المعادية لنهضة الإسلام، أصحاب النظرة المادية الإلحادية البعيدة عن الإيمان بالله، وهم أولئك الذين يكيدون للإسلام إما لعلمهم بقوته مخططين، وإما لجهلهم بها ضالين : ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف: ١٧].

المطلب الثالث: الظلم

أما الظلم فهو مثبط للنهضة ومعيق لها عظيم، والظلم اسم جامع لأنواع متعددة من التعدي والعدوان؛ توضع فيها الأمور في غير مكانها،[١] فهناك ظلم للنفس بنسيان منافعها وتزكيتها، وظلم للناس بأخذ بعض حقوقهم أو التعدي على محارمهم، وهناك ظلم يمنع أداء الحق، وظلم يسلب الحقوق من أصحابها، وهناك ظلم مقترن بالكفر أو الشرك، وظلم مقترن بالغصب والطغيان، وكل هذه الأنواع وغيرها مدارها حول عدم رعاية الحقوق.

---

[١] الأصفهاني، المفردات، (٥٣٧).

والنهضة في طريقها لتحقيق غاياتها ولتمكين أمة الإسلام لا بد لها من اجتناب هذه العقبة، والحذر منها، ولا بد لها من مراعاة عدم دخول الظلم بأي صورة من صوره أو شكل من أشكاله في مكونات هذه النهضة؛ فهو كفيل بهدمها، وإدخال بذور الخراب فيها، "فالظلم مؤذن بزوال العمران"،(١) وما النهضة إلا طريق هذا العمران، فلا توافق ولا انسجام بين النهضة والظلم، وحيثما وجد الظلم فلا نهضة، وأينما حلت النهضة فلا ظلم، فهما خصمان لدودان وعدوان لا يجتمعان.

وفي سورة الكهف نماذج متعددة للظلم بأنواعه،[٢] فقد ورد مصطلح "الظلم" في سورة الكهف (٨) ثمان مرات بصيغ مختلفة، بالإضافة إلى ضرب أمثلة ونماذج واقعية لبعض أنواعه من خلال قصص السورة الكريمة، وفيما يأتي تفصيل ما ورد في السورة من بيان لذلك:

١. ظلم المشركين بافترائهم الكذب على الله وادعائهم له شركاء: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ [الكهف: ١٥].

٢. ظلم الكفار للمؤمنين بالاضطهاد والمعاداة: ﴿ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴾ [الكهف: ٢٠].

٣. ظلم الإنسان لنفسه بعدم شكر نعم الله ورعايتها: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴾ [الكهف: ٣٥].

---

(١) ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون (ت: ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبدالله محمد درويش، نشر دار يعرب، ط١ - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، (١٥٥).

(٢) راجع الآيات الواردة في الظلم في سورة الكهف في الملحق رقم (١) قاموس مفردات سورة الكهف.

٤. ظلم الناس لأنفسهم بالإعراض عن كتاب الله وآياته: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ [الكهف: ٥٧].

٥. ظلم الإنسان لنفسه بموالاته للشيطان: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف: ٥٠].

٦. ظلم الحاكم لرعيته بالغصب والتسلط: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾ [الكهف: ٧٩].

٧. ظلم الأبناء لآبائهم بالكفر والطغيان: ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٠].

٨. ظلم الماديين للفقراء في مجتمعاتهم: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

٩. ظلم الناس لأنفسهم بعدم اتباع دعوة الحق: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٧].

وقد قالوا قديماً إن مرتع الظلم وخيم،(١) وذاك أنه داخل في ثناياه الكفر والشرك والكذب والافتراء، ويداخله الغصب والطغيان والفسوق، وتنبع عنه

---

(١) يقول طلحة بن عبد الله رضي الله عنه في قصيدة له: "فلا تعجل على أحد بظلم ... فإن الظلم مرتعه وخيم"، ينظر البيهقي، شعب الإيمان، (٩/ ٥٥١/ ٧٠٨٨)، فصل في ذكر ما ورد من التشديد في الظلم.

المادية والإعراض عن الحق ورده، ويتبعه الهلاك والدمار والخسران، وكفى برابط هذه السيئات والشرور ومجمعها (الظلم)، أقول كفى به مستنقعاً جامعاً لكثير من ألوان الإعاقة والتحدي والتثبيط لحركة النهضة.

وأما نتيجة الظلم ومآل أنواعه كلها فإنك تجده ملخصاً مختصراً بليغاً معجزاً في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]، فهلاك الأمم وضياع نهضاتها مرتبط بمقدار اقترافها للظلم وقربها منه.

المطلب الرابع: الفساد

رابع تحديات النهضة بعد الكفر والمادية والظلم هو الفساد، وهو ما يمكن وصفه بأنه زوغان وبعد عن الصلاح والاستقامة؛ سواء نبع هذا البعد والزوغان من داخل أمة النهضة، أو كان خارجياً يواجهها من قبل أعدائها، وهذا الفساد له أنواع متعددة، فمنه فساد عقدي ديني، ومنه فساد أخلاقي سلوكي، ومنه فساد اقتصادي، أو سياسي، أو عسكري، وما إلى ذلك من مجالات الحياة المتعددة المعرضة لوجود انحراف عن إقامتها وفق أوامر الله وقوانينه المقدرة والمستلزمة لصلاح هذا المجالات، والتي بدون تطبيقها سيظهر الفساد الذي نتحدث عنه لا محالة.

وقبل الدخول في تفاصيل ما أوردته آيات سورة الكهف عن الفساد لا بد من الإشارة إلى أن تحديات النهضة سابقة الذكر (الكفر، المادية، والظلم) وما ينضوي تحتها مما شُرح، بالإضافة إلى هذا التحدي (الفساد) وأنواعه، هذه التحديات للنهضة والمعيقات لمسيرتها ليست منفصلة عن بعضها ولا تنفرد واحدة منها عن الأخريات.

فالكفر مثلاً متضمن للظلم والفساد والمادية، والمادية كذلك مترافقة ونابعة عن الكفر والشرك، وفيها ظلم للنفس وللناس، ويتبعها بالضرورة أنواع من

الفساد، وقل مثل ذلك في الظلم والفساد، فلا يتصور الظلم بلا فساد أو مادية أو كفر، فهو صنو الفساد وقرين الكفر وقسيم المادية، والفساد أيضاً - كما سيتبين في هذا المطلب- منه فساد عقدي يعتبر كفراً أو شركاً، ومنه فساد اجتماعي قد يعد ظلماً أو فسقاً، كما ويمكن أن يكون الفساد نابعاً من النظرة المادية للحياة والكون⁽¹⁾.

وعلى هذا فبحث هذه المعيقات والتحديات بشكل مستقل إنما هو لأجل تفصيل كل منها وتوضيحه؛ بيد أنها كلها تجتمع معاً في طريق واحد للنيل من أو لعرقلة مسيرة النهضة، وهذا يستلزم أن يكون منهج النهضة أو طريقتها وأسلوبها في التعامل مع هذه المعيقات والتحديات واحد لا يتغير ولا يتبدل، مهما تنوع العائق الذي يقف أمامها؛ ألا وهو التزام منهج تحقيق النهضة القرآني، وهو الذي سيُبحث ويُبيّن في الفصلين القادمين المتضمنين أركان النهضة ووسائل تحقيقها وقيمها وثمارها.

وأما الفساد الذي تحدثت عنه سورة الكهف وأبرزت أنواعاً متعددة منه ففيما يأتي بيان النقاط الرئيسة التي يمكن ملاحظتها في تناول سورة الكهف لموضوع الفساد المعيق للنهضة:

- **أولاً: أن للفساد أنواعاً متعددةً** تناولت سورة الكهف منها ثلاثة أنواع، فيما يلي ذكرها:

١. **فساد عقدي،** متعلق بتنكب طريق الإيمان بالله وصراطه المستقيم، وجاء التعرض لهذا النوع في قصة أصحاب الكهف، وهو فساد تجلى في صورة الكفر

---

(١) يلاحظ أن التحدي والمعيق الخامس والأخير (إبليس) الذي سيأتي الحديث عنه في المطلب الخامس من هذا المبحث هو أيضاً متوافق ومترابط مع هذه التحديات والمعيقات كلها، وسيتم الحديث عن هذا في محله من المطلب.

والإشراك بالله ومعاداة المؤمنين وملاحقتهم، مما ألجأهم إلى اعتزال فساد قومهم في الكهف: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٥-١٦]، ووصل فسادهم هذا حداً أخاف الفتية المؤمنين منهم: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٢٠].

٢. فساد مادي، متعلق بسوء التعامل مع عطاء الله المادي للإنسان، وورد الحديث عنه في قصة صاحب الجنتين، وبرزت مظاهر هذا الفساد في اقتصار نظرة صاحب الجنتين المادية على النعمة دون المنعم، وتكبره على صاحبه بماله وثروته، وإشراكه بالله وكفره باليوم الآخر تبعاً لذلك: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا (٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٤ -٣٦].

٣. فساد اجتماعي، متعلق بسلوك الأفراد وتصرفاتهم، وضربت سورة الكهف صوراً ثلاثة لهذا النوع من الفساد في قصة العبد الصالح مع موسى عليه السلام، هذا تفصيلها:

- **سياسي تمثل بتعدي الملوك وظلمهم لرعاياهم،** وانظر مثاله في فعل الملك الذي أراد أن يغتصب سفينة المساكين: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩].

- **أسري تمثل بطغيان الأبناء وإرهاقهم لآبائهم**، وتأمل في قصة الغلام الذي قتله العبد الصالح بيان هذا الفساد: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف: ٨٠].

- **مجتمعي تمثل بشح الناس وبخلهم ومنعهم وماديتهم**، وتدبر ذلك في حال أهل القرية التي جاءها العبد الصالح وموسى عليه السلام فأبوا أن يضيفوهما: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ [الكهف: ٧٧]، وخاف العبد الصالح من تصرفاتهم على كنز الغلامين اليتيمين فبنى جداراً: ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾ [الكهف: ٧٧]، وذلك ليحفظ لهما كنزهما من هؤلاء القوم الفاسدين: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف: ٨٢].

• **ثانياً: أن للفساد أساليب متنوعة** ذكرت سورة الكهف عدداً منها، فيما يأتي بيانها:

١. **الاستهزاء**، وهو أسلوب من أساليب الفساد يقوم على السخرية من الحق وأهله(١) ورموزه وأعماله؛ وذلك كي يبتعد الناس عن طريق الحق ويزدرونه؛ ليعوق ذلك تحقيق أهدافه وتمام نهضته، وذكرت سورة الكهف نمطين من هذا الاستهزاء:

---

(١) الأصفهاني، المفردات، (٨٤١).

- **الأول:** الاستهزاء بآيات الله وكتبه، وجاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ [الكهف:٥٦].

- **الثاني:** الاستهزاء بالرسالات والرسل، وورد في قوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾ [الكهف:١٠٦].

وهذان النمطان يجمعان الاستهزاء برسل الله وبما جاءوا به من كتب ورسالات، وما هذا إلا من أعظم الفساد؛ فهو استهزاء بمنهج الإصلاح - الكتب والآيات- وبحملته - الرسل المصطفون- من عند ربهم، وهذا الاستهزاء يشكل إفسادا لإيمان الناس بكتب الله ورسله ومنهجها في الإصلاح.

١. **الإعراض،** وهو نوع من الإفساد مبني على تكذيب الحق ورده والتجافي عنه(١) وصد الناس عن الإيمان به، لمنع نهوضه وتمكنه، يقول عز وجل واصفاً لهذا الفساد: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧]، وتدبر في ارتباط هذا الفساد بالظلم ونسيان الواقع والضلال عن الهدى، وكل ذلك نتيجة الإعراض عن الحق، ففيه فساد أيما فساد.

٢. **الإجرام،** وهو فساد عملي يتضمن الكيد لنهضة الإسلام، والمكر بها، والتضييق على أهلها، والإجرام اسم جامع لكل ما فيه اكتساب لمكروه،[٢] فالكفر إجرام، والشرك إجرام، والظلم وسلب الحقوق إجرام، واقتراف

---

(١) الأصفهاني، المفردات، (٥٥٩).

(٢) الأصفهاني، المفردات، (١٩٢).

المنكرات ونشرها إجرام، وكل ذلك وغيره وارد في قصص سورة الكهف مما سبق بيانه في الصفحات السابقة، وقد ورد ذكر الإجرام في سورة الكهف مرتين، الأولى بينت عاقبة هذا الإجرام وأنه مكتوب ومحصى وسيحاسب صاحبه عنه: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، والثانية وضحت مآل المجرمين ونتيجتهم الأكيدة في النار: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ [الكهف:٥٣].

• **ثالثاً: أن علاج الفساد الناجع والمنهج القرآني الحاسم في مواجهته** جاء في صورة مشروع متكامل مترابط بين القيادة والشعب، وتكاملت به الأموال مع الجنود والعمال، وتشاركت به الصناعة مع التقنية الحديثة مع استغلال ما سخر الله للإنسان في الأرض من عناصر الطبيعة، وما أعطاه من نعمة العقل الذي يستطيع أن يستعمل ما سخر له لأجل منفعته، وكل هذا جاء واضحاً بيناً في حديث سورة الكهف عن ذلك السد الذي بناه ذو القرنين؛ ليحمي به أولئك القوم من فساد يأجوج ومأجوج وإفسادهم في الأرض، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف: ٩٥- ٩٦].

المطلب الخامس: إبليس

إبليس هو رأس تحديات النهضة، وأساس عقباتها، ومركز معيقاتها؛ فهو صانع الكفر وباعثه، ومسوّل المادية ومزينها، ومحرك الظلم ومثيره، وناشر الفساد ومدبره، وإليه مرجع العداوة للإيمان وأهله ونهضتهم.

وهذا العائق يختلف عما سبقه من تحديات ومعيقات؛ فإن ما سبق كان تصرفات وأفعالاً تعتبر بغض النظر عن فاعلها - إن كان من أهل النهضة أم عدوها- معيقاً وتحدياً لتحقيق النهضة، إلا أن إبليس هو الاسم الوحيد الذي يستحسن بحثه معيقاً للنهضة، وذلك لأسباب عدة بينتها آيات الكتاب المبين في غير سورة الكهف، منها:

١. أنه عدو البشر الأول، وقد أخذ على عاتقه أن يقعد لهم في طريق الحق: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦ -١٧].

٢. أنه لا يرضى أن تتحقق نهضة الإسلام وأهله المخلصين، فهو مما يبكته، ويضيع مسعاه ومراده: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٣٩ – ٤٤].

٣. أنه يحاول تثبيط نهضة الإسلام بكل وسيلة وطريقة ممكنة: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٤].

٤. أن له أتباعاً وأولياء من الجن والإنس يعملون طوع أمره؛ للنيل من نهضة الإسلام: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٢٠].

٥. أن له مداخل وخطوات دقيقة وخبيثة في مسعاه لتضليل الناس قد لا يُلتفت إليها، ولذا فهي أشد خطراً وأعظم أثراً: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٩].

وأما حديث سورة الكهف عن إبليس، وإرشادها للخلاص من تثبيطه وإعاقته لطريق نهضة الأمة فقد جاء في الآية الخمسين في منتصف السورة تقريباً؛ إذ سبقه قصتان من قصص السورة الأربع وتلاه قصتان، وفي ذلك إشارة إلى دور إبليس في نشر الفتن، وتنكب صراط الإيمان المستقيم، ومركزيته في ذلك؛ فكل خيوط الفتن ومخططات الشر تمر من خلاله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠].

وهذه الآية تجلي عداوة الشيطان وحاله؛ فهو امتنع من السجود لآدم، وفسق عن أمر ربه بهذا الفعل، وقد أخذ على نفسه عهداً بأن يجعل كل من قدر عليه من أبناء آدم مثله، فهو يحاول بالتزيين والوسوسة آناً، وبالتسويل والأماني والتغرير آناً آخر، وخطواته في كل ذلك مدروسة محسوبة، يجلب فيها كل الحيل والأسباب، ويتبع شتى الوسائل والأساليب - كما مر خلال الآيات سابقة الذكر - وهو بذلك كله يهدف إلى أن يتبعه الناس ويوالوه: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾]النساء: ١١٩]، وتأمل في عتاب الله سبحانه وإنكاره هذه الموالاة بين الإنسان وعدوه الأول إبليس: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠].

وكل ما ينطبق على إبليس ينطبق بلا شك على جنده من ذريته، وأتباعه من الشياطين، وأوليائه من الإنس؛ يقول الله عز وجل: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الكهف: ٥٠]. وفي ذلك إرشاد للمسلم في نهضته أن يتقي شر إبليس وأتباعه من الجن والإنس، فهم أشد خصوم النهضة الإسلامية، ولهم مخططات ومكائد ومنهجيات كثيرة متعددة ومتنوعة في محاولة تثبيط وعرقلة نهضة الإسلام.

وخلاصة المبحث أنه قد سُلِّطَ فيه الضوء على مجموعة من هذه التحديات الواردة في ثنايا قصص وآيات سورة الكهف الكريمة، وسيتبين في الفصلين القادمين كيفية إقامة النهضة الإسلامية أركاناً ووسائل وقيماً وآثاراً، مما سيشكل المبدأ العلمي والأساس العملي لتكوين نهضة الإسلام في مواجهة كل هذه التحديات والمعيقات والعقبات التي تقف في طريقها.

الفصل الثالث

أركان النهضة ووسائل تحقيقها التي قررتها سورة الكهف

النهضة تختلف من أمة إلى أمة ومن مجتمع إلى آخر، واختلافها هذا مبني كما تبين سابقاً على اختلاف المبادئ التي تقوم عليها النهضات وتنوعها، وهذه المبادئ هي ما يشكل أركان النهضة ومقوماتها والتي تمثل خصائصها المميزة لها والعلامة الفارقة بينها وبين غيرها.

ومن أهم المقومات المشكلة للنهضة الإسلامية القرآنية المرجوة هي تلك الأركان التي تعد أعمدة الأساس التي تتكون النهضة بناءً عليها، ووسائل تحقيق هذه الأركان وقيامها واقعاً عملياً في حياة المجتمع الناهض.

وفي هذا الفصل يأتي تفصيل الكلام حول أركان نهضة الإسلام الواردة في سورة الكهف، وذلك في المبحث الأول منه في مطالب ستة، في كل مطلب ذكر لركن من أركان النهضة الأساسية التي تحدثت عنها سورة الكهف.

ويأتي المبحث الثاني بعد ذلك ليشرح الوسائل العملية، ويبين آليات وطرائق تمثلها، لأجل تحقيق نهضة الأمة الإسلامية - أمة القرآن -، وذلك في ستة مطالب يتحدث كل مطلب منها عن وسيلتين من وسائل تحقيق هذه النهضة.

المبحث الأول: أركان النهضة التي وردت في سورة الكهف

في هذا المبحث يأتي تناول الأركان الأساسية والرئيسة التي ينبغي أن تقوم عليها نهضة الأمة الإسلامية النابعة من توجيهات القرآن الكريم وإرشاداته،

وهذه الأركان مستخلصة من سورة الكهف تمثلاً عمليا يبين الجانب الواقعي المطبق لهذه الأركان إلى جانب التنظير لها وتبيين مبادئها.

وأركان النهضة المستنبطة بجهد الكاتب من هذه السورة تركزت في ستة أركان؛ هي الإيمان والعلم والعمل الصالح والتغيير الإصلاحي والإنسان والقرآن، وفيما يأتي عرض هذه الأركان تفصيلاً...

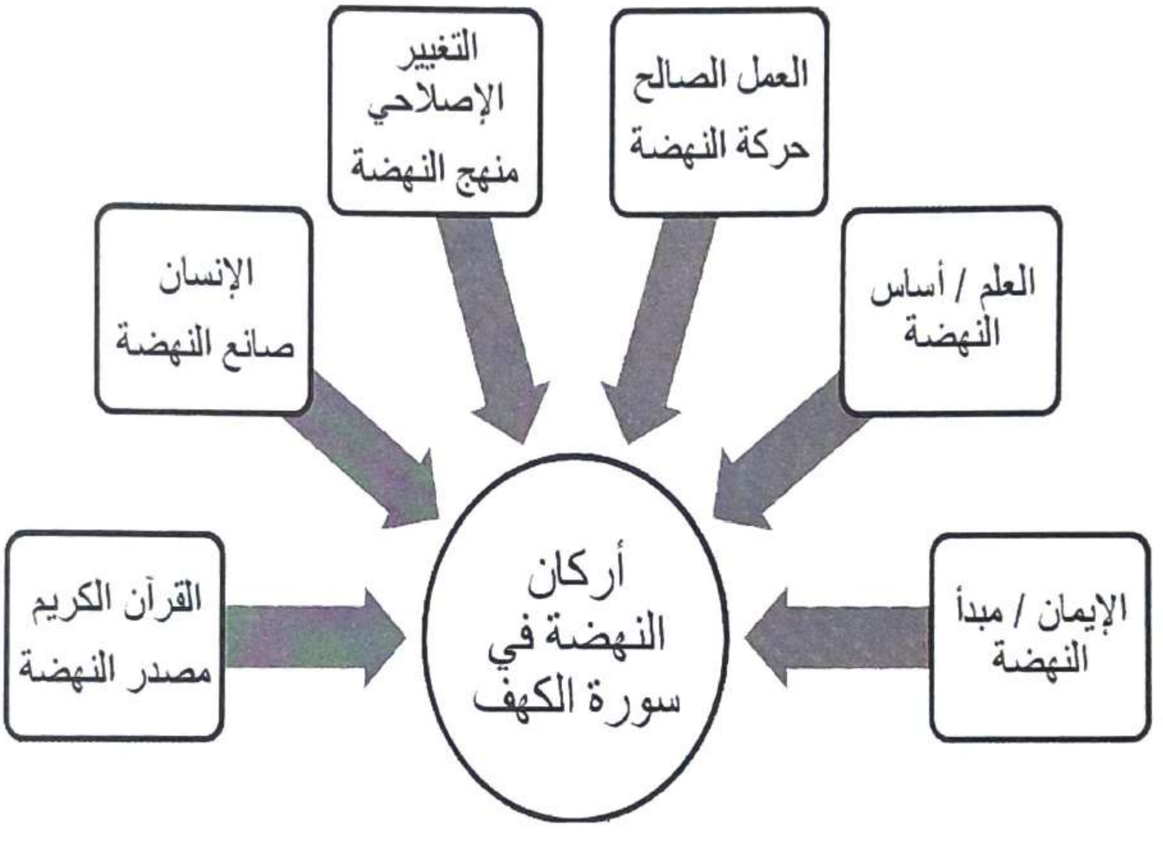
التغيير الإصلاحي منهج النهضة
العمل الصالح حركة النهضة
الإنسان صانع النهضة
العلم / أساس النهضة
القرآن الكريم مصدر النهضة
أركان النهضة في سورة الكهف
الإيمان / مبدأ النهضة

المطلب الأول: الإيمان / مبدأ النهضة

سبق معالجة تحقيق العبودية لله وحده وتناولها بوصفها هدفاً من أهداف النهضة الذي ركزت عليها سورة الكهف، وهنا يأتي تناول ركن الإيمان بالله وتوحيده وباقي أركان الإيمان ركناً أساسياً ومقوماً رئيساً من مقومات النهضة، والذي يشكل المبدأ الأول في نهضة الإسلام، ذلك هو الإيمان.

وسورة الكهف سورة نابضة بالإيمان ودقائقه وقضاياه، وهي تعالج في ثناياها المسائل الإيمانية المهمة التي تجعل من الإيمان ركيزة أساسية لتحقيق نهضة الأمة،(١) فافتتاحية السورة وخاتمتها تتحدث عن الإيمان، وقصص السورة محملة شخوصها ونماذجها بالإيمان، والتعقيبات الواردة على القصص وفيما بينها تؤكد وتقرر كثيراً من حقائق الإيمان ومسائله. وكل ذلك يجعل من الإيمان الركن الحصين، والأساس المتين، الذي تقوم عليه نهضة الإسلام القرآنية.

وقد ورد ذكر الإيمان في السورة تسع (٩) مرات،(٢) وفيما يأتي أساسيات هذا الإيمان وعناصره التي أبرزتها سورة الكهف:

- **إيمان أمة الإسلام مبني في أساسه على التوحيد ونبذ الشرك،** وهذا واضح بيّن في افتتاحية السورة، يقول الله سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ① قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ② مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ③ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ④ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ⑤ ﴾ [الكهف: ١- ٥].

وهذا بيان رباني وافٍ، وشرح محكم كافٍ، يبين أن مقصد نزول القرآن هو إخراج الناس من الشرك، وإدخالهم إلى دائرة الإيمان بالله وحده لا شريك له، وفي هذا تأكيد على أن انطلاقة نهضة الأمة قائمة في أساسها على هذا المبدأ العظيم.

---

(١) يقول سيد قطب رحمه الله في مقدمة تفسيره لسورة الكهف: "وقد احتوت السورة على تصحيح العقيدة، ومنهج تصحيح النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة." سيد قطب، تفسير الظلال، (٤/ ٢٢٥٧).

(٢) ينظر الملحق "الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالنهضة الواردة في سورة الكهف"، في آخر هذه الدراسة.

- **لا يلتقي الإيمان والكفر أبداً فبينهما عداوة ومعارك مصيرية دائمة**، وظهر ذلك في أول قصص السورة في صراع فتية الكهف المؤمنين مع قومهم؛ إذ لمّا تبين لهم الهدى واتبعوا طريقه؛ تصادم هذا الخيار مع قومهم المشركين بالله، فأدى هذا إلى اعتزال المؤمنين لقومهم ولجوئهم إلى الكهف لحماية إيمانهم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٣ - ١٦].

وفي هذه الآيات تقرير رباني لتلك الحقيقة الواضحة بوجود الصراع الدائم بين أهل الكفر وأهل الإيمان، وفيها إرشاد للمؤمنين إلى أخذ الأهبة والاستعداد لمواجهة عدوهم، وفيها إلى جانب ذلك طمأنة للمؤمن بأن نتيجة هذا الصراع محسومة لصالحه دائماً[1].

- **تنافي الإيمان بالله سبحانه مع النظرة المادية الأرضية المنكرة للبعث**، وتبرز قصة سورة الكهف الثانية - قصة صاحب الجنتين - هذه العلاقة المبنية على التنازع والتدافع بين نظرتين مختلفتين إلى الحياة الدنيا؛ ملخص النظرة الأولى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا (٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٤ - ٣٦]، **فهي نظرة مادية بحتة، تؤمن وتعتقد**

---

[1] (١) ينظر الغوري، دراسات قرآنية، (١٨٦).

بأن السعادة في الحياة وجود المال وكثرة الأشياء، وعلى حب الزينة والتفاخر والشهوات، وبنيت في أساسها على نيل اللذة والمتعة في الحياة الدنيا، وهي لذلك تكفر بالقيم الإيمانية التي تربط المؤمن بخالقه وتدعوه للعمل للحياة الأخرى الحقيقية الباقية⁽¹⁾.

وأما النظرة الثانية فخلاصتها: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا (٤١) ﴾ [الكهف: ٣٧ – ٤١].

وهذه النظرة هي التي تشكل المبدأ الرئيس للنهضة، والنظرة البانية المؤسسة لأسلوب النهضة في تعاملها مع المادة ونظرتها لها، والتي يمكن إيضاحها بنقطتين مهمتين:

_ **الأولى**: أن المادة والمال والنعيم الدنيوي إنما هو اختبار وامتحان لتعامل الإنسان معه: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [الكهف: ٧- ٨].

_ **الثانية**: أن مقصد الوجود هو الإيمان بالله وشكره والعمل على تحقيق أوامره باستثمار ما أعطاه سبحانه للإنسان من نعم مادية: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

---

(١) ينظر الغوري، دراسات قرآنية، (١٩٣).

كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٥ – ٤٦].

وهاتان النقطتان تجعلان نهضة أمة القرآن نهضة معتدلة متوسطة بين نهضة خيالية مغرقة في المثالية، وعدم التحقق في الواقع؛ ذلك أنه ليس بمقدور الإيمان وحده تحقيقها. ونهضة مادية بحتة قائمة على إنكار الإيمان والآخرة، فتلك نهضة أرضية مغرقة في المساوئ مهما بلغت من التطور والمادة – النهضة الغربية المعاصرة مثلاً – وإنما نهضة أمتنا المنشودة نهضة إيمانية المبادئ والمثل واقعية التطبيق.

• **ضرورة اقتران الإيمان بالعمل الصالح لأجل تحقيقه واقعاً ملموساً،** وتتولى القصة الثالثة من قصص السورة الكريمة – قصة موسى والعبد الصالح – إقرار هذه الحقيقة، حيث نرى من خلالها هذا العبد الصالح: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ [الكهف: ٦٥]، وكيف قام بأعمال متعددة مبنية على إيمانه بالله الذي اختصه بهذا العلم اللدني: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٢].

فقد قام العبد الصالح بوقاية سفينة المساكين من الملك الغاصب، وحماية الأبوين المؤمنين من طغيان ابنهما الكافر، والمحافظة على كنز الغلامين اليتيمين، وكل ذلك من أجل حماية أهل الإيمان ومنع الظلم عنهم،(١) وهو من أجل وأعظم الأعمال الصالحة المقترنة بالإيمان، وسيأتي الحديث بالتفصيل عن العمل الصالح بوصفه ركناً من أركان النهضة قريباً في هذا المبحث.

---

(١) ينظر طنطاوي، التفسير الوسيط، (٨/ ٥٦٧).

- **اتباع الأسباب والسعي الدائم في نشر الإيمان وتمكينه في الأرض،**(١) وبرزت هذه الحقيقة جلية في قصة ذي القرنين آخر قصص السورة، ذو القرنين ذلك الأنموذج القرآني للحاكم النهضوي العادل، ولقائد النهضة القوي، الذي يسعى في مشارق الأرض ومغاربها لنشر الإيمان والعدل والرخاء: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٧ – ٨٨]، ولصد الفساد والظلم وحماية الأقوام المستضعفة في الأرض منهما: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٣ – ٩٥].

- **المصير السعيد في الآخرة مقرون بصحة الإيمان في الدنيا،** وتقررت هذه الحقيقة في خاتمة السورة الكريمة، يقول عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، إذ الإيمان المقرون بصلاح العمل هما طريقا النجاة في الآخرة، وهذا يحدد ضرورة العيش وفق الإيمان بالله ووعده ولقائه في الحياة الدنيا، وهو ما يعد حافزاً ودافعاً وركنا عظيماً لإقامة نهضة دين الله في الأرض.

وإضافة إلى ما سبق استعراضه من تقرير سورة الكهف للإيمان بوصفه ركناً للنهضة يمكن التأكيد على قيمة الإيمان أساساً أول وركناً مبدئياً للنهضة من خلال الرجوع إلى الآيات التي ذكرت الإيمان في سورة الكهف وعددها كما

---

(١) ينظر الزحيلي، التفسير الوسيط، (٢/ ١٤٥٠).

أشير من قبل تسع (٩) آيات، ويمكن بالرجوع إلى هذه الآيات أيضاً استخلاص حقيقة هذا الإيمان المكوِّن لنهضة الأمة الإسلامية، وعناصر بنائه المتشكلة من النقاط الآتية:

١. **ترتب الأجور العظيمة** في الدنيا والآخرة على تحقيق الإيمان، وتظهر هذه الأجور بالشكل الآتي:

ـ البشرى بالأجر الحسن: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢].

ـ الإيمان طريق زيادة الهدى في الحياة: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

ـ لا ضياع لأجر المؤمن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

ـ حفظ الله للمؤمن وحمايته له: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠].

ـ تيسير الأمور والجزاء الحسن: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٨].

ـ آخر منازل المؤمن في جنة الفردوس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

٢. تكليف أهل الإيمان بنشره في الأرض ودعوة الناس إليه، ولا يجب أن يحول دون ذلك أن الأجر المترتب على الإيمان والجزاء عليه مكانه في الآخرة؛

بل يجب السعي لنيل مكتسباته، وبذل منتهى الجَهد، وغاية الجُهد؛ لنيل ثماره الدنيوية من نصر وتمكين وعزة لأهل الإيمان، والتي تنتج عن تحقيق الإيمان واقعاً ملموساً في حياة أمة الإسلام، يقول سبحانه وتعالى واصفاً حرص نبيه وجهده لتبليغ الإيمان للناس: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦]، وهكذا كان قدوتنا حريصاً على نشر الإيمان لدرجة نسيان نفسه، والتضحية بها؛ في سبيل تمكين الإيمان في صدور العالمين.

٣. أن لهذا الإيمان موانع تحول دون وصوله إلى الناس؛ فإن الله سبحانه لا يرغم أحداً على الإيمان ابتداءً: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩]، لكن الوقوف في وجه طريق الإيمان ونهضته هو ما يواجهه المؤمنون ويحاربونه؛ إذ إن الناس في تعاملهم مع الإيمان بالرفض والرد يمثلون قوله سبحانه: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف: ٥٥]، فهم يريدون إما تحقق عذاب الله لهم في الدنيا؛ كما حصل مع الأمم السابقة، أو لحوق العذاب بهم في الآخرة؛ بسبب دفعهم للإيمان ومعارضتهم له في الدنيا،[1] وهذا ما يجعل تحقيق النهضة الإيمانية صعباً في مواجهة هؤلاء الرافضين للإيمان، ولكنه ميدان مجاهدة وجهاد صناع النهضة.

ومن هذا العرض الموجز لهذه الآيات يمكن الخلوص إلى نتائج مؤكدة أن الإيمان بهذه الصورة الربانية القرآنية التي أبرزتها سورة الكهف هو ركن النهضة الأساس، ومقياس وجودها من عدمه، ودليل تحققها من فواتها وضياعها.

---

(١) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥/ ١٧٢).

ولا يعني هذا بحال أن الإيمان بالله وحده هو المبدأ الإيماني الوحيد الذي تقوم عليه نهضة الأمة، فمن المعلوم بالضرورة أن للإيمان أركاناً أخرى تتبع الإيمان بالله؛ كالإيمان بالرسل والكتب والملائكة واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وكل هذه مبادئ أساسية تشكل التصور الإيماني لأفراد الأمة، وتسهم في صناعة المبدأ الإيماني العام الذي يحكم سلوكياتهم وتصرفاتهم.

وبالمحافظة على هذه الأركان الإيمانية يكتمل لأفراد الأمة التصور الصحيح لمبادئ الوجود، وهو الحري بأن يكوِّن الفكرة المركزية المحفزة والدافعة لتحقيق نهضة الأمة.

المطلب الثاني: العلم / أساس النهضة

العلم اسم واسع جامع لشتى أنواع المعارف،(١) وهذا هو المعنى الذي يقصد به في سياق النهضة، فمن أهم أركانها أن تبنى على العلوم بعمومها واتساعها وتعددها أساساً متيناً لها، فهذه العلوم الإنسانية منها والطبيعية، والنظرية والتطبيقية، العامة والخاصة إنما هي حاجة ملحة وضرورة لازمة لتقوية النهضة وبنائها.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية العلم وحاجة الإنسان له في مواطن كثيرة، وأما سورة الكهف فقد ورد ذكر العلم فيها إحدى عشرة (١١) مرة بصيغ متعددة،[٢] وفي هذا دلالة على أهميته ومكانته في ما تقصد السورة إلى بيانه وتقريره بمجملها من أركان النهضة ومقوماتها القرآنية؛ كما تقرر سابقاً أثناء الحديث عن محورها الرئيس ووحدتها الموضوعية.

---

(١) ينظر تعريف العلم اصطلاحياً والنقاش حوله عند القنوجي، صديق بن حسن، أبجد العلوم، تحقيق: عبد الجبار الزكار، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق - دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٧٨م.

(٢) ينظر الملحق "الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالنهضة الواردة في سورة الكهف" في آخر الدراسة.

ويمكن توضيح ما بينته سورة الكهف من عناصر موضوع العلم الذي هو ركن من أركان النهضة من خلال النقاط الآتية:

- **أول مراتب العلوم وأعلاها علم توحيد الله،** فقد نصت الآيات التي افتتحت بها السورة الكريمة على عدم علم من يشرك بالله(١) وعلى افترائهم الكذب؛ بادعائهم اتخاذ الله للولد: ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٤ – ٥].

ومفهوم الآية أن معرفة توحيد الله والعلم اليقيني بها هو العلم الصادق المبني على الحقيقة الأساسية للوجود، والمرتبطة أساساً بصدق رسالات الرسل، وسبب نزول الكتب وعلى رأسها هذا القرآن الذي جاء ليدل الناس على إيمانهم بالله وتعليمهم كيفية عبادته، وهذا أول علم ينبغي على صناع النهضة وطلابها معرفته وفهمه، واعتقاد صدقه، والاقتناع به يقيناً ومبدأ دافعاً ومؤسساً لنظرة الإنسان للوجود والعالم والكون من حوله، ولكيفية عيشه للحياة على هذه الأرض.

- **إثبات فناء الحياة الدنيا ونهايتها وإثبات العلم بالبعث والحساب كحقائق علمية كما هي حقائق قرآنية ثابتة،** وهذا العلم المثبت هو الذي يبني النظرة الإيمانية المتكاملة نحو حقيقة الحياة ومقصدها ويؤسس لها، وذلك في مقابل النظرة المادية المختلة لها، وجاء الحديث عن هذا العلم عند ذكر آيات السورة لسبب ورود قصة أصحاب الكهف، ومقصد حدوثها؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ [الكهف: ٢١].

---

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، (١٥/ ٢١٥).

وقد ذكر الله أن الهدف من بعث أصحاب الكهف بعد ضربه على آذانهم في الكهف سنين عدداً هو إثبات هذا العلم - علم البعث- المتنازع حوله،(١) فجاءت حادثة فتية الكهف دليلاً مادياً ملموساً على حقيقة البعث، يقول تعالى مبيناً ذلك: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ [الكهف: ١٢]، ويقول في ختام قصتهم أيضاً: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾[الكهف: ٢١]، وحقيقة البعث هذه هي التي تحدد أسباب صلاح البشر أو فسادهم في الحياة، فمن يؤمن بحقيقة البعث يؤمن بالله وباستحقاقه ويكون صالحاً لأجل ما يتمناه ويرجوه في تلك الحياة الآخرة بعد البعث، وأما من لم يكن لديه إيمان بالبعث فلن يكون لديه أي دافع للإيمان بالله واتباع أوامره في الدنيا.

ولهذا فإن العلم بتفاصيل البعث والحياة الأخرى يشكل قاعدة متينة للسعي لتحقيق النهضة في الأرض، ولهذا تجد الحديث عن الجنة والنار والبعث والنشور(٢) كثيراً في آيات القرآن الكريم كتاب النهضة؛ ذلك لأجل أن تشكل في وصفها وعلميتها رصيداً مؤثراً في سلوك الأفراد والأمم.

- **بناء التعامل مع الناس على أسس العلم والفهم والمعرفة،** ويمكن الاستشهاد على هذه الحقيقة القرآنية بالرجوع إلى قصة صاحب الجنتين، والتي تتحدث عن رجل أغراه امتلاكه للنعيم والأموال والثمار فاغتر بهذا، وأخرجه غروره عن النظر الصحيح فكفر بالله سبحانه وباليوم الآخر.

---

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، (١٥/ ٢٥٠)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥/ ١٤٦).

(٢) للتوسع والتأكيد تراجع مرات ورود المصطلحات الدالة على الجزاء والبعث والجنة والنار في القرآن الكريم (في سورة الكهف خصوصاً)، عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

وموطن الشاهد في هذه القصة هو في حوار الرجل المؤمن صاحب هذا المتنعم البائس المادي، واستمع لحواره معه كما قصه الله سبحانه علينا: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٧ – ٤١].

فهذا الرجل نظر إلى صاحبه المفتون بالمادة والدنيا نظر مشفق، وقام بناءً على ذلك بمناقشة حقيقة حال صاحبه، ومصدر تصرفاته، بحكمة مبنية على العلم والمعرفة، وعبر أسلوب حواري مميز؛⁽¹⁾ فهو لم يناقش ظاهر أحوال صاحبه وكلامه الذي حاوره فيه، مما يدل على الكبر المغروس في نفسه، واعتزازه بها وتفاخره بكثرة ماله وولده، ولكنه تأمل فيما وراء ذلك من كفر بالله وعدم شكر له على النعمة، فحاوره في هذا المبدأ، وخاطبه بأصل كفره وبعده عن المنعم سبحانه، ولم يحاوره في ما نتج عن ذلك من ظاهر، وهذا لا يدركه إلا عالم بأحوال الإنسان ومبادئه وما بني عليه من دواخل ومبادئ تشكل سلوكه الظاهر وتعامله مع الآخرين.

ويبنى على هذا النموذج ضرورة بناء حوار المسلمين مع غيرهم على وعي، وإدراك للأسباب والأهداف والدوافع التي تحكم تصرفات الآخرين وتتحكم في سلوكياتهم وفهمها والعلم الدقيق بها، وهذا مفيد جداً في فهم علاقات الأمة مع غيرها، وفي قدرتها على التعامل الفعال مع معطيات الواقع، ويبنى عليه سلوك الأمة وتصرفها في ميدان الصراع والتدافع والتفاعل الحضاري مع الأمم من حولها، وهو باب من أهم أبواب نهضة الأمة.

---

(١) ينظر الغوري، دراسات قرآنية، (١٩١).

• **إرشاد الناس إلى الاهتمام بالعلوم المفيدة،** وتوجيههم إلى نبذ تلك الأنواع الملتصقة بالعلوم مما لا ينفع علمه ولا يضر جهله، وفي سورة الكهف معالجة ناجعة لهذا النوع من العلوم التي تصرف فيها الأوقات والجهود وهي لا تنفع بل تضر مرتين: مرةً بما يهدره العلماء عليها من أوقات وجهود، وأخرى بما يضيعونه من هذه الجهود والأوقات مما كان يستحق أن يكون في علوم نافعة مفيدة للأمة ولنهضتها.

وهاك بعض الأمثلة على أمور أخفاها الله سبحانه في سورة الكهف قصداً وعمداً:

١. عدد أصحاب الكهف ومكانهم وزمانهم: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٢٢]، فلم يبين سبحانه وتعالى لا مكانهم ولا زمانهم، وعند ذكره لعددهم أعرض عنه صفحاً مع ذكر الخلاف فيه، ثم أرشد إلى ترك المراء والجدال والإكثار من الأسئلة والبحث والاستفتاء عنهم وعن عددهم، وهو عين المقصود من هذه النقطة.

٢. عدد سنين لبث أهل الكهف في كهفهم، والذي وإن كان قد ذكر نصاً، إلا أن التعقيب عليه جاء مهماً وواضحاً في لفت النظر إلى عدم أهمية هذا الأمر، بل وتنبيه القارئ وتوجيهه إلى الأهم والأنفع له، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٢٥ – ٢٦].

٣. شخصية فتى موسى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: ٦٠].

٤. شخصية العبد الصالح صاحب موسى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]، فهو عبد صالح آتاه الله علماً، ويكفي ما قصه الله من أخباره وأفعاله عبرة وعظة وإرشاداً، ولا طائل ولا فائدة من تسويد الصفحات وتحبير الكتب في البحث عن حقيقته،⁽١⁾ وإنك لتأسف وتمتلئ حزناً وألماً مما تجده في ما كتب حول شخصيته وأخباره مما تسلل من قبل الإسرائيليات والأخبار الواهنة والآثار الواهية، وكان الحري بأهل التحقيق والتفسير الاهتمام بما في القصة من قيم ومواعظ ودروس وعبر وإرشاد، وإهمال خلاف ذلك مما تجاوز عنه القرآن ولم يتعرض له هادفاً وقاصداً.

٥. شخصية ذي القرنين، وبعض الأحداث التي جرت معه: فاسمه وتاريخه غير مهم: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٣]، وما حدث معه عند مطلع الشمس الله أعلم به: ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٩١].

وما جاء إخفاء هذه الأمور وأمثالها إلا تربية للأمة للاهتمام بالعلم النافع وترك الفضول في مثل هذه القضايا الهامشية قليلة الفائدة، ولا بد من التعقيب هنا بحسرة وضيق على ما آلت إليه أحوال بعض كتاب أمتنا؛ الذين صبوا جهودهم صباح مساء على مثل هذه الجوانب، وأشغلوا الأمة بها على حساب العلوم الأخرى.

---

(١) ينظر سيد قطب، تفسير الظلال، (٤/ ٢٢٧٨) جزء (٤).

فمسألة الخلاف حول ذي القرنين وشخصيته طالعت فيها - على ضعف علمي وقلة بضاعتي - ما يقارب من عشرة كتب بحثت هذه القضية، ولم أجد فيها طائلاً ولا غنية لباحث؛ إذ إن معظمها بل كلها خلص إلى نتيجة تقول: "إلا أن هذه الأقوال جميعها بان خطؤها بالأدلة والحقائق، وأُذكِّرُ بأن من الأولى والأحوط فيما يتعلق بالقصة القرآنية بشكل عام هو تحري مواطن العبرة فيها، لا الخوض في تفصيلاتها التي لا عبرة فيها ولا عظة..."(١) وهذا الكلام بنصه يكاد أن يكون خلاصة مشتركة عند كل من بحث في شخصية ذي القرنين وكتب حولها(٢).

• **اختصاص بعض البشر بعلوم معينة لاستعمالها في خدمة نهضة الدين،** وهذا برز في قصة موسى مع العبد الصالح، ذلك العبد الذي أعطاه الله علماً مميزاً يستشف من خلاله المستقبل ويقرأ ما وراء الظواهر العادية، ويبحث في أسرار الأحداث وحقائقها.

---

(١) فرعون، روضة عبد الكريم، دراسة تحليلية نقدية لأبرز ما قيل في تعيينها، نشر دار المقتبس، ط١ - ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، (٢٠٠). وسيد قطب، الظلال، (٤/ ٢٢٨٩).

(٢) ينظر التعليق على نفس المسألة عند قطب، الظلال، (٤/ ٢٢٩٠).

ويرجع للتوسع إلى الكتب التالية التي بحثت شخصية ذي القرنين:

١. حامد، إسماعيل، ذو القرنين الملك الذي طاف بين المشرق والمغرب، نشر مكتبة النافذة، القاهرة - مصر، ط١ - ٢٠١١م.

٢. الطباخ، محمد راغب بن محمود، ذو القرنين وسد الصين - من هو وأين هو؟، تحقيق مشهور بن حسن، نشر غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١- ٢٠٠٣م.

٣. يوسف، محمد خير رمضان، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح - دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ، سلسلة أعلام القصص القرآني، نشر دار القلم، دمشق - سوريا، ط ١ - ١٩٩٤م.

٤. آزاد، أبو الكلام، ويسألونك عن ذي القرنين، تقديم أحمد حسن، نشر دار الشعب، القاهرة - مصر، ط ١ - ١٩٧٢م.

٥. الغماري، عبد الله بن الصريف الحسني، إثمد العين ببيان نبوة الخضر واسم ذي القرنين، تحقيق وتعليق وتذييل عبدالله حلمي حسن الشريف، نشر دار الفتح، عمان - الأردن، ط ١ - ٢٠٠٥م.

٦. الطيبي، عكاشة عبد المنان، يأجوج ومأجوج: صفاتهم وعددهم ومكانهم وقصة ذي القرنين معهم، نشر مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة - مصر، ط ١ - ١٩٨٩م.

يقول الله سبحانه واصفاً علم العبد الصالح بصيغة التنكير: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]، وذلك للدلالة على علم غير معروف ولا متحصل بالمجاهدة إذ هو علم غيبي من لدن الله سبحانه: ﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾. إلا أن طبيعة هذا العلم ومنفعته هي في أنه علم مرشد لأهمية النظر في حقائق الأمور وما ورائها، وعدم الاستعجال في الحكم على النتائج،⁽¹⁾ بالإضافة إلى التنبيه على أهمية أن يكون في الأمة مختصون مميزون في كل علم تحتاجه النهضة.

فلا يكفي أن تقوم النهضة على أهل الفكر أو الأدب أو الدين؛ وإنما هي تحتاج إلى التجار والسياسيين وأهل الاقتصاد والعسكريين، كما تحتاج إلى المهندسين والأطباء والمختصين في فروع العلوم التطبيقية المختلفة من فيزياء وكيمياء وأحياء ورياضيات وما إلى ذلك.

- **العالم المربي المرشد ضروري في نقل المعارف والعلوم**، وبرز هذا أيضاً في قصة موسى والعبد الصالح، في تلك الجزئية المهمة من القصة حين طلب موسى عليه السلام من العبد الصالح أن يتبعه ليعلمه ويرشده، يقول تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦]، فموسى عليه السلام على الرغم من علمه ومكانته - فهو كليم الله - إلا أنه يتواضع متعلماً مسترشداً مهتدياً بالعبد الصالح رجاء أن ينال منه خيراً.

وانظر إلى قوله: "**مما علمت**"، ففيه تعظيم لعلم الرجل وطلب متواضع بأن يأخذ من بعض علمه، وتأمل قبل ذلك في أسلوبه في الطلب: "**هل أتبعك**

---

(١) ينظر ابن عطية، تفسير ابن عطية، (٣/ ٥٢٩)، والقاسمي، محاسن التأويل، (٧/ ٤٨)، والرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ٤٨١)، والبقاعي، نظم الدرر، (١٢/ ١٠٥).

على..."، فهو تذلل طالب العلم وأدبه مع معلمه، وقارن هذا بحال طلاب العلم وأدبهم في زماننا إلا ما رحم الله.

- **"الاهتمام بالعلوم الطبيعية التطبيقية المفيدة"[1] للنهضة**، وظهر ذلك في قصة ذي القرنين خلال بنائه للسد الحامي من فساد يأجوج ومأجوج، ذلك السد المحكم المتقن الذي أدى مقصده وهدفه من حماية الأرض من فسادهم. فقد استخدم فيه كثيراً من العلوم والطاقات وعناصر الصناعة، فاستعمل فيه برادة الحديد: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]، واستخدم فيه النحاس المذاب: ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ [الكهف: ٩٦]، واستعان بطاقته ووسعه وبقوة العمال وجهودهم: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ [الكهف: ٩٥]، واستفاد من طاقة الحرارة (النار): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا﴾ [الكهف: ٩٦]، وسخر طاقة الرياح (النفخ): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ [الكهف: ٩٦]، وقام بعمله بكل حرفية وإتقان حتى جاء ببناء هندسي متين: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ [الكهف: ٩٧]، وكل ذلك أرجعه إلى ما علّمه الله سبحانه إياه من العلوم النافعة المفيدة: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨]، وهذا مثال في ضرورة الاهتمام بالعلوم التطبيقية النافعة لنهضة الأمة من الصناعات، ومن تسخير عناصر الطبيعة (الماء والريح مثلاً)، ومن علوم الفيزياء والكيمياء وغيرها.

وهكذا يتبين مما سبق كيف وضحت سورة الكهف الخطوط العريضة لتشكيل ركن العلم؛ فمن ناحية وجهت إلى أشرف العلوم وأهمها، ومن ناحية

---

(١) ينظر سيد قطب، الظلال، (٤/ ٢٢٩٣).

أخرى نبهت على العلوم الضرورية الأخرى النافعة والمفيدة، إلى جانب التنبيه والإرشاد للابتعاد عن القضايا المغرية ببريقها وحب الناس لاستطلاعها والخوض فيها؛ تلك التي لا علم فيها ولا فائدة من ورائها، وكل هذا إضافة إلى بيان أهمية المعلم المرشد القدوة، وتوضيح كيفية بناء التعامل مع الآخر في صراع النهضة على العلم الحقيقي الراسخ، وإبراز جوانب من أدب طلب العلم وتعامل طلابه مع أساتذتهم، والتركيز على أهمية التخصص في العلوم النافعة المفيدة التي تحتاج الأمة إليها في نهضتها.

وخلاصة المطلب أن العلم أساس النهضة المتين، فبه قوامها، ومنه استمدادها، وعليه تقع مسؤولية تشكيل صناعها وأعمالهم، وإليه يرجع الفضل في تحقيق النهضة ومتانتها ودوامها.

المطلب الثالث: العمل الصالح / حركة النهضة

العمل الصالح هذا المصطلح المركب من العمل وصلاحه هو ركن أساسي مهم في نهضة أمتنا، وهو قرين الإيمان في القرآن، ومتممه ومكمله في حياة الإنسان، فالإيمان ناقص بلا عمل صالح يتبعه، والعمل الصالح ضائع بدون إيمان يوجهه، وبهذا يكون الإيمان التصور الصحيح للأمة، بينما يشكل العمل الصالح السلوك القويم لها.

واستكمالاً للإيمان - مبدأ النهضة الأساس وركنها الأول - حري أن ينظر في الجوانب التي ركزت عليها سورة الكهف مما يشكل بنية هذا العمل الصالح، لأنه بالإيمان والعمل الصالح اللذين هما المكونان الرئيسان والعنصران الأصيلان تقوم النهضة، ويستقيم أمرها، وتتحقق واقعاً في حياة الأمة.

وقد ورد ذكر العمل في سورة الكهف في عشرة (١٠) مواضع، جاء في خمسة (٥) مواضع منها مقروناً بالصلاح، وباستقراء هذه الآيات التي تحدثت عن العمل الصالح وتعرضت لذكره أصالةً من خلال صريح العبارة، أو الآيات التي أشارت إليه تطبيقاً عبر النماذج العملية في قصص السورة الكريمة، تستخلص العناصر المشكلة للعمل الصالح ركناً من أركان النهضة، والتي يمكن تناولها من خلال النقاط الآتية...

- **مقصد الخلق هو اختبار حسن أعمالهم،** يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧]، فكل ما على الأرض من كائنات ومخلوقات وعناصر ومواد، وكل ما فيها من سنن كونية ربانية، ومن علوم ومعارف، ومن ملذات ومتاع؛ إنما هي لأجل اختبار حسن أعمال البشر فيما أعطوه من هذه الحياة.(١)

وتقرير هذه الحقيقة يجعل مهمة الإنسان في هذه الحياة إحسان العمل وصلاحه وفق أوامر الله سبحانه في كتابه، وذلك هو عين النهضة الإنسانية المقصودة على هذه الأرض.

- **بناء العمل الصالح على الإيمان،** وجاءت قصة أصحاب الكهف؛ أولئك الفتية المؤمنين الذين لم يكن إيمانهم يسمح لهم بالسكوت على شرك قومهم فقالوا الحق، ولم يكن يسعهم بعد الإيمان أن يقعدوا عن العمل لأجله فقاموا بما استطاعوا القيام به من اعتزال لقومهم ومفارقة لهم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا

---

(١) ينظر دروزة، التفسير الحديث، (٥/ ٥٢) جزء (٥).

شَطَطًا (١٤) هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى
ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٣ – ١٦].

وفي هذه القصة القرآنية دليل على أن الإيمان يجب أن يقرن بالعمل الصالح بحسب طاقة المؤمن ووسعه وقدرته، وبهذا يظهر أن العمل الصالح هو دليل الإيمان وقرينه، والشطر المكمل له ولا ينفك عنه بحال⁽¹⁾.

• **ارتباط صلاح العمل بالعلم،** وقد ضرب الله سبحانه المثل في قصة صاحب الجنتين بما يبين ضرورة بناء العمل الصالح (كالدعوة إلى الله والحوار مع الكفار والماديين كما في القصة) على العلم والمعرفة وسعة الاطلاع بأحوال الناس وواقعهم.

ويؤكد ذلك ما ورد في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح من أعمال العبد الصالح المبنية على العلم الرباني الذي اختص به، وفي ذلك لفت النظر إلى ضرورة بناء العمل الصالح على أساس علمي متين، وحتى يكون العمل صالحاً فلا بد من علم راسخ يسنده؛ فإصلاح السفينة، وقتل الغلام الكافر، وبناء الجدار كلها أعمال صالحة، لارتباطها بعلم متيقن بأسباب فعلها ومقاصد القيام بها.

وأضرب مثالاً لزيادة الاطمئنان والتأكيد من غير سورة الكهف؛ فالدعوة إلى الله التي هي تكليف الله لأنبيائه عليهم السلام وأتباعهم لا بد أن تكون مبنية

---

(١) من أساسيات العقيدة الإسلامية أن العمل جزء من الإيمان الذي هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، فعمل الجوارح جزء مهم من أجزاء الإيمان، ومن ادعى الإيمان ولم يعمل كان إيمانه ناقصاً، ينظر البراك، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم، شرح العقيدة الطحاوية، إعداد عبد الرحمن بن صالح السديس، نشر دار التدمرية، ط٢ - ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (٢١٦).

على العلم المتين: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وإذا كانت الدعوة أعظم أعمال البشر عند الله مبنية على العلم في أصلها فكيف بغيرها من الأعمال التي يرجى لها الصلاح والقبول، فالعلم هو الذي يحدد وجهة العمل صلاحاً أو طلاحاً، والعمل الصالح يقيناً متوافق مع حقائق العلوم والمعارف.

- **ارتباط العمل الصالح بالسعي والتخطيط والأخذ بالأسباب،** وبرزت هذه الحقيقة في قصة ذي القرنين، والذي ظهرت أعماله الصالحة في مشارق الأرض ومغاربها، من دعوة الأقوام إلى دين الله سبحانه، واتباع الأسباب المؤدية إلى صلاح الأرض ونهضتها، والتخطيط لمنع الفساد في الأرض، وبناء السدود الحائلة بين المفسدين وغيرهم، وكل ذلك هو من أعظم الأعمال الصالحة التي تقام عليها نهضة الأمم وأنفعها.

وهنا لا بد من لفت النظر إلى قضية أساسية في طبيعة العمل الصالح ومفهومه؛ فعند كثير من الناس ينصرف الخاطر مباشرة عند ذكر العمل الصالح إلى الأعمال التعبدية والفرائض كالصلاة والصيام وقراءة القرآن وما إلى ذلك، وبلا ريب فإن هذه إشكالية مفاهيمية في حجر مساحة العمل الصالح وقصرها على أعمال محددة.

والحقيقة المتوافقة مع مقاصد الدين أن العمل الصالح باب واسع تشكل الأعمال التعبدية فيه جزءاً واحداً من عدة أجزاء أخرى؛ فالأخلاق والسلوك والمعاملات هي جزء أيضاً من الأعمال الصالحة، وسياسة أمة الإسلام وإدارتها وقيادة نهضتها جزء مهم آخر من الأعمال الصالحة، والتعليم والطب والهندسة وغيرها من التخصصات التي تحتاجها الأمة هي من صلب الأعمال الصالحة كذلك، وعلوم الفيزياء والكيمياء والأحياء والرياضيات والفلسفة والاجتماع

والتربية وغيرها من العلوم المفيدة هي جزء لا يتجزأ من الأعمال الصالحة المطلوبة لنهضة الأمة، وقل مثل هذا في القضاء والإعلام والتجارة وغيرها، وهذه الأعمال كلها في النتيجة مما تحتاجه نهضة الأمة وتبنى عليه.

• **ضرب الأمثلة بنماذج متنوعة من الأعمال المهمة للنهضة،** فإذا نظرت في قصص سورة الكهف ستجد كماً كبيراً من الأعمال الصالحة التي تحتاجها النهضة؛ فاعتزال فتية الكهف وثباتهم، وحوار صاحبِ صاحب الجنتين ونصيحته، وأعمال العبد الصالح من خرقٍ وقتلٍ وبناءٍ، وأعمال ذي القرنين من دعوة، واتباع للأسباب، وسعي في الأرض، وتخطيط وبناء، كل ذلك من الأعمال الصالحة التي تضرب سورة الكهف نماذج راقية للاحتذاء بها في سبيل السعي لتحقيق نهضة الأمة.(١)

• **توضيح النتائج المترتبة على العمل الصالح والمنعقدة به،** فقد ذكرت سورة الكهف كثيراً من النتائج المترتبة على القيام بالعمل الصالح، وذلك إرشاداً وتنبيهاً وتأكيداً على قيمة الأعمال الصالحة، وضرورة كونها عنواناً لنهضة الأمة؛ إذ مقياس نجاح نهضة الأمة هو في كونها أمة عاملة متفاعلة حية، وفيما يأتي ما ورد في سورة الكهف من الآثار المترتبة على صلاح العمل:

_ القرآن الكريم يبشر أصحاب العمل الصالح بالأجر الحسن الدائم الأبدي: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢– ٣]. ويقرر منزلهم في جنات الفردوس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

---

(١) سيأتي بإذن الله تفصيل هذه الأعمال كلها في المبحث الثاني من هذا الفصل الذي اجتهد الباحث فيه بتناول كثير من الأعمال التي تشكل وسائلاً لتحقيق النهضة.

_ أصحاب العمل الصالح لا تضيع أعمالهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠].

_ الأعمال محصاة يوم القيامة والجزاء قائم بحسبها: ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٤٩].

_ أثر العمل الصالح في الدنيا يتحقق بالثواب الحسن من الناس، وبتيسر الأمور وتسهيلها، وبتحقيق المطلوب ونواله: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴾ [الكهف: ٨٨].

• **التحذير من سوء العمل وعدم صلاحه ونتائج ذلك،** ففي مقابل الأجور العظيمة سابقة الذكر، تجد في سورة الكهف تنبيهاً مهماً وتذكيراً بنوع خاص من الأعمال، تلك التي يحسب صاحبها أنها من الأعمال الصالحة فإذا بها في حقيقتها أعمال ضالة مفسدة وغير صالحة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا (١٠٣) ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا (١٠٤) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦) ﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٦].

فهؤلاء قوم لم ترتبط أعمالهم بإيمان بالله ولا بمقصد صحيح، ولم تكن وفق مراد الله وأوامره؛ بل كانت أعمالهم مترتبة على كفرهم بالله وآياته، واستهزائهم بالرسل والرسالات،[1] فكانوا يعملون وفق أهوائهم وما تمليه عليهم أنفسهم التي اتخذوها آلهة من دون الله، وهذا أدى بهم إلى الخسران المبين يوم القيامة، فقد

---

(١) ينظر السمرقندي، بحر العلوم، (٢/ ٣٦٤)، والمراغي، تفسير المراغي، (١٦/ ٢٣)، والزحيلي، التفسير الوسيط، (٢/ ١٤٥٤)، ودروزة، التفسير الحديث، (٥/ ١٠٨).

ضاعت تلك الأعمال التي أفنوا حياتهم لأجلها وهلكوا بسببها، فلا وزن لهم ولا قيمة عند الله يوم القيامة.

وإذا أنعمت النظر في حال هؤلاء ووصف الله لهم، لوجدت كثيراً من أهل الأرض اليوم على هذه الحالة، منهم الذين يزعمون أنهم يسعون لأجل دين الله ونهضة أمتهم، بينما هم في الحقيقة معول هدم، وعقبة في طريق نهضة الأمة، فهذا التحذير الرباني القرآني يحتاج الاهتمام والانتباه من صناع النهضة إلى حقيقة أعمالهم حتى لا يكونوا من الأخسرين أعمالاً.

وخلاصة القول في هذا الركن إن العمل الصالح بمفهومه الواسع الشامل لكل عمل ينطبق عليه التوافق مع الإيمان بالله، ويتساوق مع حقائق العلوم، ويتسق فيه الأخذ بالأسباب والمقصد الهادف، ولا يكون عملاً ضالاً محبطاً طالحاً؛ أقول إنما هذا العمل بصلاحه هذا هو أساس متين وركن حصين من أركان النهضة، ولا أعتقد أني أتجاوز الحقيقة إذا قلت إن **النهضة هي العمل وإن العمل هو النهضة**.

المطلب الرابع: التغيير الإصلاحي/ منهج النهضة

الأركان الثلاثة السابقة - الإيمان والعلم والعمل الصالح - هي أساسات النهضة وركائزها، وهنا أنتقل إلى ركن مضاف إلى هذه الأركان، ومتعلق بمنهجية تفعيلها واستخدامها؛ لتؤتي أكلها، وتحقق النتائج المرجوة للنهضة من خلالها.

والمقصود بهذا الركن الذي اجتهد الباحث في تسميته بالتغيير الإصلاحي، هو تلك الحركة الدافعة لدى أمة النهضة بالتحول والانتقال من الضعف إلى القوة، ومن التفرق والتشتت إلى الكيان الفعّال المؤثر، ومن الظلمات والجاهلية إلى النور والحضارة. وهذا الإصلاح التغييري بهذه المعطيات يمكن اعتباره روح النهضة الإسلامية ولبها.

وحركة الإصلاح والتغيير هذه هي مقوم مهم من مقومات النهضة في سورة الكهف؛ إذ هي البنية التركيبية - إن جاز التعبير - والخطوات الإجرائية التنفيذية لمشروع النهضة، وهي بهذا تمثل ركناً أساسياً للنهضة بينت سورة الكهف منهجيته، وجلّت أنواعه، وأبرزت وسائله، وتناولت مجالاته، ووصفت مظاهره وآثاره، وكل ذلك وفق تطبيقات عملية من خلال قصص السورة الكريمة.

وفيما يأتي بيان حديث آيات سورة الكهف عن التغيير الإصلاحي / منهج النهضة بما يجعله ركناً وثيقاً من أركان النهضة، والذي يمكن إجماله في النقاط الرئيسة الآتية:

• **التغيير الإصلاحي ضرورة من ضروريات النهضة،** فما أُنزل القرآن، ولا أُرسلت الرسالات، ولا سُخِّر للإنسان ما في الكون إلا لأجل تغيير الفساد والظلم من الأرض،(١) يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧]، والأحسن عملاً هنا هو الأحسن سيرة وسلوكاً، أي بكل يسر الأقدر على تغيير الحياة وما فيها من شر إلى خير، وهذا التغيير المصاحب للنهضة جنباً إلى جنبٍ مبني في أصله على عنصرين أساسيين يمكن تلخيصهما والتدليل عليهما - من غير سورة الكهف - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وهذان العنصران هما:

_ **الأول:** **تغيير ما بالنفس وإصلاحها، وهو المنطلق والأصل في ما يتلوه من تغيير.**

---

(١) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ٤٢٧)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٥/ ٢٥٧).

ـ **الثاني:** تغيير الأحوال والأحداث، وهو التابع لتغيير النفوس والمعتمد في أساسه عليها.

وجاءت سورة الكهف بنماذج تمثلت هذين العنصرين الأساسين في التغيير؛ فقد ركزت في قصصها على تغيير نفوس النماذج التي تعرضت لها، وبينت أثر ذلك في إصلاح أحوالهم وطبيعة الأحداث التي مرت بهم؛ فأصحاب الكهف غيروا الكفر والشرك في أنفسهم إلى الإيمان بالله وتوحيده، فتغيرت أحوالهم تبعاً لذلك، وصاحب الجنتين قام بعكس هذا؛ فغير ما أنعم الله عليه به من النعم بكفره بالله وعدم شكره وتأليه عليه بماديته وحبه للدنيا وشكه بالحياة الآخرة، فتغير تبعاً لذلك حال جنته وأحيط بثمره وخسر ما فيها بكفره وشركه.

وكذلك كان التغيير الذي قام به العبد الصالح مفيداً للمساكين؛ إذ حماهم من غصب الملك الظالم لسفينتهم، ونفع الأبوين المؤمنين؛ فمنع عنهما ظلم الولد الكافر وطغيانه عليهما، كما نفع كذلك الغلامين اليتيمين؛ فحمى لهما كنزهما، ولو نظرت في حقيقة هذا التغيير أو الإصلاح لعلمت أنه جاء تبعاً لنظر الله سبحانه إلى ما بأنفس هؤلاء المساكين المؤمنين والآباء الصالحين من تغيير صالح لما بأنفسهم، فسخر الله لهم من يغير واقعهم وأحوالهم.

وقس على ذلك ما قام به ذو القرنين من تغيير واسع في الأرض، وإصلاح شامل لها، وكله جاء تبعاً لتغييره ما بنفسه واتباعه لأسباب ربه وإيمانه به وسعيه وفق سننه لتغيير الأقوام التي مر بها في رحلاته وإصلاحها(١).

• **منهج هذا التغيير الإصلاحي مبني على الإيمان والعلم والعمل الصالح،** وقد تبين من المطالب الثلاثة السابقة كيف تقوم النهضة على الإيمان والعلم

---

(١) ينظر سيد قطب، الظلال، (٤/ ٢٢٩٢).

والعمل الصالح، وما التغيير الإصلاحي إلا منهج هذه النهضة في سعيها للتحقق، وحركتها الفاعلة للظهور والتمكن، وذلك بحسب إيمان صانع التغيير وعقيدته، ووفق علمه ومعارفه، وتابع لسعيه وعمله الصالح، ويمكن القول تقريراً على هذا إن التغيير الإصلاحي هو ذلك المنهج الرباني القائم على الإيمان والعلم والعمل الصالح لأجل تحقيق نهضة الأمة وأفرادها.

• **للتغيير الإصلاحي أصول منهجية واضحة محددة،** فقد تناولت السورة الكريمة في قصصها الأربع أهم الأصول التي يجري التغيير عليها لتتكون النهضة، وفيما يأتي بيان تلك الأصول:

_ تغيير العقائد وإصلاح المبادئ بالدين، وتحقق هذا في نموذج فتية الكهف الذين فاقوا قومهم الكافرين، وغيروا معتقدهم إلى الإيمان بالله وحده ونبذ الشرك.

_ تغيير التصور الكلي عن الحياة وإصلاح النظرة إليها، وجاءت قصة صاحب الجنتين بعرض نظرتين كليتين واضحتين للحياة، ووازنت بينهما، فحكمت على النظرة المادية بالإخفاق والانهيار، وقررت بأن النظرة الإيمانية للحياة هي الأحق والأجدر بالنفع والبقاء عاجلاً وآجلاً.

_ تغيير الولاء الأساسي في الحياة وإصلاح مبدأ الوجود فيها، ووردت الإشارة إلى هذا الأصل في الآية التي ذكرت أصل الصراع بين البشر وإبليس في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾ [الكهف: ٥٠]، فالإنسان بين حالين؛ فإما أن يكون موالياً للشيطان بعيداً عن الله سبحانه؛ بإبداله الشيطان ولياً من دون الله على الرغم من عداوة هذا الرجيم الظاهرة للإنسان، وإما أن يكون ولياً لله كما ينبغي، مباعداً للشيطان وأوليائه، وهذه هي القضية المركزية التي يدور حولها صراع البقاء والوجود.

_ تغيير السلوك وإصلاح العمل، وفي هذا الأصل وردت أمثلة واضحة في قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح؛ فقد قام الأخير بخرق السفينة لحمايتها، وبقتل الغلام رحمة لوالديه، وببناء الجدار حفظاً لكنز اليتيمين، وقام بتعليم الصبر وبعض من العلوم لموسى عليه السلام، وفي كل أفعاله كان مغيراً بسلوكه ومصلحاً بعمله لكثير من أنواع الظلم والفساد في المجتمع، وهذا أصل من أصول التغيير الإصلاحي والنهضة.

_ تغيير العالم المحيط وإصلاحه، وهذا ما قام به ذو القرنين، فقد مكن الله له في الأرض، وآتاه الأسباب، فاستفاد من كل هذا في نشر الخير والدين، وطاف مشارق الأرض ومغاربها حاملاً رسالة الله سبحانه إلى الأمم من حوله، وهذه مهمة النهضة النهائية بعد أن تقوم دولة الإسلام على الأرض، فليس التغيير مقصوراً عليها فحسب، ولا الإصلاح محصوراً في إقامتها؛ وإنما يطلب منها كأمة ناهضة بعد أن تعد نفسها، وتنهض من سباتها، أن تكون رائدة الأمم، وحامية العدل، والقائمة على ميزان الحق في الأرض كل الأرض: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

• **للتغيير الإصلاحي أنواع متعددة ومجالات مختلفة،** فليس هذا التغيير والإصلاح المقصود مقتصراً على تغيير المبدأ والدين فحسب؛ وإنما هو تغيير شامل لكل مناحي الحياة: تصوراً وسلوكاً، ولذا ضربت قصص سورة الكهف أمثلة متعددة لأنواع شتى وللمجالات متعددة للتغيير، وفيما يأتي أنواع التغيير التي أشارت إليها آيات السورة الكريمة:

_ التغيير السلمي، وهو ما قام به فتية الكهف من اعتزال للكفر وثبات على المبدأ وفرار بالدين.

_ التغيير بالحوار، وهو ما قام به صاحبُ صاحبِ الجنتين مع صاحبه.

_ التغيير العملي، وهو ما قام به العبد الصالح من خرق وقتل وبناء.

_ التغيير الحضاري، وهو ما قام به ذو القرنين مع الأقوام التي مر بها خلال تطوافه في الأرض.

وفيما يأتي ذكر مجالات التغيير الواردة في سورة الكهف:

_ المجال الفردي، ونماذج هذا المجال كثيرة كفتية الكهف، وصاحب الجنتين.

_ المجال الجمعي، ونماذجه تجلت في الأقوام الذين تعامل معهم ذو القرنين.

_ المجال التصوري الفكري، وهو البارز في قصتي أصحاب الكهف وصاحب الجنتين.

_ المجال السلوكي العملي، وهو الأظهر في قصتي العبد الصالح وذي القرنين.

• **للتغيير الإصلاحي آليات فعالة ووسائل كثيرة لتحقيقه**، وسورة الكهف ذكرت عدداً كبيراً من هذه الآليات والوسائل، كالتغيير بالقلب وباللسان وباليد، وكالتغيير بالعزلة وبالحوار وبالعمل، وكالتغيير بالحكمة وبالعلم وبالسلطة، وغير ذلك كثير من آليات التغيير ووسائله، وبما أن هذه الوسائل وتلك الآليات هي بذاتها وسائل تحقيق النهضة، فسأدع الحديث عنها ليأتي بالتفصيل في المبحث الآتي بإذن الله.

• **آثار التغيير الإصلاحي وثماره ينبغي أن تكون بالضرورة مظاهر نهضوية وآثار حضارية**، فالتغيير المطلوب في النهضة يجب أن يكون إصلاحياً دائماً، أي متوجهاً من الحال الأسوأ إلى الحال الأحسن والأفضل، وهذا في حق المحسنين من البشر المتبعين لدين الله الحق، وإلا فالتغيير عكس ذلك لمن هم يكذبون

بآيات الله ورسالاته؛ فهم ينحدرون بأحوالهم إلى الأسوأ والأسفل، ولذا فالمطلوب من دعاة النهضة والعاملين لتحقيقها السعي لإيجاد منهج تغييري إصلاحي مبني على التحول إلى الأحسن والأفضل دائماً، وصناعة منجزات النهضة، وإقامة صرحها على أرض الواقع، فهذا هو معيار نجاح النهضة.

ولا يتحدد هذا الميزان والمعيار لنجاح النهضة أو إخفاقها بالنظر إلى ما أعده الله للمؤمنين في الآخرة من جزاء فحسب؛(١) وإنما يتحدد أيضاً وفق معايير أرضية تعتبر ثماراً للنهضة والتغيير يمكن ملامستها والإحساس بها ومعاينتها واقعاً في أحوال الأمة، وما النصر والتمكين والحضارة والعزة للأمة إلا بعض آثار هذا التغيير، وما السعادة والطمأنينة والحياة الطيبة لأفراد الأمة، وزوال المشاكل الإنسانية الكبرى من فقر وتشرد وصراع وقتل وما إلى ذلك إلا بعض نتائج هذه النهضة وثمار تغييرها لظروف الأمة إلى الأفضل والأحسن.

ومثال هذا التنظير على آثار التغيير وثماره ودليله التطبيقي من سورة الكهف يتأتى من مراجعة النماذج التي ذكرت السورة الكريمة قصصهم، ورؤية ما حققوه من آثار وثمار ترتبت على سعيهم لتغيير أنفسهم ومجتمعاتهم في الدنيا قبل الآخرة، وإلا فالنتائج والآثار لن تكون كما يرجو أصحابها ويأملون، وسيأتي الحديث عن آثار النهضة وثمارها في آخر هذه الدراسة بإذن الله العلي القدير.

وبلا ريب فإن منهج التغيير الإصلاحي ليس منهجاً مخصوصاً بقصص سورة الكهف فحسب؛ وإنما هو شأن القرآن كله في قصصه وآياته الكريمة،

---

(١) الغالب في نظر العامة أن نتائج النهضة وآثارها منصرفة لديهم إلى الآخرة، وما ذلك في حقيقته إلا تعبير عن فشل النهضة وسوء تقدير القائمين عليها، وما هو إلا دليل على عدم نضج هذه النهضة لتكون على درجة استحقاقها للآثار الدنيوية النافعة للأمة والمفيدة لحياة أبنائها.

وتحتاج مكتبة التفسير وعلوم القرآن لدراسات متكاملة عن منهج التغيير الإصلاحي في القرآن الكريم، وذلك لأجل استكمال آلياته ومجالاته ووسائله، ولعل الله أن ييسر من الباحثين والمختصين من ينبري لبحث هذه القضية المهمة والأساسية والحيوية للأمة في عصرها الحاضر.

المطلب الخامس: الإنسان / صانع النهضة

الإنسان هو ركن للنهضة من حيث إنه عنصرها الأول المناط به تحقيقها والسعي لإقامتها، فالإيمان والعلم والعمل الصالح والتغيير - باقي الأركان - لا بد لها من إنسان يحمل رسالتها؛ ليقيم بها نهضته، لذا فمركز النهضة ونواتها هو هذا الإنسان الصانع العامل.

يقول مالك بن نبي: "وأما عناصر النهضة الرئيسة فالإنسان والوقت والتراب."،(١) ويقصد بذلك أن الإنسان المتحرك في الزمان وبما أعطي له من مواد وبما سخّر له من موارد على هذه الأرض هو المحقق للنهضة، وبهذه النظرة الموفقة يقرر رحمه الله أن الإنسان هو عنصر النهضة الأول، وجعله حامل لوائها الذي يجب أن يتوجه إليه اهتمام المفكرين والمنظرين لتحقيق نهضة أمتهم.

وسورة الكهف تقدم نماذج متعددة لهذا الإنسان حامل لواء النهضة، فمن فتية مؤمنين مفارقين لكفر قومهم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، ورجل مؤمن يحاور صاحبه المادي: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٧ - ٣٨]، إلى عبد صالح عالم عامل لتغيير مجتمعه: ﴿فَوَجَدَا

---

(١) بن نبي، شروط النهضة، (٧٠).

عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]، وإلى حاكم صالح وقائد محنك ينشر نهضته بين أقوام الأرض وأممها: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٣ – ٨٤]، وكل هذه نماذج للإنسان صاحب النهضة والقائم على تحقيقها.

بالإضافة إلى أن قصص السورة أيضاً ضربت أمثلة على النماذج المعارضة للنهضة، والتي تحاول بشتى الطرق والأساليب أن تحول بين النهضة وبين الوصول إلى ثمراتها ونتائجها، كقوم أصحاب الكهف وكفرهم: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف: ١٥]، ومثل صاحب الجنتين ونظرته المادية للحياة: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٤ – ٣٦]، وكالملك الظالم: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩]، والغلام الطاغي: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف: ٨٠]، وأهل القرية الفاسدين: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ [الكهف: ٧٧]، وقوم يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض: ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الكهف: ٩٤].

ثم إن آيات السورة الكريمة تبين صفات هذا الإنسان المحقق للنهضة؛ فعلى الرغم من تعدد النماذج التي قدمتها قصص السورة وتمايزها، إلا أنك تجد خصالاً ومميزاتٍ متشابهةٍ بين هؤلاء الناهضين، منها الإيمان والثبات عليه: ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى (١٣) وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴾ [الكهف: ١٣ – ١٤]، ومنها الحكمة في الحوار والموعظة الحسنة: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا (٣٧) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا (٣٨) وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا (٤٠) أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا (٤١) ﴾ [الكهف: ٣٧ – ٤١].

ومنها السعي والعمل والحركة وبذل الجهد؛ لتحقيق النهضة ومحاربة الظلم، وذلك كله مستفاد من أفعال العبد الصالح رفيق موسى عليه السلام، ومنها اتباع الأسباب لنشر النهضة وتمكينها: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا (٨٤) فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٤ – ٨٥]، ومنها بناء السدود؛ للحد من الفساد في الأرض: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴾ [الكهف: ٩٤ – ٩٥].

ومنها معرفة فضل الله سبحانه وإرجاع الأمور كلها إليه؛ فلسان حال أصحاب الكهف: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ

رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٦]، ومقال المؤمن لصاحب الجنتين: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ [الكهف: ٣٩ - ٤٠]، ويقول العبد الصالح بعد شرحه لأفعاله ومقاصدها: ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٢]، ويقول ذو القرنين في نهاية بنائه للسد: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ [الكهف: ٩٨]، وكثير غير ذلك من الصفات المهمة اللازمة لصناع النهضة.

وبالعودة إلى تعدد نماذج إنسان النهضة في السورة، يتبين أن هذه النماذج قد استوعبت النماذج المطلوبة لصناعة النهضة وتحقيقها؛ فالنهضة تحتاج الحاكم الصالح، ومثاله وأنموذجه ذو القرنين: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٤]، وتحتاج القائد المجرب، ومثاله ذو القرنين كذلك، وتحتاج المعلم المرشد، وأنموذجه العبد الصالح: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]، وتحتاج فتية مؤمنين أذكياء، أصحاب ثبات على المبدأ والإيمان، وأنموذجهم فتية الكهف: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف: ١٣ - ١٤]، وتحتاج أهل دعوة وحوار للدفاع عن دينهم ونهضتهم بعلم وحكمة، وأنموذجه ومثاله صاحبُ صاحبِ الجنتين: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن

تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف: ٣٧]، وتحتاج رجالاً عاملين لنشر الحق والعدل ومنع الظلم والفساد، ككل النماذج الربانية المختارة في قصص السورة الحكيمة.

وسيأتي تفصيل كثير من القيم التي تشكل مظاهر إنسان النهضة وسماته التي بينت سورة الكهف ضرورة تمسك الإنسان صانع النهضة بها، وذلك في مكانه من هذه الدراسة بإذن الله.

المطلب السادس: القرآن الكريم / مصدر النهضة

يأت القرآن الكريم في آخر أركان النهضة مستوعباً لها ومحتوياً لأجزائها، فهو الأساس الذي انبثقت منه باقي الأركان؛ ذلك أن النهضة التي تبغيها أمة الإسلام لا بد لها من مصدر تتحاكم إليه وتسير بتعاليمه، ولا بد لها من مرجع ترجع إليه لحل إشكالاتها وما يعترض طريقها، ولا بد لها من ميزان تقيِّم به أداءها، ومنهج يضبط لها حركتها، ولن يكون كل ذلك ممكناً إلا عبر القرآن الكريم كتاب النهضة ومنهجها، ومنبع تكونها، وأساس تشكيلها.

ويمكن إيجاز القول في هذا الباب بحقيقة واحدة هي خلاصة القول فيه؛ خلاصتها التقرير بكل وضوح ويقين وبلا مواراة ولا مواربة إن **القرآن الكريم هو مصدر نهضة الأمة الإسلامية** وسبب انبعاثها، وتقرير هذه الحقيقة مبني في أساسه على أدلة كثيرة يمكن تلخيصها في مستندين اثنين:

_ **مقصد الكتاب وأثره**، وهذا واضح في التغيير والنهضة والحضارة التي تكونت بعد نزول القرآن الكريم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]،

فالعرب قبل القرآن الكريم لم يكن لهم كيان ولا نهضة ولا حضارة، والقرآن الكريم هو الذي أوجد لهم الكيان، وأنشأ لهم النهضة، وأقام لهم الحضارة، وهذا دليل تاريخي واقعي لا جدال فيه(١).

_ **مضمون الكتاب ومحتواه**، فالقرآن الكريم قد احتوى على التعاليم الأساسية والإرشادات الكفيلة بإقامة النهضة، وما هذه الرسالة إلا جزءاً من الإسهام في تجلية هذه التعاليم النهضوية التي أرشدت إليها آيات القرآن الكريم.

وتتأكد مصدرية كتاب الله للنهضة في نقطتين مهمتين هما:

_ **احتواء القرآن الكريم على الأنظمة الربانية الكفيلة بتحقيق النهضة**، فإن القرآن الكريم لم يكتف فحسب ببيان نظام العبادات والذي مناطه علاقة الخلق مع الله سبحانه؛ وإنما نزل القرآن الكريم مبيناً وموضحاً ومرشداً للأنظمة الحياتية المهمة لحاجات الإنسان وضروريات وجوده، ولعلاقته بما حوله من معطيات هذا الكون، فجاء القرآن الكريم بالنظام الاجتماعي، والنظام الأخلاقي، والنظام الاقتصادي، ونظام الأحوال الشخصية، ونظام المعاملات، ونظام العقوبات، ونظام القضاء، والنظام السياسي، ونظام العلاقات الدولية، وغير ذلك كثير من الأنظمة التي تقوم نهضة الإسلام عليها(٢).

_ **تناول القرآن الكريم للنماذج التطبيقية العملية للنهضة**، وذلك في تناوله للمسيرة التاريخية للأقوام السابقة، وفي قصّه لما مر بأنبياء الله من أحداث في

---

(١) لا أحد ينكر أن هنالك أسباباً أخرى أسهمت في صنع نهضة المسلمين وحضارتهم، غير أنها تؤول كلها في المحصلة النهائية إلى القرآن الكريم مصدراً لمعظم هذه الأسباب ومنبعاً لها.

(٢) هذا الجانب لم تتعرض له الدراسة بسبب أنه لم يرد في سورة الكهف، والتي هي النموذج التطبيقي للدراسة، وليس معنى ذلك إنكاره أو التنقيص من أهميته في النهضة، وإنما الأنظمة القرآنية الربانية من أهم مقومات النهضة، وهو جانب يستحق أن يبحث ويدرس في باقي سور القرآن لرؤية ما فيها من مقومات تكمل رسالة هذه الرسالة ومقصدها.

حركتهم للارتقاء بالبشرية وإقامة نهضتها، وفي ذكره للسنن الكونية والمبادئ القرآنية والقيم الربانية للنهضة الإنسانية، وفي استعراضه كذلك لأخبار كثير من البشر الذين كان لتجاربهم إضاءات مهمة وضرورية على نهضة الأمم وارتقائها، وسورة الكهف ضربت في كل ذلك أروع الأمثلة.

وأما حديث سورة الكهف عن القرآن الكريم[1] مصدراً للنهضة فجاء بأسلوبٍ خاصٍ مميزٍ يمكن بيانه من خلال النقاط الجوهرية الآتية:

● **بيان مقاصد إنزال القرآن الكريم وأهدافه المؤثرة في النهضة،** فقد أوردت سورة الكهف ثلاثة مقاصد لتنزيل الكتاب تجعله مصدر نهضة الأمة وباعثها، وهذه المقاصد هي:

_ **أنه كتاب تبشير،** يقول سبحانه: ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٢ - ٣]، وهذا يدل على أن هذا القرآن إنما جاء ليبين أجر الملتزمين بتعاليم ربهم، وليطمئنهم إلى أن ما يقدمونه من إيمان وعمل صالح إنما هو ذخر أبدي لهم في الآخرة، وهذا من أعظم الدوافع لهم لتحقيق نهضة دينهم وأمتهم.

_ **أنه كتاب إنذار،** يقول تعالى: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ [الكهف: ٢]، وهذا الجانب الآخر المقابل لتبشير المؤمنين؛ فبما أن الكتاب يبشر أتباعه فلا بد كذلك أن ينذر المعارضين له وغير المؤمنين به، فهو يخوفهم وينذرهم المآل البئيس الذي ينتظرهم؛ لأجل عدم اتباعهم لآياته وتعاليمه.

---

(١) ينظر آيات سورة الكهف التي تحدثت عن القرآن الكريم في الملحق "الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالنهضة الواردة في سورة الكهف" في آخر الرسالة.

_ **أنه كتابٌ مقرر للحقيقة**، فهو كتاب من الحق سبحانه لتعليم البشرية، ولم يحو بين دفتيه سوى الحقيقة، فليس فيه أباطيل ولا انحراف: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١]، ولا يخالطه تبديل أو تحريف: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٧]، وهذا ما يجعله مؤهلاً لقيادة أتباعه وإيصالهم إلى النهضة والحضارة.

● **بيان صفات القرآن الكريم وميزاته التي جعلته كتاب النهضة**، فقد ذكرت سورة الكهف في آياتها عدد من الخصائص التي أسهمت في جعل القرآن الكريم إماماً للناس ومنارة لنهضتهم، وهذه هي صفات الكتاب في سورة الكهف:

_ **أنه كتابٌ قيّم**، فهو مستقيم واضح لا لبس فيه ولا غموض، يهدي للقيم، ويدعو للحق، ويأمر بالخير، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ① قَيِّمًا ﴾ [الكهف: ١ - ٢]، وهذا ما يؤكد كونه دستور النهضة ومرجعها.

_ **أنه كتاب لا عوج فيه ولا تبديل**، فهو مبني على الحقائق، ومحفوظ من التحريف والضياع: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف: ١]، وهو كتاب استقامة لمن تلاه، لا يحل شيء مكانه، ولا يغني عنه غيره: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٧]، ولهذا فلا ينبغي للمؤمن ترك تلاوته أو هجره، أو غير ذلك من أنواع التقصير في حقه، لأنه طريق السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

_ **أن فيه تصريف الأمثال**، فهو قد احتوى على كل ما ينفع المسلم في حياته، وقد استوعب في آياته كل تصريفات حياة الإنسان وحاجاته، يقول

سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، وهذا التصريف هو مناط هذا البحث، وباعث هذه الدراسة وموجبها للكشف عما احتوت عليه آيات الكتاب من مقومات النهضة.

_ **أنه لا تنفد معانيه،** فهو مصدر متجدد للنفع والإرشاد والتعليم والهداية، يقول عز وجل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، فكل من مر به، وتتلمذ بين يديه، وجد فيه بغيته، وأخذ منه إربه، وكل من فتح له قلبه وفكره أنار له سبيله وحياته ومآله، ولا يخلق بكثرة الترداد، والخير منه في ازدياد، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، وكل ذلك داخل في معاني بقائه واستمراره وحفظه، وفي تأكيد مصدريته الدائمة لنهوض أمة الإسلام وارتقائها.

- **ذكر بعض منهجيات التعامل الخاطئ مع القرآن الكريم، ونتائجها،** فعطفاً على ذكر مقاصده وخصائصه، تعرضت بعض الآيات لبيان عدد من الأساليب المغلوطة، والطرق الخاطئة، في التعامل معه، وهي تذكر هنا لتحذير صناع النهضة من ارتكابها، ولكي يتنبهوا لمرتكبيها فيحذروا منهم على نهضتهم، وفيما يلي بيان هذه المنهجيات الخاطئة في التعامل مع القرآن الكريم:

_ **المجادلة فيه،** فعلى الرغم من احتوائه كل ما ينفع الناس، إلا أن بعضهم يجادل فيه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، وهذا معاكس للمقصود منه؛ وهو اتخاذه مصدراً وإماماً واتباع تعاليمه وأوامره وإرشاداته.

ـ **الاستهزاء به**، وهي درجة أسوأ من سابقتها، فهؤلاء لم يكتفوا بمجادلته وعدم الإيمان به، بل هم زادوا على ذلك الاستهزاء به والسخرية من آياته وأتباعه: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾ [الكهف: ٥٦].

ـ **الإعراض عنه**، فمن الناس من يعرض عنه إعراض الرد وعدم القبول، فهذا من أظلم الناس: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ [الكهف: ٥٧]، وانظر إلى نتيجة هذا الإعراض؛ فإنه أدى بهم إلى أن يختم على قلوبهم، ويضيع رشدهم في تخبطهم بعيداً عن هدايات هذا الكتاب، وكم من أمثال هؤلاء من يدّعون سعيهم لنهضة الأمة لكنهم يبحثون عن ذلك في أفكار وقراءات ونظريات غربية مجلوبة بعيدة عن القرآن معرضة عنه، وهذه رسالة لدعاة النهضة كي يتخذوا القرآن الكريم مصدراً أساسياً للنهضة يسد عن غيره شمولاً وتفصيلاً(١).

ـ **الكفر به**، وهي أحط درجات التعامل مع كتاب الله وأشدها ضرراً على صاحبها، فهي تحبط عمله، وتضيع مكانته ووزنه في الآخرة، وتجعل جزاءه آخر المطاف جهنم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٥ - ١٠٦].

- **توجيه المسلم إلى تلاوة القرآن الكريم واتخاذه دستوراً،** في مقابل تلك المنهجيات الخاطئة سابقة الذكر في التعامل مع القرآن الكريم، ترشد آيات سورة

---

(١) ذلك أن كثيراً من المنظرين للتغيير ومفكري النهضة في هذا العصر ما زالوا يتخبطون شمالاً ويميناً يبحثون عن مصدر لنهضة الأمة مجلوب من نهضات الأمم الأخرى ومبادئها، معرضين عن تعاليم القرآن التي كانت مصدر نهضة الأمة الأول.

الكهف منطوقاً ومفهوماً إلى جعل القرآن الكريم هو المصدر والأصل والمرجع، يقول سبحانه وتعالى مرشداً أهل الإيمان آمراً لهم: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ [الكهف: ٢٧]، "والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي، وترغيب وترهيب، وهي أخص من القراءة؛ فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة."⁽¹⁾ والمقصود أن تتلو القرآن أي تتبعه وتقتدي به وتجعله مصدر إيمانك ومنبع إرشادك في طريق نهضتك، وتتخذه مرجعية لنهضة أمتك، فذاك هو مرجعها ومصدرها.

وهكذا يتضح أن آيات سورة الكهف بينت كيف أن القرآن الكريم بتبشيره وإنذاره، وباستقامته على الحقيقة بلا عوج ولا تبديل، وباستمراريته وعدم نفاده؛ لاحتوائه على تصريف الأمثال التي يحتاجها الناس، وباستحقاقه لأجل ذلك حسن التلاوة والاتباع، والبعد عن مجادلته، وترك الإعراض عنه، والحذر من الاستهزاء به، وعدم الكفر بما جاء به، أقول إن سورة الكهف برسمها لهذه الخطوط العريضة قد وضحت بما لا شك فيه أن القرآن الكريم ركن أساس من أركان النهضة الإسلامية، يشكل لها المصدر والمرجع.

وأكرر الإشارة والتنبيه هنا إلى ضرورة التمسك بالقرآن الكريم مصدراً ومرجعاً للنهضة وبخاصة في هذا الزمن الذي كثر فيه بعض دعاة النهضة المسيئين لها؛ أولئك الذين جعلوا نصب أعينهم استيراد مصادر للنهضة غريبة ومختلفة عن أصول الأمة، وهم بذلك يسهمون في خلخلة أسس الأمة، وإضاعة نهضتها، وتأخير أمد انبعاثها واستردادها من الانحطاط والتخلف الذي حاق بها.

وإلى جانب سورة الكهف فلا بد من التنبيه والإشارة إلى باقي سور القرآن الكريم وآياته التي تشكل مصدر تحقيق نهضة الأمة، وذلك بما تحمله من أنظمة

---

(١) الأصفهاني، المفردات، (١٦٧).

ربانية لبناء المجتمع الإسلامي - مجتمع النهضة - وفقها، وبما تبثه من سنن كونية ومبادئ للحياة، وبما تضربه من أمثلة ونماذج عملية عبر قصص القرآن لكيفية تشكيل نهضة الأمة وإقامتها.

وفي ختام هذا المبحث تتضح الخطوط العريضة لأركان النهضة القرآنية المأمولة والمطلوبة للأمة، والتي تقوم على أسس الإيمان، وتنبني على أركان العلوم، وتشكلها الأعمال الصالحة، وفق منهج تغييري إصلاحي، وبيد إنسان ذي ميزات يصنعها، وتؤتي أكلها بإذن ربها منبثقة عن القرآن الكريم مصدراً ومنبعاً وميزاناً لحركتها.

ولا بد لهذه الأركان من وسائل تسهم في تحقيقها في واقع الأمة وإقامتها راسخة في المجتمع، وهو ما سيكون محور الدراسة في المبحث الآتي.

المبحث الثاني: وسائل تحقيق النهضة التي أرشدت إليها سورة الكهف

للنهضة القرآنية التي تبغيها أمة الإسلام وتحتاجها كثير من الوسائل التي تكفل تحقيقها، منها وسائل تسهم في تشكيل النهضة وتكوينها، ومنها وسائل تساعد في تفعيل النهضة وأدائها وفي تطويرها وتقدمها، ومنها وسائل فاعلة لتطبيق النهضة وتنفيذها، ومنها وسائل داعمة للنهضة وأخرى منظمة لها، وغيرها وسائل تعمل لتمكينها.

ولتسهيل تناول هذه الوسائل والحديث حولها قمت بتوزيعها على (٦) ست مجموعات بحسب ماهية إفادتها، وشكل هذه الإفادة في تحقيق النهضة، وفق المجموعات الآتية:

١. وسائل تكوين النهضة وتشكيلها
٢. وسائل تفعيل النهضة وأدائها

٣. وسائل تطبيق النهضة وتنفيذها
٤. وسائل تطوير النهضة وتقدمها
٥. وسائل دعم النهضة وتمكينها
٦. وسائل تنظيم النهضة وتنسيقها

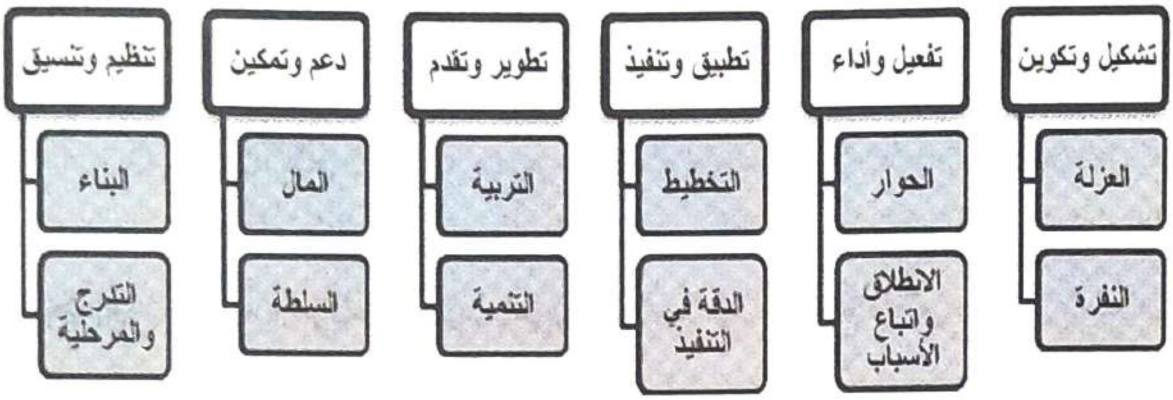
تشكيل وتكوين
العزلة
النفرة
تفعيل وأداء
الحوار
الانطلاق واتباع الأسباب
تطبيق وتنفيذ
التخطيط
الدقة في التنفيذ
تطوير وتقدم
التربية
التنمية
دعم وتمكين
المال
السلطة
تنظيم وتنسيق
البناء
التدرج والمرحلية

وفي هذا المبحث سيأتي الحديث بإذن الله عن وسيلتين في كل مجموعة من هذه المجموعات الست، وذلك بدراسة الآيات الواردة في كل وسيلة منها، لتبيين أهميتها للنهضة، وكيفية إسهامها في تأديتها وتحقيقها، ومنهجية استخدامها والقيام بها على الوجه الأمثل لتؤتي أكلها بإذن الله سبحانه.

المطلب الأول: وسائل تكوين النهضة وتشكيلها في سورة الكهف

والمقصود بهذه الوسائل تلك الآليات التي تسهم في بداية تشكيل النهضة وتكوين بنيتها قبل انطلاقها، وهي تلخصت في سورة الكهف في وسيلتين اثنتين: أولهما العزلة، والأخرى النفرة.

أولاً: عزلة النهضة التكوينية

في قصة أصحاب الكهف التي صدّرت بها السورة، وسمّيت باسمها، تجد أن العمل الأساس الذي دارت حوله الأحداث، والذي تركزت حوله الآيات وأبرزته هو اعتزال الفتية المؤمنين لقومهم وفرارهم بدينهم منهم، والتجاؤهم إلى الكهف؛ ليؤويهم بعيداً عن إيذاء قومهم لهم، ويمكن تسمية هذا العمل الذي قام به فتية الكهف بأنه عزلة أو اعتزال.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾[الكهف: ١٦]، وهذه هي العزلة، ويقول عز وجل: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾ [الكهف: ١٠]، وذلك هو الاعتزال.

نعم إنها العزلة والاعتزال الإيجابي المثمر؛(١) بما فيه من مفاصلة للقوم الكافرين ومخالفة لهم في اعتقادهم وعبادتهم، وما فيه من ثبات على الإيمان،

---

(١) لا بد من التنبيه إلى أن للعزلة نوعان، نوع إيجابي محمود شرعاً وهو موضوع هذا المطلب، وهناك نوع من العزلة سلبي مذموم غير مقبول شرعاً، وهو ذلك الاعتزال الكامل للناس، وترك مخالطتهم ومعاملتهم، والانزواء عن المجتمع، والانطواء على النفس، والقعود عن المشاركة في الحياة الاجتماعية، وهي مخالفة للشرع ولسنة النبي ﷺ، كما جاء في الحديث الذي يرويه أنس رضي الله عنه أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواجه عن عبادته عليه الصلاة والسلام، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه وقال: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني." والحديث رواه مسلم في صحيحه، (٢/ ١٤٠١/ ١٠٢٠)، الباب الأول من كتاب النكاح، والشاهد اعتراض النبي عليه الصلاة والسلام على اعتزالهم عن ممارسة ضرورات الحياة الإنسانية من أكل ونوم وزواج.

والمهم هنا هو النظر في حقيقة هذا الفعل وارتباطه بالنهضة، **فكيف يكون الاعتزال أو العزلة وسيلة تكوينية أو تشكيلية لتحقيق النهضة ؟**

يمكن الإجابة عن هذا السؤال تفصيلاً ببيان نقطتين مهمتين هما:

١. **العزلة هي بداية تشكيل النهضة، وأول مراحل تكوينها،** فليس المقصود بالعزلة هو ذلك المعنى السلبي الذي يجعل من صاحبها منزويا عن مجتمعه منطوياً عما حوله، لا يؤثر فيه ولا يشارك في تصحيح أخطائه وتغييرها، بل المقصود هو الاعتزال عن المنكر والخطأ، وعدم المشاركة في الكفر والفسق والمعاصي، وترك ما ألفه الناس من الذنوب والأعمال الطالحة والمنكرات، مما يمثل له بفعل فتية الكهف المؤمنين، والذين اجتهدوا بحسب وسعهم لأداء أركان النهضة سابقة الذكر من إيمان وعلم وعمل صالح، وهذا ما يجعل هذه العزلة وسيلة أساسية في نقاء المجتمع وابتداء تشكيل نهضته وتكوينها.

وبهذا المعنى تكون العزلة هي ما يشكل مرحلة الكمون والتحضير والتشكل في هدوء وبلا نزاعات تقضي على الثمرة قبل نضوجها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧]، وهذه مرحلة موجودة في تاريخ كل الأمم التي نهضت وصارت لها حضارة، فالنهضات انبثقت في أول تشكلها عن مرحلة أولية من التجهيز والتحضير والبناء ثم جاءت انطلاقتها فيما بعد، ففي نهضتنا الأولى مثلاً جاء العهد المكي الذي كان مرحلة تشكل النهضة بالدعوة والتضحية والابتلاء والإعداد والبناء، تلك المرحلة التي استمرت ثلاثة عشر عاماً، وتاريخ الأمم يشهد بوجود هذه المرحلة في كل النهضات التي حدثت على مدار التاريخ(١).

---

(١) ينظر ابن خلدون، المقدمة، (١٦٣-١٦٥).

٢. **العزلة هي عنصر التغيير النهضوي في أدنى درجاته،** فأدنى درجات التغيير كما بين رسولنا عليه الصلاة والسلام هي التغيير بالقلب،(١) ففتية الكهف لم يستطيعوا مواجهة قومهم بأيديهم ولا بلسانهم؛ لكنهم لم يعجزوا عن تغيير قلوبهم وأنفسهم، وتحركوا للثبات على إيمانهم، والتكتل في جماعة مؤمنة، غير مستكينة ولا راضية بكفر قومهم وشركهم، ولم يجدوا أمامهم لأجل ذلك إلا أن يحافظوا على إيمانهم بالتجائهم إلى الكهف: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ [الكهف: ١٦].

وهذه العزلة ليست تغييراً سلبياً عديم النفع والفائدة؛ بل هي تغيير لنفس وقلب أصحاب النهضة يشكل مرحلة مهمة من تاريخ الصراع بين الحق والباطل، ولا بد من وجوده ضمن وسائل تكوين نهضة الأمة وتشكيلها، وفيما يأتي بيان فوائد هذه العزلة الإيمانية أو الاعتزال الإيجابي:

١. **الحفاظ على صنّاع النهضة من الأخطار،** ففي قصة أصحاب الكهف "دليل على جواز الفرار بالدين والعزلة حين تشتد الفتن"،(٢) وهذا من أسلم الوسائل في الحفاظ على صنّاع النهضة والقائمين عليها، وإبعادهم عن الأخطار التي تهدد بالقضاء عليهم؛ مما يؤدي إلى ضياع نهضتهم في أول نشأتها، وقبل استكمال إعدادها وقدرتها على المواجهة.

٢. **عدم تعجل المواجهة وتأخير الصراع قدر الإمكان قبل أوانه،** فلربما كانت المواجهة مهلكة للنهضة وقاضية عليها في أول طريقها، وقبل امتلاكها للقوة اللازمة للصراع والمواجهة مع أعدائها، وعن طريق العزلة يمكن للأمة أن

---

(١) في الحديث الصحيح: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان."، رواه مسلم في صحيحه، (١/ ٦٩/ ٤٩)، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان.

(٢) الشرقاوي، تأملات في سورة الكهف، (٣٣).

تتكون وتتشكل بعيداً عن الصراعات والمواجهات حتى يقوى عودها وتشتد قوتها، وتلك هي فائدة الكهف ومنعته ودوره، ذلك الكهف الذي لم تسمّ هذه السورة الكريمة باسمه عبثاً – حاشا لله.

٣. **الإعداد والبناء للنهضة،** وهو مقصد أولي مهم لهذه المرحلة، فكل ما جاء بعد المرحلة المكية من دعوة النبي ﷺ إنما هو نتاج وثمار للعزلة التكوينية التي قام بها المسلمون الأوائل في العهد المكي.

٤. **اكتساب الأحقية والأهلية،** فالثبات في مواجهة أعداء النهضة، وتحمل أذاهم، والجهاد السلمي لمخططاتهم؛ هذه الخطوات - التي تعد عناصر العزلة الإيجابية - هي الكفيلة باستحقاق النهضة للوجود الحيوي، وبأهليتها للتطور والنمو واكتساب مستحقات وجودها ونمائها.

٥. **كسب التأييد الرباني،** فهو مرهون بالنسبة للفرد بإقامة النفس على اعتزال المنكر ومخالفة الباطل، وبالنسبة للأمة بمجموعها على اعتزال الصدمات المبكرة وتجنب المعارك الخاسرة المانعة لتحقيق النهضة، فالتأييد الرباني مقرون بوجود مرحلة من تحمل الأذى والصبر: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف: ١١٠]، وكذلك أيد الله أهل الكهف بحمايتهم في كهفهم ثم أظهر أمرهم ليكونوا آية الله في تأييده لمن آمن به ، ولمن سعى على قدر وسعه لتحقيق رسالته.

وفي المرحلة الأولى لنهضة الأمة والتي قوامها العزلة لا بد من بيان ما هي الأمور التي تعتزل لأجل صناعة النهضة للأمة، وهنا لا بد من العودة إلى قصة أصحاب الكهف لبيان هذه الأمور؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الكهف: ١٦]، فالآية الكريمة حددت ما الذي اعتزله أهل

الكهف؛ ألا وهو أهل الكفر بالله وما يعبدونه من دون الله، وهذا أصل الشرور والمنكرات التي تعتزل، فكل ما يخالف طاعة الله وعبادته هو من المنكر الذي يجب أن يعالج باعتزاله، وعليه فإن كل ما يخرب المجتمع ويؤخر نهضته من هذه المنكرات النابعة عن مخالفة طاعة الله هي ما ينبغي اعتزاله ومفارقته ومخالفته.

من ذلك على سبيل المثال لا الحصر المنكرات العقدية الفكرية؛ من شرك ونفاق، والمنكرات الأخلاقية؛ من خيانة وكذب وغش، والمنكرات الاجتماعية؛ من عنصرية وطبقية وجهل، والمنكرات في مجال السياسة؛ من ظلم للرعية وهضم للحقوق واستغلال للمناصب، وفي مجال الاقتصاد؛ من احتكار وطغيان وربا، وقس على ذلك في كل مرافق المجتمع، فيجب اعتزال كل هذه المنكرات، وتلك معركة النهضة في أولى مراحلها، مرحلة التكوين والتشكل.

وباعتزال هذه المنكرات في المجتمع يتوصل إلى محاصرتها والتقليل منها، وتصبح مرذولة ومحاربة، مما يؤدي إلى تشكل بيئة اجتماعية خالية أو مقاربة للخلو من العقبات والشوائب والحواجز التي تقف في وجه نهضة الأمة، مما يفرز قوة وقدرة للأمة على انطلاقة نهضتها، وبهذا يتبين أن اعتزال المنكرات وتغييرها في نفوس المؤمنين، وعزلة أهل النهضة لواقع الأمة السيئ إنما هي وسيلة من وسائل تحقيق النهضة وإقامتها، ومرحلة أولى من مراحل تكوين النهضة وتشكلها.

ثانياً: النفرة المشكلة للنهضة

كما أن العزلة هي عنوان المرحلة الأولى من مراحل النهضة، فالنفرة كذلك عنوان المرحلة الثانية من مراحلها، تلك النفرة التي هي الحركة الفاعلة المقصودة من المسلم لأجل دينه،(١) التي تقصد تمكين هذا الدين، وتشكيل نهضته، ومثالها الأوضح في تاريخ أمتنا هو هجرة النبي ﷺ، ويمكن أن تكون هذه النفرة تحركاً

---

(١) الدقور، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، (٧٨).

لأجل طلب العلم والمعرفة كما رحل سلمان الفارسي باحثاً عن الحقيقة،[1] ويمكن كذلك للنفرة أن تكون انتقالاً في سبيل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، كهجرة رسول الله ﷺ.

وليس المقصود من النفرة ذلك الهروب من المواجهة، وما يتبع هذا الهروب من تخلٍ عن الحق واستنامةٍ إلى الباطل ورضاً بالواقع المفروض؛ وإنما هي نقطة تغيير مفصلية في حركة التدافع مع أعداء الأمة والنهضة، هي اللحظة التي تنطلق منها المرحلة التالية للمرحلة المكية من تاريخ نهضتنا، فهجرة النبي ﷺ (مثال النفرة وأنموذجها الواضح) جاءت مباشرة عقب انتهاء الحقبة المكية حقبة الكمون والتحضر والتجهيز والتشكيل والحشد، ثم بالهجرة جاءت النقلة النوعية إلى مرحلة المدينة والمدنية والدولة والكيان في العهد المدني من تاريخ أمتنا، فالنفرة للهجرة هنا كانت وسيلة لتكوين النهضة وتشكلها في بيئة صالحة لتحقيقها وإقامتها.

وفي سورة الكهف ثلاث أمثلة لثلاثة من أنواع النفرة، فيما يأتي بيانها:

١. **نفرة أصحاب الكهف،** وكانت نفرتهم حركة انتقالية لأجل الحفاظ على الدين، وهذه النفرة هي نوع من التغيير لواقع مؤلم لا يمكن مواجهته أو مدافعته، فتكون النفرة هنا هي الحل الأنسب للحفاظ على المبادئ والثوابت، فإذا **كان الحال:** ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٢٠]، **فالحل إذا:** ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، **فكان إيواؤهم إلى الكهف، وهجرتهم**

---

(١) خالد، خالد محمد (ت: ١٤١٦هـ)، رجال حول الرسول، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١ – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، (١/ ٣٥).

لقومهم، أنموذجاً ومثالاً عملياً لقول رسول الله ﷺ: "والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه."(١)، فجاءت نفرتهم في سبيل الله عزلة عن المنكر، وهجرة إلى الله؛ لأجل الثبات على إيمانهم ودينهم في مواجهة كفر قومهم.

٢. **نفرة موسى عليه السلام**، والذي كانت نفرته تنقلاً ورحلة في طلب العلم، وسفراً لأجل التزود والتعلم والاطلاع على المعارف، وهي بهذه المعاني من أرقى أشكال النفرات وأعلاها مرتبة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، وانظر إلى إصرار موسى عليه السلام لإتمام رحلته هذه حتى لو مضت أزمنة ممتدة من عمره وهو يبحث عن مقصده؛ وفي ذلك إرشاد بضرورة الثبات والرسوخ والإصرار على تحقيق الهدف المطلوب لمن أراد هكذا نفرة.

٣. **نفرة ذي القرنين**، والذي كانت نفرته تطوافاً دعوياً وتحركاً جهادياً في سبيل الله، لأجل نشر دينه، وسعياً لإقامة شرعه في الأرض، وهي دأب الصالحين من الأنبياء عليهم الصلوات والسلام، وهي نفرة مبنية على اتباع ما آتاه الله للإنسان من الأسباب، وتفعيل لما مكنه الله فيه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٣ - ٨٥].

ويتضح هنا أن النفرة فراراً بالدين ولأجل إقامته في بيئة صالحة أكثر ملاءمة له، والنفرة في سبيل طلب العلوم النافعة للإنسان القائد للأمة والذي ترجع إليه لتحقيق نهضتها (كموسى عليه السلام)، وكذلك النفرة الحضارية لنشر الأفكار

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في الصحيح، (١/ ١١/ ١٠)، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ورواه مسلم في صحيحه، (١/ ٦٥/ ٤٠)، باب تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل.

والمبادئ الأساسية لإقامة الوجود على أوامر الله وشرائعه، كل هذه الثلاثة هي ما تشكل أمة النهضة المؤمنة العاملة الفعّالة.

والنفرة على اختلاف أنواعها ومقاصدها تعد وسيلة مهمة من وسائل تشكيل النهضة وتكوينها، فنفرة نبينا عليه الصلاة والسلام الدين وهجرته من مكة لإقامة دولة الإسلام في المدينة، كانت فاتحة نهضة الأمة الإسلامية ومنطلقها، لذا اختارها الفاروق عمر رضي الله عنه عنواناً للتقويم الإسلامي،⁽¹⁾ وبذلك أصبحت الهجرة رمزاً لانبثاق نهضة الأمة وتقويماً لمسيرتها التاريخية.

وهذه النفرة بلا شك ليست وسيلة مقطوعة عن غيرها من الوسائل؛ بل هي تتآلف مع مجموعة كبيرة من الوسائل؛ حتى تكون ناجعة وناجحة في تحقيق النهضة وإقامتها، كما تحتاج كذلك إلى مجموعة أخرى من الوسائل التي تثريها وتجعلها نفرة مباركة مثمرة.

فمن الوسائل التي تتآلف معها النفرة لتشكيل النهضة الانطلاق واتباع الأسباب، وسيأتي الحديث عنها تفصيلاً، ومن الوسائل التي تحتاجها النفرة لتكتمل وتتميز يمكن ذكر وسائل الصبر والثبات، والتخطيط المتقن، والتنفيذ الدقيق، وهذا كله سيأتي تفصيله أيضاً في الصفحات القادمة.

المطلب الثاني: وسائل تفعيل النهضة وأدائها في سورة الكهف

تحتاج أمة النهضة بعد التشكل والتكوين للتفعيل والحركة، وتبرز هنا وسائل هذا التفعيل والتحريك والأداء متمثلة بوسيلتين مستنبطتين من سورة الكهف الكريمة؛ تلك هما وسيلتا الحوار والانطلاق مع اتباع الأسباب.

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١ - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، (٤/ ٥١٠).

أولاً: لسان النهضة الفاعل / الحوار

الحوار يشكل وسيلة مهمة من وسائل تفعيل النهضة وتحسين أدائها، والمقصود منه هنا هو ذلك التواصل والجدال والتدافع الفكري فيما بين النهضة وغيرها من مبادئ وأيديولوجيات، ومع ما يمثلها من دول ومجتمعات وأشخاص وهيئات، هذا في جانب الأمة الجمعي، وأما في الجانب الفردي فيقصد منه ذلك التواصل بين الآراء والنقاش الفكري وتبادل المعارف بين صناع النهضة ومن حولهم.

ومصدر هذه الوسيلة من سورة الكهف هو ذلك الحوار في قصة صاحب الجنتين، يقول الله سبحانه: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا (٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٢ – ٤٢].

ومن خلال دراسة هذا الحوار يمكن ملاحظة النقاط الآتية والتي تجعل من الحوار وسيلة من وسائل تحقيق النهضة:

- **الحوار هو آلية من آليات منهج التغيير الإصلاحي،** فهو ثاني مراتب التغيير وأوسطها كما صح في الحديث النبوي الشريف: "من رأى منكم منكراً

فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان."(١)

• **الحوار هو وسيلة نشر أفكار النهضة والدعوة إليها،** فهو نوع من أنواع الجهاد بالكلمة، وهو يجمع بين التحلي بالحكمة، والموعظة الحسنة، والترغيب والترهيب، وهو من أعظم أبواب التعريف بالإسلام والدعوة له.

• **الحوار هو حاجز دفاع عن النهضة،** فمن خلاله ترد الشبهات عنها، وتظهر حجتها، وبواسطته يتم التواصل مع الأمم الأخرى، وهو يشكل بذلك بديلاً عن الصراع الحضاري، ويخفف من حدة التنافس الحضاري، ويقلل من الحروب الإنسانية بين الحضارات والأمم.

• **الحوار النهضوي وسيلة لها شروط معينة لتؤدي نتيجتها،** فإنعام النظر والتفكر في الآيات السابقة التي تحدثت عن الحوار الذي وقع بين صاحب الجنتين وصاحبه يحدد الشروط اللازمة للحوار ليكون وسيلة من وسائل تحقيق النهضة، وفيما يأتي بيان هذه الشروط:

_ أن يكون الحوار مبنياً على مبدأ إيماني راسخ، ففي خطاب الرجل المؤمن من الصاحبين لصاحبه الكافر تظهر آثار الإيمان ودلائله واضحة في حواره، فهو مطلع على قضايا الإيمان بالله، وواثق بإدراكه لأصول المنشأ والمعاد، ومعرفة أقدار الله وأرزاقه، **يقول سبحانه وتعالى:** ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا (٤١) ﴾ [الكهف: ٣٧ – ٤١].

---

(١) رواه مسلم في الصحيح، (١/ ٦٩/ ٤٩)، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان.

_ أن يرتبط الحوار بعلم صحيح وفهم عميق للواقع، فإنك تجد أثر العلم والوعي والمعرفة في خطاب المؤمن من الرجلين لصاحبه؛ فهو لم يناقش صاحبه ويخاطبه في تكبره وتعاليه عليه بما يملك من كثرة المال والولد؛ لكنه نظر فيما وراء هذا الكبر من كفر بالله وعدم إيمان بقدر الله ورزقه، وعدم يقين بالبعث والحساب، فوجه الحديث إلى هذه الجوانب، وركز حواره حولها؛ لأنها هي الأصل والأساس، وعد إلى آيات الحوار في القصة تجد فيها رسالة لأصحاب الحوار؛ لكي يكونوا مطلعين على الواقع الذي يتحاورون حوله؛ فالجهل بأسباب الوقائع وما وراء الظواهر قد يقود إلى قصور في الحوار أو عجز فيه.

_ أن يكون للحوار هدف وغاية ومقصد محدد صالح، وهنا يبرز في القصة أنموذجان؛ الأول لصاحب الجنتين، والذي كان حواره ذا مقصد باطل، وهدف سيئ هو إثبات اعتزازه واغتراره بماله وأملاكه، والثاني هو أنموذج صاحبه المؤمن؛ ذلك المحاور الذي قصد لهدف سامٍ، وغاية نبيلة؛ فهو يريد هداية صاحبه ودعوته للإيمان بالله سبحانه، ويهدف إلى نزع الكبر والغرور من نفسه، ويقصد إرجاعه إلى الحق.

_ أن يكون الحوار واضحاً جلياً، فلا غموض ولا تورية، ولا ألغاز تكون مظنة الخداع والمخاتلة في الحوار، وكم من حوارات مهمة أضاعها التلون والتذبذب في استعمال الألفاظ والمصطلحات، وفي طرح الآراء وبناء الأحكام، فأنتجت تشوهاً في مخرجات الحوار وأثره.

_ أن يرتبط به أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، وهذا واضح في آيات الحوار في القصة، وهو أمر ضروري لكي يكون الحوار مثمراً، وإلا انقلب الحوار مشادة كلامية، أو حوار عبثي جدلي لا طائل وراءه ولا فائدة ترجى منه.

فإذا تحققت في الحوار هذه الشروط فسيكون وسيلة مؤثرة في تفعيل النهضة، وتحسين أدائها، وتحريكها الفاعل وتقدمها، فهو يمنح التواصل والترابط بين القائمين على النهضة بمختلف اتجاهاتهم ومجالاتهم، وبهذا يكون الحوار الداخلي والتشاور سمة المجتمع الناهض، وميزة القائمين عليه، كما أنه في الشأن الخارجي من صلات النهضة مع الأمم الأخرى يصبح بديلاً للصراع الحضاري، ومظنة لاحترام الشعوب والدول لنهضة الأمة، وهو بذلك يعتبر سبيلاً ووسيلة لاستقرار العالم، ونوعاً من التعاون بين الأمم لإحلال السلام والقضاء على مشاكل الإنسانية الكبرى، من فقر وتشرد وجهل وتخلف وتلوث وما إلى ذلك.

ثانياً: حركة النهضة الفاعلة / الانطلاق واتباع الأسباب

هاتان وسيلتان مرتبطتان معاً، يمكن عدهما وسيلتي التنفيذ والإجراء لتفعيل قيم النهضة وأداء مبادئها واقعياً، وعبرهما يحصل الحفاظ على أركان النهضة سابقة الذكر، وسيأتي تناولهما هنا ببيان مفهوم كل واحدة منهما وحدها، ثم سيتناول الباحث العلاقة بينهما وتناسقهما لأجل تحقيق النهضة وتفعيل أدائها.

• الانطلاق

وقد تكرر ذكر هذه الوسيلة في سورة الكهف ثلاث مرات، كلها في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ ﴾ [الكهف: ٧١]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا ﴾ [الكهف: ٧٤]، ويقول عز وجل: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ﴾ [الكهف: ٧٧].

وكلمة الانطلاق هذه محملة بمعان عديدة تحدد ضرورتها وأهميتها لحركة النهضة، فالانطلاق هو الحركة بعد سكون، والوثوب من قيد أو حَجْر،[1] ويدل

---

(١) ينظر الأصفهاني، المفردات، (٥٢٣)، وابن منظور، لسان العرب، (١٠/ ٢٣٠)، والمعجم الوسيط، (٢/ ٥٦٣).

هذا على أن نقطة الانطلاق هذه هي نقطة تغيّر ونهوض بعد طول سكون وهدوء، وهي نقطة البدء الأساسية في تفعيل النهضة وأدائها بعد تشكلها وتكوينها، وهي الخطوة التالية للكمون والتحضر والتجهز.

وهذه الوسيلة مبنية على الحركة والانتقال لأجل تحقيق النهضة؛ ففتية الكهف ينطلقون إلى كهفهم ويتحركون إليه لحماية دينهم، والمؤمن من الصاحبين ينطلق لمحاورة صاحبه، وينتقل بدعوته له إلى الإيمان بدل كفره وشركه، كما ينطلق موسى عليه السلام والعبد الصالح مرة تلو الأخرى مصطحبين المعرفة والعلم والصبر للاطلاع على أحوال العالم؛ لأجل الإسهام في تغيير المجتمعات وحمايتها من أنواع مختلفة من الظلم، وكذلك ذو القرنين حين ينطلق في مشارق الأرض ومغاربها متحركاً لنشر دين الله، ولتخليص البشرية من الفساد.

وهذا الانطلاق له متطلبات متعددة ومتنوعة؛[1] فالعبد الصالح وموسى عليه السلام كان انطلاقهما يتطلب العلم والصبر والصلاح، وكان فيه محاولات للفهم والوعي والإدراك، وقام على علم لدني من العبد الصالح، وعلى أدب وحسن اتباع طالب العلم (موسى عليه السلام)، وكان هذا الانطلاق متحلياً برؤية المعلم المرشد - العبد الصالح - الشمولية للأحداث التي واجهتهم، ولم يكن صبر المتعلم - موسى عليه السلام - في هذا الانطلاق على قدر المطلوب فانتهى الانطلاق ووقفت الرحلة لأجل ذلك، وألفت النظر هنا إلى أن هذا الانطلاق لم يكن فردياً؛ وإنما ورد في المرات الثلاث بصيغة المثنى: ﴿ فَٱنطَلَقَا ﴾، وفي ذلك إشارة إلى أهمية اتفاق كلمة الناهضين والساعين لتحقيق النهضة على

---

(١) سيأتي تفصيل بعض هذه المتطلبات بإذن الله في المبحث الأول من الفصل الرابع من هذه الدراسة تحت عنوان قيم النهضة.

موعد انطلاقتها، وحيثياته وعناصره وآلياته، وأوثق عراها لأجل نهضة الأمة ما يكون من توافق في الانطلاق فيما بين الحاكم والرعية، ويتبع ذلك بالتأكيد العلاقة بين الحكومة والشعب، وبين المعلم والطالب، وبين المدير وإدارته، وبين القائد وأتباعه، وبين الأب وأولاده... إلخ.

• اتباع الأسباب

وأما اتباع الأسباب فهي وسيلة تكرر ذكرها في سورة الكهف أربع مرات، جاءت كلها في قصة ذي القرنين، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤]، ويقول سبحانه: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٩]، ويقول أيضاً: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٩٢].

وينبني مفهوم اتباع الأسباب في هذه الآيات عند المفسرين على أحد معنيين؛ فهو إما اتخاذ الوسائل الموصلة إلى المقصد، وإما السير نحو الهدف المقصود. فالأول معنى عام شامل، والآخر جزئي مشمول في الأول، والخاصة بناءً على ذلك أن اتباع الأسباب هو اتخاذ الوسائل والسبل الكفيلة بالوصول إلى الغاية المرجوة والهدف المقصود⁽¹⁾.

وهكذا يمكن اعتبار اتباع الأسباب وسيلة أساسية من وسائل تحقيق النهضة، وتتمثل باستثمار المنح والعطايا الربانية للأمة، وإدارتها، وتفعيلها؛ للاستفادة منها في نهضة الأمة، ويظهر ذلك في سورة الكهف في استفادة فتية الكهف من الكهف: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٠]، ومن المال الذي يملكونه:

---

(١) ينظر السيوطي، الدر المنثور، (٥/ ٤٤٩)، والقاسمي، محاسن التأويل، (٧/ ٦٤)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٥)، ودروزة، التفسير الحديث، (٥/ ٩٠)، وسيد قطب، الظلال، (٤/ ٢٢٩٠).

﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٩]، وفي استفادة العبد الصالح من العلم الذي آتاه الله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]، وفي انتفاع ذي القرنين من الأسباب التي مكنه الله فيها: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤ – ٨٥]، وفي هذا كله وغيره تظهر أهمية اتباع الأسباب وتسخيرها للوصول إلى الهدف المنشود.

وهذه الأسباب الواجب اتباعها متعددة ومتنوعة،(١) فمنها أسباب إيمانية؛ كالثبات، والصبر، والرحمة، والصلاح، ومنها أسباب مادية؛ كالمال، والسلطة، ومنها أسباب علمية؛ كالعلوم الطبيعية من فيزياء، وكيمياء، وما إليها. وكالعلوم الإنسانية؛ من اجتماع، وفلسفة، وتربية، وغيرها. ومنها أسباب عملية؛ كالصناعة، والزراعة، والتجارة، والسياسة، والإدارة وغيرها.

والأخذ بهذه الأسباب واتباعها يعد أساس تحقيق النهضة؛ إذ النهضة مبنية على هذه الأسباب التي أوجدها الله سبحانه على هذه الأرض؛ للانتفاع بها، وتسخيرها لأجل نهضة الإنسان، ورفعته بقيامه بدوره ووظيفته خليفةً ومعمراً للأرض، وهو ما ينفعه في الدنيا والآخرة.

• علاقة الانطلاق باتباع الأسباب

الانطلاق هو التحرك لأداء النهضة وتفعيلها بعد السكون والتهيؤ والتشكل، واتباع الأسباب هو الاستفادة التامة من كل الإمكانيات والآليات

---

(١) سيأتي تفصيل بعض هذه الأسباب بإذن الله في المبحث الأول من الفصل الرابع من هذه الدراسة تحت عنوان (قيم النهضة).

والوسائل الموصلة إلى الغاية والهدف، ويجمع بينهما أن الانطلاق بحاجة إلى اتباع الأسباب، وان اتباع الأسباب لا يكتمل إلا بالانطلاق.

فالانطلاق والتحرك لتحقيق النهضة إن كان بلا أسباب، أو بمخالفة الأسباب، أو بقصور وضعف فيها، فحتماً لن يكون مؤدياً إلى النتيجة المرجوة منه، ومثال ذلك في كثير من الهمم العالية والأهداف النبيلة لدى كثير من الشباب في مجتمعنا، ولكن لقلة الأسباب، أو ضعفها، أو انعدامها، تجدهم لا يكادون يحققون شيئاً من هذه الأهداف.

وأما اتباع الأسباب فلن يكون متحققاً إلا بالانطلاق، وإلا فوجود الأسباب ووفرتها لا يسهم في إيجاد النهضة وحده بلا اتباع لهذه الأسباب وانطلاق بها لتحقيق النهضة، ويظهر ذلك جلياً في حال أمتنا التي أوتيت من الأسباب الممكّنة لتشكيل النهضة والمعينة على تحقيقها، ولكنها أسباب ضائعة مهدورة بلا استغلال ولا انتفاع منها، من هذه الأسباب وحدة الدين، واللغة، والوطن، والتاريخ، وكثير من الثروات والكنوز الموجودة لدى الأمة، مثالهم في ذلك مثال صاحب الجنتين الذي لم ينتفع بجنتيه وبما فيهما، بل اغتر بهما وتكبر وكفر بالله، فاستحق الإحاطة بثمره، نعوذ بالله أن يكون مآل الأمة في جنتها مثل مآله في جنتيه.

ويتجلى تعانق الوسيلتين وتآلفهما معاً في آخر قصتين من قصص السورة؛ ففي قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح تكرر فعل الانطلاق منهما، وترابط هذا الانطلاق بالأخذ بالأسباب واتباعها، فموسى عليه السلام والعبد الصالح لم ينطلقا إلا بعد أن اتخذا الأسباب المهمة لرحلتهما؛ فقد اتفقا على طبيعة هذا الانطلاق، وتفاهما على مقصده، وفصلا آلياته وما يلزمه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا

(٦٥) قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا
(٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا
(٦٩) قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٦٥ – ٧٠].

ويتبين من خلال هذه الآيات أن الانطلاق كان لأجل أن يتعلم موسى عليه السلام من العبد الصالح الذي سيقوم بدور المرشد لموسى عليه السلام في صحبتهما هذه، ومن آلياتها أن على موسى عليه السلام الصبر والانتظار في إبداء رأيه ووجهة نظره في أفعال العبد الصالح مهما كانت حتى يبيّن له العبد الصالح ما وراء هذه التصرفات من أسرار، وأهداف، ومقاصد. ثم بعد الاتفاق على هذا كله جاءت الآية التالية تخبر بانطلاقهما: ﴿ فَٱنطَلَقَا ﴾ [الكهف: ٧١]، وهذا هو عين اتباع الأسباب والأخذ بها.

وكذلك في قصة ذي القرنين الذي اتبع الأسباب التي مكنه الله فيها واستفاد منها للانطلاق بنشر دين الله، والجهاد في سبيله في مشارق الأرض ومغاربها، يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٤ – ٨٥]، فنرى هنا استفادة ذي القرنين مما آتاه الله من أسباب التمكين، واجتهاده بأن تكون هذه الأسباب سبيلاً لانطلاقة نهضوية حضارية مباركة تنشر دين الله الحق والعدل في مشارق الأرض ومغاربها.

المطلب الثالث: وسائل تطبيق النهضة وتنفيذها في سورة الكهف

البدء بإقامة النهضة يتطلب وسائل لهذه الإقامة، وهو ما تمثل في سورة الكهف بوسيلتين مهمتين لتطبيق مبادئ النهضة وتنفيذها؛ هما: التخطيط، والدقة في التنفيذ. وفيما يأتي بيانهما تفصيلاً...

أولاً: التخطيط للنهضة

لا يمكن بناء نهضة متكاملة حضارية بلا تخطيط؛ إذ العشوائية والعفوية والتخبط لا يُنتِج نهضة ولا حضارة، ولذا فإن التخطيط من أهم وسائل تحقيق النهضة.

وفي قصص سورة الكهف كان التخطيط حليف أفعال شخصيات القصص، وإن لم يظهر ذلك بذكر مباشر لمصطلح التخطيط، لكنك تجد آثاره واضحة بينة في أحداث القصص وتفاصيلها.

ففي قصة أصحاب الكهف ظهرت آثار هذا التخطيط في تفكير الفتية باللجوء إلى الكهف ليؤويهم بعيداً عن تضييق قومهم، وهذا اللجوء جاء إثر تخطيط وتفكير وتحاور من الفتية المؤمنين كما تدل الآية على ذلك: ﴿ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا (١٤) هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا (١٥) وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾ [الكهف: ١٤ – ١٦]، ومما يؤكد هذا التخطيط تزودهم بالمال؛ كي يعينهم ويغنيهم عن مسألة الناس والحاجة لهم: ﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ ﴾ [الكهف: ١٩].

كما برزت آثار هذا التخطيط واضحة في رحلة موسى أثناء بحثه عن العبد الصالح واتخاذه الأسباب وإعداده لهذا اللقاء: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ

سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[الكهف: ٦٠ – ٦٤].

وتبدو آثار هذا التخطيط في أفعال العبد الصالح كذلك؛ فخرق السفينة يحتاج إلى تخطيط وإحكام في خطة الخرق؛ حتى تظهر السفينة بصورة تزري بها أمام الملك الغاصب فتجوزها عيناه، وفي الوقت نفسه يكون هذا الخرق محكماً بطريقة لا تغرق السفينة بسببه، وكل ذلك يحتاج تخطيطاً بارعاً، وقل مثل ذلك في إقامة الجدار لحماية كنز اليتيمين تحته.

وفي قصة ذي القرنين يتجلى ذلك التخطيط البارع المتقن والمحكم لبناء السد، بتوزيع المهام على العمال، وبالاستعانة بأنواع الصناعات، واستخدام قوى الريح والنار، وغير ذلك مما يدل على جودة وإتقان التخطيط للقيام بهذا الردم المنيع لحماية الأرض من فساد يأجوج ومأجوج.

والخلاصة مما سبق أن التخطيط وسيلة ناجعة في إنجاح النهضة وقيامها، بل هو يستحق أن يكون ذا أولوية قصوى في شؤون النهضة؛ كونه وسيلةً لا غنىً للنهضة عنها، وظيفته الأساسية تكمن في ترجمة أركان النهضة ومبادئها إلى سلوك واقعي في حياة الأمة.

ثانياً: الدقة في تنفيذ أعمال النهضة

هذه الوسيلة تستلزم الوسائل الأخرى السابقة واللاحقة لها، وتتضمن معظم هذه الوسائل في تكوينها؛ فهي ليست وسيلة مستقلة بذاتها؛ وإنما هي الإتقان والإحسان في استخدام وسائل النهضة الأخرى المتاحة للوصول إلى الهدف المنشود بأفضل طريقة، وأنسب وقت، وأكمل تحقيق.

فالعزلة، والنفرة، والحوار، والانطلاق، واتخاذ الأسباب، والتخطيط؛ كل هذه الوسائل سابقة الذكر تحتاج إلى الدقة في التنفيذ حتى نقوم بها ونؤديها على أكمل وجه، لتسهم في تحقيق النهضة. والتربية، والتنمية، والبناء، وحسن إدارة المال، والسلطة، وأدوات التغيير، من الوسائل التي سيأتي بيانها أيضاً مما تحتاج إلى الدقة في التنفيذ لتحقيق النهضة على الوجه الأكمل.

والمقصود بالدقة في التنفيذ هو الإتقان والإحسان، فالعمل المتقن والأداء الحسن هو سبيل نجاح النهضة وتحقيقها، يقول النبي ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»،(١) وهذا الإتقان في العمل وإحسانه هو ما يعطي للنهضة قيمتها وتأثيرها "فقيمة كل امرئ ما يحسن"،(٢) كما قال علي رضي الله عنه، وأما الفوضوية والاعتباطية - إن جاز التعبير - والتنفيذ المهلهل، والعشوائية في العمل، والضعف في إقامة النهضة، والتقصير في تطبيق أركانها ووسائلها، كل ذلك مما ينافي الدقة في التنفيذ، فهو مما يؤخر ظهور نتائج النهضة وثمارها، ومما يثبط مسيرة النهضة ويعيقها.

والدقة في التنفيذ في قصص سورة الكهف سمة بارزة في معظم الخطوات اللازمة لتحقيق النهضة؛ يظهر ذلك في قصة أصحاب الكهف واختيارهم للدخول إلى الكهف لأجل حمايتهم، فهم قد خططوا لهذا الالتجاء، وأحسنوا

---

(١) رواه البيهقي، شعب الإيمان، (٧/ ٢٣٣/ ٤٩٣٠)، والطبراني، المعجم الأوسط، (١/ ٢٧٥/ ٨٩٧)، وأبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت: ٣١٦هـ)، المصاحف، تحقيق: محمد بن عبده، نشر الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة، ط ١- ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، (٣٤٤).

(٢) يقول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين عن عبارة علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذه: "فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية، ومجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية."، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي (ت: ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ، (١/ ٨٧).

الاختيار، وأتقنوا الاختفاء في الكهف؛ خوف الطلب، وقد كانوا دقيقين في تنفيذهم لهذا اللجوء للكهف؛ فقد أخذوا معهم المال ليستعينوا به: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ﴾ [الكهف: ١٩]، وطلبوا من الله أن يهيئ لهم الخير والأمن في كهفهم: ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ [الكهف: ١٦]، ثم هم جاؤوا بالكلب كما يظهر⁽¹⁾ لحراستهم والدفاع عنهم: ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِ﴾[الكهف: ١٨]، وكل هذا يعد من الإتقان في تنفيذ المراد، والدقة في تطبيقه والإحسان فيه.

وفي قصة صاحب الجنتين ظهر إتقان الحوار وإحسان التوصل فيه إلى المقصود من الدعوة والبيان، وبرزت دقة استخدام الصاحب المؤمن لألفاظه ومعانيه، وحسن تنفيذه لدوره ومهمته.

وانظر إلى وصف الله سبحانه دقة العبد الصالح في إقامته للجدار: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٧]، فالإقامة ليست مجرد البناء؛ وإنما هي إتقان البناء، وتحصينه، وإصلاحه بعد قرب انهدامه، وتعديله بعد ميلانه⁽²⁾.

---

(١) لم أجد أحداً قال ذلك من المفسرين وإنما هو اجتهاد ورأي دليله اختصاص الكلب بالحراسة، ومكان جلوسه بالوصيد، وأن مقصود القرآن مما يذكره عادة مقصود عظيم، وليس فيما ورد من حديث عن الكلب في التفاسير غنية تشفي الغليل، فقد اقتصر الحديث عن الكلب في التفاسير على الخلاف في اسمه ولونه، وقليل من المفسرين من بحث سبب وجوده والتفت إلى دوره، ومدار كلام من تنبه منهم إلى أن سبب ذكره هو لأجل تبيين الخلاف في عددهم، وأنه كان معهم كلب لهم، لكي تثبت دقة القرآن في وصف الخلاف وذكره، وهو سبب كما ترى ضعيف ولا يرقى لبلاغة كلام الله وعظمة مقاصده، وذكر فيه أقوال غريبة متنوعة لا تقبل. ينظر حديث المفسرين وأقوالهم عن كلب أهل الكهف عند الرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ٤٤٤)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥/ ١٤٤)، والألوسي، روح المعاني، (٨/ ٢١٥).

(٢) ينظر الطبري، جامع البيان، (١٥/ ٣٢٠) جزء (١٥)، وطنطاوي، الوسيط، (٨/ ٥٥٨).

وفي هذا دلالة مباشرة على الدقة في التنفيذ، والإحسان في أداء المطلوب، وإتقان الوسيلة، وإحكام المقصود منها.

وفي بناء ذي القرنين للسد مزيد تدليل على هذه الوسيلة القائمة على فهم الواقع، وحسن استغلال الوسائل المتاحة؛ لأجل تنفيذ العمل المقصود، وإقامته في أعلى درجات الإتقان والإحسان، يقول سبحانه وتعالى واصفاً هذه الدقة وهذا الإتقان: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ [الكهف: ٩٥ – ٩٧]، وتأمل في غاية الإتقان لبناء السد مما جعله منيعاً محصناً لا يخترق من أسفله، ولا يظهر على أعلاه.

وخلاصة القول إن تطبيق النهضة وتنفيذها مرهون بإتقان تنفيذ الأعمال المطلوبة لأجل ذلك، وبجودة هذا التنفيذ ودقته، وبهذا تتحقق النهضة راسخة مبنية على حسن التخطيط وكماله، ودقة التنفيذ والأداء.

المطلب الرابع: وسائل تطوير النهضة وتقدمها في سورة الكهف

ليست النهضة القرآنية بنهضة جامدة محدودة في إطار ضيق شكلي لا يقبل تبديلاً ولا تعديلاً؛ وإنما هي نهضة فاعلة متفاعلة، قابلة للتطور والتقدم، وقادرة على مواكبة العصور، ومهيأة للصمود في وجه الزمن. يظهر ذلك جلياً في هاتين الوسيلتين المتضمنتين في هذا المطلب؛ التربية والتنمية.

أولاً: التربية النهضوية

قضية التربية - بلا شك - هي أساس في نهضة أية أمة وتحضرها، وبالتأكيد فإن تربية أية أمة لأبنائها وأجيالها هي ما يرقى بها إلى مصاف النهضة والحضارة، وعليه فلا بد أن تبحث هذه القضية أثناء معالجة وسائل تحقيق نهضة الأمة.

ولا بد من التقرير ابتداءً أن القرآن الكريم هو كتاب تربية، نزل لتزكية الإنسان وتعليمه والاهتمام بشؤونه، ومن أعلى مقاصد هذا الدين وأهم نتائج تطبيق أوامره تربية النفس البشرية وتزكيتها.

وبالنسبة لأنموذج النهضة في سورة الكهف فقد تميزت فيه منهجيات تربوية متعددة هدت إليها آيات وقصص السورة الكريمة يمكن تلخيصها بما يأتي:

- **منهج التربية الإيمانية**، والذي ظهر جلياً في قصة أصحاب الكهف، حيث الإرشادات الربانية للالتزام بالدين، والثبات على المبدأ، والصبر والتحمل لأجله، والفرار بالدين، واعتزال الكفر والمنكر، والهجرة إلى الله، وكل ذلك في نموذج رباني لفتية مؤمنين ضربوا أروع الأمثلة في منهجية تربية أهل النهضة وصنّاعها إيمانياً: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩].

- **منهج التربية التأديبية**، وهذا المنهج مستنده قصة صاحب الجنتين، الذي أحيط بثمره، وهلكت جنتاه؛ بسبب كفره بالله وشركه به، وبسبب نظرته المادية الرافضة للإيمان. وفي هذه القصة تأديب وتحذير وترهيب من هذا السبيل المؤدي إلى الهلاك، وفي ذلك تربية لإنسان النهضة؛ كي يحذر من هذه النظرة المادية الأرضية، وليترفع عنها بإيمانه بالله وقدره: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ [الكهف: ٣٨ - ٤٠].

• **منهج التربية التعليمية**، وأنموذجها في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، اللذين ضربا المثل في كيفية تعامل طالب العلم مع معلمه: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٦٦ – ٧٠]، وسعيه الدؤوب للتعلم: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: ٦٠]، وأدبه في الطلب: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦]، وفي صبره على جهد التعلم: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩]، وفي ذلك كله إرشاد تربوي لآليات التعلم والتعليم التي يجب أن تتأساها مرافق التعليم النهضوية.

• **منهج التربية الإعدادية**، والمقصود بها تلك التربية التي تعد الأجيال لحوادث المستقبل، وتربيهم على النظر في عواقب الأمور ومآلاتها. وظهر دليل هذه التربية في تصرفات العبد الصالح في خرقه للسفينة، وقتله للغلام، وبنائه للجدار؛ إذ كانت له من وراء ذلك نظرات استشرافية تكشف ما وراء هذه الحوادث، فتصرف بهذه الأفعال لِيَحْمِيَ سفينة المساكين، ويُسعِد أبويْ الغلام المؤمنين، ولِيَحفَظ كنز اليتيمين. وفي هذا تربية وإرشاد إلى حسن النظر للأمور وتوقع القادم، وسعة الأفق لاستشراف حوادث المستقبل والإعداد لها، وهو أمر من صميم وسائل نجاح النهضة، وهو ما يمكن ترجمته عملياً عن طريق التدرب على التخطيط للنهضة، ودراسة مستقبلها، وتوثيق تحركاتها وضبطها بحسب الوسائل سابقة الذكر.

• **منهج التربية الحضارية**، وهو الذي يجلّي منهج التعامل مع الأمم الأخرى، والذي يبرز دور أمة النهضة فيما جاورها من بلاد، وأنموذج هذا المنهج ومثاله هو ذو القرنين في تعامله مع القوم الذين وجدهم عند مغرب الشمس: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۖ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا (٨٧) وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴾ [الكهف: ٨٦ – ٨٨]، هذا المنهج الذي يقوم على مبادئ الدعوة إلى دين الله، وإرشاد البشرية وتعليمها، وتربية الأمم الظالمة المتجاوزة وردعها، وهي مرحلة متقدمة من النهضة نسأل الله أن تعود أمتنا إلى تسلم رايتها والعمل على إقامتها وتحقيقها، فقد طال انتظار البشرية لأمة نهضة حقيقية تنقذها من سوء مظالمها ووحش فسادها.

• **منهج التربية الوقائية**، والذي يقوم على تقديم الأعمال الاحترازية الكفيلة بنجاح النهضة، وتنحية العقبات أمامها، ولأهمية هذا المنهج التربوي وعظم دوره مثلت له سورة الكهف في خمسة نماذج واضحة، لكل واحد منها استراتيجيته الوقائية المختلفة عن الآخر نبينها فيما يأتي:

_ استراتيجية الكمون، وأنموذجها لجوء الفتية إلى الكهف لحماية معتقدهم؛ فقد كمنوا في كهفهم؛ ليحافظوا على الإيمان، ويثبتوا عليه في وجه الكفر، وهي تربية وقائية لحماية المبدأ.

_ استراتيجية إخفاء الثمرة، وأنموذجها خرق السفينة؛ إظهاراً للعيب فيها، وإخفاءً لقيمتها؛ خوفاً أن يطمع فيها الملك الغاصب. وفي ذلك كما يقول الدكتور سليمان الدقور: "جواز إخفاء الثمرة خوف أن يطمع بك عدوك."،(١) وهي تربية وقائية لحماية الممتلكات والمنافع.

---

(١) سمعت منه مشافهة في محاضرات مادة التفسير الموضوعي، في الجامعة الأردنية.

_ استراتيجية حجز الشر، وأنموذجها قتل الغلام خوف كفره وطغيانه، وإن لم يكن قتل من يتوسم كفره أو فساده مستطاعاً - فليس هناك من يملك علماً قطعياً لدنياً كعلم العبد الصالح - إلا أنه يمكن الاجتهاد لمنع هذا الشر وحجزه ودفعه عن مستقبل النهضة وأبنائها بالتربية السليمة، والبناء الصحيح، والإرشاد السليم، وهي تربية وقائية لحماية الأبناء (ثروة المستقبل).

_ استراتيجية حفظ الكنوز، وأنموذجها بناء الجدار لحماية كنز اليتيمين، وفي ذلك إرشاد للقيام بكل الخطوات اللازمة لحماية كنوز الأمة لتستفيد منها في نهضتها، وهي ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح "التنمية"،(١) وهي تربية وقائية لحماية كنوز الأمة وثرواتها ومقدراتها.

_ استراتيجية سد الفساد، وأنموذجها بناء ذي القرنين للسد؛ لحماية الأرض من فساد يأجوج ومأجوج، وهذا تنبيه على ضرورة اتخاذ السدود والحدود المانعة للفساد، معنويةً كانت أم ماديةً، وهي تربية وقائية لحماية النهضة والإنسانية.

وهكذا تجد أن للتربية الوقائية في سورة الكهف استراتيجياتها الكفيلة بحفظ مبادئ الأمة وأفرادها، ومستقبل أبنائها، وحماية ممتلكاتهم وثرواتهم ومقدراتهم، وكل هذا مما يسهم في تقوية النهضة وإمدادها بالمقومات اللازمة لبقائها وديمومتها ونقلها للأجيال القادمة.

وأخلص إلى تقرير ضرورة التربية وأهميتها وسيلةً تطويريةً للنهضة، قائمةً على أصول إيمانية وتأديبية وتعليمية، فيها استشراف لمستقبل نهضة الأمة، ومنهجيات وقائية لها، صانعة لحضارتها الإنسانية.

---

(١) ستبحث تفصيلاً في المطلب الآتي.

ثانياً: التنمية النهضوية

التنمية (Development) مصطلح عصري يقصد به "العمليات التي بمقتضاها توجه الجهود لكل من الأهالي والحكومة بتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية لمساعدتها على الاندماج في حياة الأمم والإسهام في تقدمها بأفضل ما يمكن." وذلك بحسب التعريف الذي اصطلحت عليه هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٥٦م⁽¹⁾.

وهي في اللغة مأخوذة من النمو، وتدل على ارتفاع الشيء من مكانه إلى مكان آخر أعلى⁽²⁾، ويمكن القول إنها عملية تطور شامل أو جزئي، بأنشطة مستمرة، تتخذ أشكالاً مختلفةً، تهدف إلى الرقي بالوضع الإنساني نحو الرفاه والاستقرار، بما يتوافق مع احتياجاته، وإمكانياته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، فالإنسان هو عنصر التنمية الأساس والمستفيد الأخير منها⁽³⁾.

وللتنمية مجالات متعددة؛ كالتنمية البشرية، والتنمية الاقتصادية، والتنمية السياسية، والتنمية الاجتماعية، ويغلّب الجانب الاقتصادي من التنمية عادةً عند إطلاق المصطلح؛ وذلك أنه مصطلح نشأ واستعمل أصلاً للدلالة على التطور الاقتصادي المادي⁽⁴⁾.

وفي سورة الكهف - مظنّة الحديث - عدة توجيهات مهمة يمكن ذكرها تحت بند التنمية وسيلةً تتقدم من خلالها النهضة، يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية:

---

(١) الموقع الإلكتروني لويكيبيديا الموسوعة الحرة (https://ar.wikipedia.org/wiki/).

(٢) ينظر ابن منظور، لسان العرب، (١٥/ ٣٤٣)، والمعجم الوسيط، (٢/ ٩٥٦).

(٣) ينظر مجموعة من الباحثين، القرآن الكريم ومقومات النهضة، (٨٣).

(٤) ينظر عارف، نصر، بحث عن مفهوم التنمية، كلية العلوم السياسية / جامعة القاهرة / مصر، (١-١١).

• **تقوم التنمية في النهضة الإسلامية على أساس ارتباطها بالإيمان بالله،** ويُستنتج هذا من هلاك الجنتين اللتين كانتا مقدمتين لنماء اقتصادي وتطور مادي باهر، إلا أنهما لما قرن بجانب نعمتهما كفر صاحبهما بالله وإشراكه به أحيطا بالهلاك فخوت عروش نموهما: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٩ – ٤١].

وعليه يمكن التأكيد بأن الاستفادة من الجنان والثمار وتنميتها لا بد أن تكون مبنية على إيمان راسخ بالله سبحانه؛ فمعرفة قيمة هذه النعم الربانية والعطايا المادية، والمحافظة عليها وتنميتها لا تتحقق إلا من خلال منظومة الإيمان بتعاليم الإسلام التي تحدد منهجية التعامل مع هذه النعم.

• **تهدف التنمية الإسلامية إلى مقاصد عليا وأهداف مثلى،** يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف:٤٥–٤٦]، **فالحياة الدنيا** ومتاعها وزخرفها، والسعي للترف فيها والتَّكثُر منها، وكل ذلك مما هو غايات للتنمية وأهداف لها عند أصحاب النظرة المادية،⁽¹⁾ إنما هي وسائل تنموية في نهضة أمتنا لا غايات مرجوة بذاتها؛ فهدف التنمية هو تحقيق سعادة الإنسان ونجاحه بتسخير ما يملك من خيرات الدنيا لأجل إعمار الأرض وعبادة خالقها، وتلك هي التنمية الحقة.

---

(١) ينظر عارف، مفهوم التنمية، (٥).

• **التنمية في الإسلام واقعية شاملة،** فواقعيتها ظاهرة في موازنة الإسلام بين النظرة المادية والنظرة الإيمانية، وبين الفرد والمجتمع، وغير ذلك مما هو مقرر في أنظمة الإسلام التشريعية، وأما شمولها فيظهر بيّناً في كثير من إرشادات القرآن لأشكال متعددة من التنمية، كالتنمية البشرية، والعلمية، والفكرية، والإيمانية، والاجتماعية، والأخلاقية، والاقتصادية، وغيرها. وأنموذج واقعية التنمية القرآنية وشمولها هذا يتضح في قصص سورة الكهف فيما يأتي:

_ التنمية البشرية في قصة أصحاب الكهف، وفيها تنمية إيمانية لجيل النهضة.

_ التنمية الاقتصادية في قصة صاحب الجنتين، وسبقت الإشارة إليها.

_ التنمية الاجتماعية في قصة موسى والعبد الصالح، والتي احتوت آليات لمنع الظلم في المجتمع لحمايته من أسباب هلاكه، وللمحافظة على تماسكه وبقائه ونمائه.

_ التنمية السياسية في قصة ذي القرنين، والمتمثلة بحسن استخدام السلطة والتمكين والأسباب لنفع الناس ومنع الفساد.

• **للتنمية خطوات وآليات تحققها،** وقدمت قصص سورة الكهف نماذج تطبيقية واقعية لهذه الآليات أثبتها فيما يأتي:

_ ربط التنمية بالمقصد الإيماني الأعلى، والاستعانة بالله سبحانه في تحقيق نتائج التنمية، وعدم الاغترار بالثروات والمادة، والسعي لتحقيق التنمية بالاعتماد على الأسباب المادية مقرونة بالإيمان بالله والتوكل عليه والاعتراف بفضله ونعمته، وكل هذه القيم التنموية أرشدت إليها قصة صاحب الجنتين.

_ الكمون والتحضر الجيد وعدم استعجال الثمرة، وحسن التخطيط لنيل الهدف، ودقة تنفيذ المطلوب، واستخدام العلم والوعي والإدراك للواقع المحيط، وكل هذه الآليات التنموية وردت في سياق قصة أصحاب الكهف.

_ استشراف المستقبل للعمل على تحسينه، وظهرت هذه الآلية في قصة العبد الصالح في خرقه للسفينة التي يخشى من اغتصاب الملك لها، وفي قتله للغلام الذي يخشى من طغيانه وكفره، وفي هذا إرشاد لأن تقوم التنمية على سعة الأفق والنظر المستقبلي والتخطيط للنجاح فيه، والجاهزيّة للنجاة من العقبات التي تحول دون تحقيق النهضة.

_ المحافظة على كنوز الأمة وعدم إضاعتها، فلقد أقام العبد الصالح الجدار لحماية كنز اليتيمين، وفي هذا تنبيه على أهمية المحافظة على الثروات الطبيعية التي تعد كنوز الأمة ووقود نهضتها، وعدم هدرها واستغلالها من جيل يجور على من بعده من أجيال المستقبل⁽¹⁾.

_ الاستفادة من العلم والمال والسلطة والإنسان كعناصر لتحقيق التنمية، وبناء ذي القرنين للسد مستفيداً من كل ذلك هو الأنموذج المثالي للخطوات الإجرائية في كيفية استغلال موارد الحياة، والاستفادة منها، وتسخيرها لمنفعة الإنسان ومصلحته. وكل هذه آليات أساسية لتحقيق التنمية التي يمكن القول في النهاية إنها الجانب المادي من النهضة إلى جانب الحضارة التي تشكل الجانب الثقافي للنهضة.

المطلب الخامس: وسائل دعم النهضة وتمكينها في سورة الكهف

لا بد للنهضة من وسائل تدعم قيامها، وتثبت أصولها، وتمكن وجودها ثابتة راسخة. وفي هذا الباب وجهت سورة الكهف - أنموذج النهضة القرآنية - النظر وركزت الحديث حول وسيلتين مهمتين أساسيتين في دعم النهضة وتمكينها؛ هما: المال، والسلطة. وفيما يأتي بيان ذلك...

---

(١) لإضاعة ثروات الأمة وكنوزها أمثلة واقعية كثيرة والله المستعان، ارجع إلى الباب الثاني من كتاب شروط النهضة لمالك بن نبي.

أولاً: المال / داعم النهضة وسلاحها

من أهم وسائل تحقيق النهضة وإقامتها المال، لا يختلف على ذلك اثنان؛ بل ذهب كثير من المفكرين والمنظرين إلى أن المال هو أساس النهضة ومحركها وصانعها الأول،(١) ولم يكن القرآن ليترك موضوعاً بهذه الأهمية لنهضة الأمة دون أن يبيّن في تعاليمه وإرشاداته كيفية التعامل مع موضوع حساس ومهم كهذا الموضوع.

لأجل ذلك وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة وضعت نظاماً اقتصادياً ربانياً يبين كيفية التعامل مع المال، وملكيته، وتداوله، والمحرمات والمباحات فيه، ولم يترك القرآن الكريم شاردة ولا واردة مما يهم هذا الجانب إلا وأوردها وبينها، وهذا موضوع مدروس ومفروغ منه،(٢) لكن لا بد من الإشارة إليه في معرض الحديث عن المال والقوانين التي تحكمه شرعاً؛ لكي يكون وسيلة من وسائل تحقيق النهضة(٣).

وأما حديث سورة الكهف عن المال بوصفه وسيلةً من وسائل النهضة فقد حمل إرشادات وتنبيهات أساسية، يمكن اعتبارها لافتات، أو شاخصات مرورية على طريق التعامل مع المال، وتسخيره لنهضة الأمة، وفيما يأتي بيان هذه التوجيهات الربانية الواردة عن المال في سورة الكهف:

- **بيان مكانة المال وقيمته**، فهو زينة الحياة الدنيا: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف: ٤٦]، **أي سعادتها،**

---

(١) ينظر القصص، أسس النهضة الراشدة، (٤١).

(٢) كثير من كتب الفقه جمعت هذه الإرشادات المتعلقة بالمال في الشرع في فروع فقه المعاملات، وألف فيها كتب مستقلة وبحثت كثير من جزئياتها، ونوقشت كثير من أحكامها، وهي من أهم فروع الفقه الإسلامي سواءً بحثت تحت عنوان النظام الاقتصادي الإسلامي، أو تحت عنوان فقه المعاملات.

(٣) المقصود أن نظام الاقتصاد الإسلامي وفقه المعاملات هما ما يجب تفعيله في دولة النهضة، والبحث هنا يدرس التوجيهات والإرشادات العامة والخطوط العريضة التي تنضوي تحتها تلك الأحكام التشريعية للمال.

وراحتها، ولذتها. ولكنه ليس كل شيء فيها، وهذا تنبيه مهم وأساسي، بل إن هناك ما هو أبقى وأدوم ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾، وهكذا تحدد الآية مكانة المال بلا تهويل ولا تهوين.

- **الإرشاد إلى منهجية التعامل السليمة مع المال والنظرة الصحيحة له،** ذلك أن المال مظنّة التكبر والاغترار بالدنيا وزينتها وزخرفها: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤]، لكنّ هذه النظرة المادية للمال والأملاك يجب أن تكون مقرونة مزكّاة بالإيمان بالله سبحانه وتقديره للأرزاق: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩]، وهكذا تكون العلاقة مع المال لا على أنه غاية مقصودة مبتغاة؛ وإنما على أنه وسيلة لتحقيق مهمة الإنسان في عبادة الله، وخلافته في الأرض بالإعمار والنهضة بنفسه وأمته.

- **تزكية نفوس صناع النهضة عن حب المال والسعي له،** ففتية الكهف يشترون طعامهم وحاجتهم بأموالهم: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ١٩]، والعبد الصالح يبني الجدار بلا مقابل: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، وفي كلا الفعلين إرشاد لبذل المال وإنفاقه لمصلحة النهضة، وللمنفعة العائدة من وراء هذا البذل، وفي هذا ذم للبخل والشح، ورفض لأن يكون من شيم طلاب النهضة وصناعها.(١)

---

(١) حب المال والمفاخرة بجمعه وتخزينه شيمة غالبة على الإنسان إلا من رحم ربي، وهي من أشد العقبات والمكائد التي تترصد القائمين على النهضة، ولذا يجب الحرص والترفع والتنبه إلى هذا المنزلق الخطير.

- **المحافظة على المال كعصب للأجيال القادمة،** ويؤخذ هذا التوجيه من هدف إقامة العبد الصالح للجدار: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، فلا يجوز ترك الأموال والكنوز للعابثين والفاسدين يأكلونها ويتمتعون بها، حارمين أمتهم وأجيالها القادمة من خيراتها وعوائدها، وحدث ولا حرج عن الحجم الضخم من كنوز الأمة المعرض للفساد والسرقة والاعتداء من بعض أهل القرى الماديين ورؤسائهم.

- **استخدام المال وتقديمه للنهضة،** فقيمة المال وأهميته تبرز من خلال ما يمكن تحقيقه منه، وأنموذج ذلك يتمثل في تقديم القوم المستضعفين لأموالهم رجاء حمايتهم من الفساد: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]، فقد بذلوا جزءًا من مالهم لأجل دفع الفساد عنهم، وهذا خير استثمار للمال بجعله وسيلة للنهوض والارتقاء.

واستخلاصاً مما سبق تتضح الخطوط العريضة لكيفية الاستفادة من المال وسيلةً لدعم النهضة بأن نقدمه ونبذله لأجل المقاصد العليا في الحياة، وبأن يكون وسيلة لتحقيق مهمة الإنسان في عبادته لله وإعماره للأرض، وأن لا يكون المال غاية مقصودة بذاته يتكثر منه الإنسان فيغرّه، وتمسي نظرته للحياة كلها عبر منظار المال والمادة، وبتطبيق هذه الإرشادات أنْعِم بالمال وسيلةً داعمةً للنهوض ومقوية له.

ثانياً: السلطة الممكنة للنهضة

السلطة مصطلح جامع لشتى أنواع الحكم والملك، من رئاسة، وقيادة، وزعامة، وإدارة، وسياسة(١). والمقصود بها رأس الهرم في عملية بناء النهضة، ومركز الثقل والتحريك والتحكم في حركتها، وهي عنصر أساسي من عناصر تكوين النهضة ووسيلة رئيسية في تمكينها وإرساء أسسها في أرض الواقع.

ولجاذبية المركز السلطوي وبريقه قد تغدو السلطة أحياناً معيقاً وتحدياً من تحديات النهضة يثبطها ويؤخر مسيرتها، وقد تغدو في أحيان أخرى سبباً في القضاء على النهضة وإنهائها، أو جرها إلى صراعات جانبية تستهلك قوتها وتضيع جهودها(٢).

ولهذه الأسباب تحدثت سورة الكهف عن عدة نماذج للسلطة يمثل كل منها شكلاً من أشكالها، منها ما ذكر للتنبيه عليه، والتحذير منه؛ كسلطة البيئة والمادة. ومنها ما ذكر لبيان قوته وتحكمه وضرورة رفض سلطته؛ كإبليس. ومنها ما ذكر لبيان جبروت السلطة وظلمها؛ كالملك المغتصب في قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح. ومنها أخيراً ما ذكر ليكون الأنموذج المثالي للسلطة للاقتداء به؛ كذي القرنين.

وفيما يأتي بيان هذه الأنواع من السلطة التي ذكرتها سورة الكهف تفصيلاً:

- **سلطة البيئة وحكم المجتمع،** ومثال هذه السلطة قوم أصحاب الكهف، الذين كانت بيئتهم بيئة الكفر، وكان مجتمعهم مجتمعاً شركياً يعدد الآلهة: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، (٧/ ٣٢١)، والمعجم الوسيط، (١/ ٤٤٣)، والأصفهاني، المفردات، (٤٢٠).

(٢) ينظر سلطان، جاسم،، أداة فلسفة التاريخ، سلسلة أدوات القادة - المشروع الإسلامي لنهضة الأمة، (٢٤-٢٧).

مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾[الكهف: ١٥]، وهكذا بيئة يكون لها سلطة سيئة على أبنائها؛ تحارب المؤمن منهم، وتعادي الصالح، وتضطره إلى الاعتزال والهجرة لأجل الاحتراز في كهف إيماني يقيه من هذه السلطة الغاشمة للمجتمع الكافر وآثاره السيئة على أبنائه: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقًا ﴾ [الكهف: ١٦].

- **سلطة المادة،** التي عالجتها قصة صاحب الجنتين وبينت قوة هذه السلطة الطاغية على نفس صاحبها:

﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرًا مِّنۡهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٤ - ٣٦]، وحذرت الآيات من طغيان هذه السلطة ونبهت على عواقبها السيئة: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ [الكهف: ٤٢-٤٣].

- **سلطة العدو،** والمقصود به إبليس نعوذ بالله من شره، والذي بينت الآية مغبة متابعته، وحذرت من اتخاذه ولياً من دون الله سبحانه ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠]، وهذه السلطة - بل هذا التسلط - من أشد التحديات التي يواجهها المسلم، والصراع معها من أهم المعارك التي يخوضها المسلم، وقد أرشدت الآية إلى أن الخضوع لها وموالاتها من أشد الأخطار والبدائل التي يخسر بها الإنسان معركته الوجودية والمصيرية.

• **سلطة الحاكم الظالم،** وهي أنموذج الحكم الفاسد والمُلك المتعدي على الرعية، والتي برزت في قصة الملك المغتصب الظالم، والذي جعل همه وشغله ترصد رعيته وسلبهم مقدراتهم: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، وفي الآية تعريض بفساد السلطة وطغيانها، والتحذير من أن تكون هذه سمة السلطة الحاكمة على النهضة؛ فلا نهضة ثمَّ سلطة فاسدة.

• **سلطة الحاكم العادل والقائد البارع،** وهي الأنموذج الإيجابي المثالي في مقابل الأنموذج السلبي السابق، والذي ضرب ذو القرنين مثاله الأعلى بتصرفاته في حكمه وملكه وقيادته، وتفكر في كيفية سياسته للرعية مستفيداً من أسباب التمكين واتباعها لنشر دين الله: (1)﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤ – ٨٥]، وتأمل في آلية معاقبة الظالم عنده: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٨٧]، وفي منهجية مجازاة المحسن أيضاً: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٨]، وانظر إلى منهجه في حماية الرعية من الفساد: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٤- ٩٥]، وكل ذلك من تصرفات تحقق التمكين لوجود الأمة، وتبني نهضتها، وتقيم صرح حضارتها.

وهكذا تبين مما سبق كيف تحدثت السورة المحكمة عن أشكال السلطة وبينت منهجية التعامل مع كل منها؛ فمنها ما واجبنا الحذر منه والتنبه له (سلطة

---

(1) ينظر سيد قطب، تفسير الظلال، (٤/ ٢٢٩٣).

المجتمع)، ومنها ما يطلب منا محاربته والتصدي له (سلطة إبليس)، ومنها ما يجب إصلاحه وتهذيبه (سلطة المادة)، ومنها ما يجب منعه واجتثاثه من حركة النهضة (سلطة الحكم الظالم)، ومنها ما هو جدير بالتحقيق والإقامة والمحافظة عليه (سلطة العدل والحق)، ليكون أساساً من أساسات تمكين النهضة، ووسيلة من أهم وسائل تحقيقها.

المطلب السادس: وسائل تنظيم النهضة وتنسيقها في سورة الكهف

لا بد للنهضة من وسائل تنظمها وتنسق أجزاءها، وفيما يأتي الحديث عما احتوته سورة الكهف الكريمة في هذا الصدد تحت وسيلتين أساسيتين لتنظيم النهضة وتنسيقها؛ هما: البناء، والتدرج.

أولاً: بناء النهضة

البناء وسيلة لتحقيق النهضة تتفاعل فيها باقي الوسائل، وتنصهر في بوتقتها، فهي تتضمن التخطيط والدقة في التنفيذ، وتستلزم التربية والتنمية، وتحتاج العزلة، أو الهجرة، أو الحوار أحياناً، وتقوم على الانطلاق واتباع الأسباب أحياناً أخرى، كما أنها تتطلب المال والسلطة لحسن تنفيذها حسب المطلوب، وهكذا يظهر أنها وسيلة جامعة منظّمة لكل ما سبقها من وسائل تحقيق النهضة.

والبناء وسيلة النهضة المنظمة لقيامها؛ فهي المرتِّبة لكيفية تشكيلها وتكوينها، وهي المزينة لتفعيلها وحسن أدائها، وهي المقسمة لكيفية تطبيقها وتنفيذها، وهي المنسقة لتطويرها وتقدمها، وهي الموزعة لدعمها، والمقررة لتمكينها.

والبناء في سورة الكهف لا يقتصر - كما قد يتبادر إلى الذهن - على البناء المادي لأنواع من الأبنية التي ذكرتها السورة كالمسجد والجدار والسد؛ وإنما

يتجاوزها إلى بناء الفرد وبناء المجتمع وهما محط النظر الأهم واللذان عليهما العمدة لتحقيق النهضة.

وفيما يأتي بيان ما أرشدت إليه آيات سورة الكهف الكريمة في كل جانب من جوانب البناء:

• **بناء الأفراد 'الشخصية'**، وقد ركزت القصص الثلاث الأولى من قصص السورة الكريمة على بناء الفرد المسلم، وذكرت كثيراً من الإرشادات القيمية لبناء شخصيته،(١) وفيما يأتي أساسيات هذا البناء في سورة الكهف:

_ البناء الإيماني في قصة أصحاب الكهف، وذلك بالإرشاد إلى الثبات على المبدأ الإيماني، وتحمل الأذى والاعتزال لأجله، والصبر على إذية الكفار والهجرة لأجل الدين: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٥-١٦].

_ البناء التزكوي في قصة صاحب الجنتين، وذلك بالتنبيه على خسران النظرة المادية للحياة وبطلانها، والتوجيه السليم للتعامل مع المادة، وإقرار النظرة الإيمانية الصحيحة للحياة، وخلاصة ذلك بالمثال التزكوي لقصة صاحب الجنتين: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٥-٤٦].

---

(١) سيأتي بإذن الله تفصيل بعض هذه القيم في الفصل الرابع / المبحث الأول تحت عنوان قيم النهضة التي أرشدت إليها سورة الكهف.

ـ البناء التربوي في قصة موسى والعبد الصالح، والذي توزعت إرشاداته على مجموعة من القيم العظيمة التي يحتاجها الفرد لتكوين شخصيته؛ كقيم العلم، والصبر، ومحاربة الظلم، والقوة في الحق، وما إلى ذلك من القيم التي أبرزتها هذه القصة(١).

- **بناء المجتمع 'الأمة'**، والذي يمكن أن نستخلص قواعده الأساسية من قصة ذي القرنين الذي تعامل مع أربعة أقوام[٢] في خلال رحلاته؛ وجاء تعامله مع كل قوم منهم بمنهجية مختلفة عن غيرهم، وهذه المنهجيات هي ما يمكن اعتباره قواعد بناء الأمة كما يأتي:

ـ إقامة المجتمع على الأصول، وظهرت هذه القاعدة في تعامل ذي القرنين مع قوم المغرب: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ [الكهف: ٨٦ – ٨٨]، وتقوم هذه القاعدة في تعامل السلطة مع الرعية على أساسين؛ أحدهما معاقبة المسيء، والآخر مكافأة المحسن، وهما أصلان في نهضة المجتمع وبنائه وتنقيته من الخلل.

ـ الشفافية والوضوح والرجوع إلى حقيقة ذات المجتمع لإصلاحه، وهي قواعد مأخوذة من إخفاء الحق جل جلاله لما حدث مع ذي القرنين عند مشرق الشمس، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٩٠-٩١]، ففي مكان

---

(١) سيأتي بإذن الله تفصيل بعض هذه القيم في المبحث الأول من الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٢) قوم المشرق، وقوم المغرب، والقوم بين السدين، وقوم يأجوج ومأجوج، بل خمسة إذا أضفنا إليها قوم ذي القرنين نفسه.

شروق الشمس ومطلعها، حيث لا ستر ولا خفاء؛ فالقوم مكشوفون للشمس، والشمس لا يسترها شيء عنهم، وكل شيء واضح في العراء، فمبادئ المجتمع مكشوفة واضحة شفافة لا غرر فيها ولا ختل ولا زور، بل نقاء وسطوع وصفاء.(١)

وفي ظل كل هذا الوضوح - حيث لا مجال للخفاء والستر - تفاجأ بإخفاء ما جرى بين ذي القرنين وهؤلاء القوم، وربما نلمح في ذلك إشارة وتنبيهاً للمجتمع كي يعود إلى نقطة الصفر،(٢) ويرجع إلى قضية معالجة الذات، وموضوع الاهتمام بالداخل، وبخاصةً في ظل وجود أسباب التمكين التي قد تغري المجتمع بالانفلات، وحقيقة الجوهر الداخلي للمجتمع أهم بلا شك وأعظم من المظهر الخارجي، فينبغي للمستور أن يكون نظيفاً شفافاً صافياً كما هو الظاهر، ويمكن أن يكون معنى الآية أنها إشارة إلى تكرار ما حدث قبل ذلك عند مغرب الشمس فلا يحتاج إلى إعادة ذكر وإنما أشير إليه بكلمة ﴿كَذَٰلِكَ﴾(٣).

_ معالجة التخلف،(٤) وهذا ما قام به ذو القرنين مع القوم الذين وجدهم بين السدين: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾ [الكهف: ٩٣]، فالقوم في غاية الضعف والتخلف عن الحضارة؛(٥) فهم لا علم عندهم، ولا لغة يتخاطبون بها، ثم إنه بلغ من ضعف حالهم أن لا يدافعوا عن

---

(١) ينظر سيد قطب، تفسير الظلال، (٤/ ٢٢٩٢).

(٢) ينظر العمري، أحمد خيري، البوصلة القرآنية - إبحار مختلف بحثاً عن خريطة النهضة، نشر دار الفكر، دمشق، ط ٣ - ٢٠١٠م، (٤٥١).

(٣) كما أشار إلى ذلك بعض المفسرين، ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ٤٩٨)، والقاسمي، محاسن التأويل، (٧/ ٦)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٩).

(٤) يرجع الفضل في تنبيهي إلى هذا المعنى للدكتور سليمان الدقور في محاضرات التفسير الموضوعي.

(٥) ينظر وصف القوم وتخلفهم عند الطبري، جامع البيان، (١٦/ ١٦-١٧)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥/ ١٩٤)، والسيوطي، الدر المنثور، (٥/ ٤٥٤).

أنفسهم في مواجهة الفساد؛ بل يستعينون بغيرهم، ويبذلون أموالهم لكي يقوم غيرهم بحمايتهم، مع أنهم يعرفون كيف يحمون أنفسهم بدلالة تحديدهم لذي القرنين أنهم يحتاجون إلى سد يمنع عنهم فساد يأجوج ومأجوج: ﴿ قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف: ٩٤]، وحالهم هذا كحال الأمة المرهونة للهوان والعجز، والمبتعدة عن محاربة الفساد المحيط بها فيما ينخر التخلف أركانها، وتعلم أنها تحتاج النهضة، لكنها تريد من غيرها أن يقوم بإنهاضها بغير سعي منها، ولعمري إنه لحال عجيب غريب، فلن يلبث هذا الذي تلجأ إليه الأمة ليحميها أن يتغوّل هو على ثرواتها، ويسيطر عليها، فتصبح كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وأما ذو القرنين فلم يقبل منهم هذا التخلف والوهن عن دفع الفساد والنهوض بأمتهم، فعالجهم أولاً بان لم يقبل منهم أموالهم، ولفت نظرهم إلى أن التمكين بالأسباب لا بالأموال: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [الكهف: ٩٥].

ثم إنه قام تالياً بتعليمهم الاعتماد على أنفسهم، وأشركهم في بناء هذا السد: ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف: ٩٦]، وأهمية هذا تفوق أهمية السد نفسه؛ فقد عالج ضعفهم وتخلفهم بأن قاموا هم بجزء من المشاركة في العمل، وهذا هو الواجب المتطلب للقيام به من أفراد مجتمع النهضة وهيئاته كافة لترفع الأمة عن نفسها التخلف والوهن.

ـ تعطيل الفساد، وهذه القاعدة التي أصَّلها ذو القرنين للتعامل مع القوم المفسدين في الأرض (يأجوج ومأجوج)؛ فقد حجزهم، وحجر عليهم، ومنع فسادهم، بسد حضاري يقف حاجزاً بينهم وبين أهل الأرض التي كانوا يفسدون فيها، وهذه قاعدة وأصل في التعامل مع من يشبه حالهم هذا الحال.

- **بناء الأرض 'الإعمار'**، وقد ذكرت سورة الكهف ثلاثة أبنية فيما يأتي بيانها:

ـ اتخاذ المساجد، وجاءت الإشارة إليها في ختام قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]، ومكانة المسجد ودوره في النهضة لا تحتاج بياناً[1].

ـ إقامة الجدران، ومقصودها حماية الثروات والكنوز وتنميتها لفائدة الأجيال القادمة: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]، فنحتاج إقامتها والتكثير منها في وجه الجشع والطمع ولو دون أن نأخذ أجراً على بنائها: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، وليس الجدار المقصود هو ذلك البناء الإسمنتي القائم فحسب؛ بل يتعدى ذلك إلى الجدران المجازية؛ من منع للظلم، والفساد، والمحسوبية، والرشوة، وما إلى ذلك من خروقات تنهك النهضة وتقوض جدرانها.

---

(١) يرجع إلى النجمي، أحمد بن يحيى، رسالة 'دور المسجد في الإسلام'، من رسائل النجمي الفقهية (٢)، كتيب دعوي إرشادي.

ـ بناء السدود، والهدف منها حماية المجتمع من الفساد: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٥ - ٩٧]، وأؤكد هنا أن السد سدان: أحدهما حقيقي للحيلولة بين المجتمع ووصول الفساد إليه، والآخر مجازي بما نقيم للنهضة من قوانين ومبادئ وحقوق ثابتة تمنع حدوث الفساد والاعتداء على مقدرات أو أفراد مجتمع النهضة.

وهكذا يتبين كيف كان البناء وسيلةً واضحةً في سورة الكهف جلتها آيات السورة وقصصها بما لا جدال فيه؛ فأرشدت الفرد إلى كيفية بناء شخصيته إيمانياً وتزكوياً وتربوياً، وأسست قواعد بناء المجتمع على أصول مكافأة المحسن ومعاقبة المسيء، والشفافية والوضوح والرجوع إلى الذات، ومعالجة التخلف، وتعطيل الفساد، كما أشارت إلى الأبنية الأساسية للنهضة كالمسجد والجدار والسد، وفي كل ذلك رسخت السورة الكريمة البناء وسيلةً من وسائل تنظيم النهضة وتنسيق جهودها وتحقيق وجودها.

ثانياً: مرحلية النهضة وتدرجها

وفي ختام وسائل تحقيق النهضة لا بد من تسطير هذه الوسيلة المستخلصة من ترابط قصص السورة فيما بينها، ومن تناسقها وعلاقاتها المنظمة، ومن ترتيب هذه القصص بالصورة التي جاءت عليها، وبلا ريب أن ذلك مقصود من لدن حكيم خبير.

وهي وسيلة تهتم بجانب تنظيم النهضة، وتنسيقها وفق مراحل معينة، وبتدرج مرتب وفق آليات أرشدت إليها قصص سورة الكهف بترتيبها الرباني الوارد في السورة. وبالرجوع إلى تأمل قصص السورة، وبالتفكر في مقاصدها

وفوائدها، وباستخلاص دروسها وعبرها، وبمحاولة الكشف عن الخيط الناظم لذلك كله، ظهر عدد من التركيبات المتراكمة يمكن الإشارة إليها تحت مسمى المرحلية والتدرج.

والمقصود بالمرحلية هنا هو أن ترتيب هذه التركيبات المتعلقة بالنهضة تابع لترتيب قصص السورة على هذه الصورة، فيتركب من ورود كل قصة بعد أخرى مرحلة بعد مرحلة، وليس ذلك فحسب؛ بل إن هذه التركيبات المرحلية للنهضة ووسائل تحقيقها تركيبات متدرجة دائماً تبدأ بالأدنى في أول قصة من القصص، وتمضي متصاعدة حتى تصل في آخر القصص إلى ذروتها وأوجها؛ وهذا هو المقصود بالتدرج هنا.

وحتى لا يكون الكلام تنظيراً ممجوجاً لا بد من إتباعه بالتطبيق المدلل على واقعيته وحقيقته، وفيما يأتي وصف تفصيلي لهذه المراحل المتدرجة في قصص السورة الكريمة، وبيان علاقتها بوسائل تحقيق النهضة:

التدرج والمرحلية	**أصحاب الكهف**	**صاحب الجنتين**	**موسى والعبد الصالح**	**ذو القرنين**
أدوات تحقيق النهضة	القلب	اللسان	اليد	السلطة
القائمين على النهضة	فتية	رجال	علماء مصلحون	حكام وقادة
مكان تحقيق النهضة	الكهف	الجنة	المجتمع	الأرض

آليات النهضة وسماتها	الإيمان والثبات	العلم والحوار	العمل والصبر	الدعوة والجهاد
مراحل تشكل النهضة	كمون	تكوين	كيان	تمكين

- **التدرج في أدوات تحقيق النهضة**، فقد جاءت قصص السورة متدرجة من أدنى الأدوات إلى أعلاها، ويظهر ذلك في أدوات التغيير والإصلاح المتبعة في كل قصة من القصص كما يأتي:

_ التغيير بالقلب، وهو عنوان ما قام به فتية الكهف من عزلة لقومهم وحركة للثبات على دينهم في مواجهة الكفر والشرك، وليس معنى التغيير بالقلب أنه لم يكن هناك تحرك لأجل النهضة؛ وإنما هو ثبات على الدين وتمسك به، وإنكار للمنكر بالقلب، ومحاولة للمحافظة على المبدأ الإيماني بعيداً عن سعير سلطة القوم الكافرين، في ظل كهف الرحمة والإيمان.

_ التغيير باللسان، وهو أسلوب الصاحب المؤمن في دعوته لصاحب الجنتين المادي الكافر، فقد حاوره بحكمة ووعي، وبأسلوب الموعظة الحسنة، وأقام عليه الحجة بالدليل والبيان الواضح.

_ التغيير باليد، وجاء استخدام هذه الأداة العملية في قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح؛ إذ عمد الأخير إلى خرق السفينة بيده، وقتل الغلام أيضاً بيده، وأقام الجدار بيده كذلك. وفي هذا كله ضرب الأمثلة في كيفية تغيير المنكر باليد، واستعمال الجوارح لمنع الظلم وحماية المساكين والكنوز والمؤمنين، ولقتل الطغيان، ولبناء جدر الحماية.

ـ التغيير بالسلطة، وهي أداة ذي القرنين في التغيير؛ إذ وظّف الأسباب التي مكنه الله منها وفيها، وسعى لتحقيق العدل ونشر الخير في مشارق الأرض ومغاربها.

• **التدرج في صفات القائمين على النهضة،** فالمتأمل للقصص الأربعة يجد أن أشخاص كل قصة وأبطالها اختلفوا من قصة لأخرى بنوع من التدرج بيانه فيما يأتي:

ـ فتية، فقد وصف الله أصحاب الكهف بقوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، وهذا يظهرهم بسمات الفتوة والشباب والقوة للمقبلين على النهضة والمتوثبين لإقامتها.

ـ رجال، وتنتقل القصة الثانية لمرحلة الرجولة التي اكتملت، فاستبدلت النضج بالحماسة،(١) وتمايزت فيها الصفات إلى أحد رجلين: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢]، أحدهما مادي كافر، والآخر مؤمن عاقل، وبدلاً من مجموعة فتيان مؤمنين ليس لهم قوة إلا بالاعتزال والثبات، نرى هنا رجلاً له عقل وعلم ورسوخ يؤهله للحوار والدعوة إلى دينه والثبات عليه في وجه المادية وعنفوان إغرائها وتزينها، وهو انتقال من مرحلة البناء الداخلي (الثبات في الكهف)، إلى مرحلة الحوار الخارجي (الصراع مع المادية)(٢).

ـ علماء ومصلحون، وهي درجة ثالثة تضاف إلى رصيد القائمين على النهضة المتمرسين في تثبيتها وترسيخها في مجتمعهم، فهؤلاء الرجال زادوا على

---

(١) ينظر العمري، البوصلة القرآنية، (٤٣٤).

(٢) للتوسع في هذا المعنى يرجع للعمري، البوصلة القرآنية، (٤٢٧-٤٥٧)، الفصل الثاني من الباب الثاني تحت عنوان "مشروع النهضة من البذرة إلى التمكين".

صفة الرجولة ميزات وصفات العلم؛ فالعبد الصالح - أنموذجهم - على علم وبصيرة، يقوم بعمل متقن ليغير منكرات مجتمعه، ولينهض به في وجه ظلم الملوك الغاصبين، ويقارع الغلمان الطاغين، ويدافع أهل القرى المترفين أصحاب الشح والطمع.

_ قادة وحكام، وتلك قمة الهرم في سلسلة القائمين على النهضة؛ والمتمثلة بذي القرنين صاحب الأسباب، والحاكم العادل، والقائد الممكّن، الذي يسخّر جميع هذا لنهضة الأرض كلها.

● **التدرج في مكان تحقيق النهضة؛** فالمكان يتغير ويتبدل مع كل قصة، متوسعاً وممتداً إلى مدى أشمل وأعم كلما تقدمت مع الترتيب الرباني لقصص سورة الكهف:

_ الكهف، فقد انطلقت النهضة من إيواء الفتية إلى الكهف ليكون واحة إيمانهم في صحراء كفر القوم من حولهم، وهو مجرد "غار منقور في الجبل"[1]، لكنه غدا بدخولهم مركز الثقل وحجر الأساس ومحطة التزود لانطلاقة النهضة، وما ذاك إلا لأن الكهف كان ملجأً ومعتزلاً للمؤمنين حال عجزهم عدم قدرتهم على المواجهة والمجابهة.

_ الجنة، ثم تتحرك النهضة في جنان الأرض لتحدد موقف المؤمن من زينتها: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

---

[1] اتفقت على ذلك كلمة أصحاب المعاجم، ينظر الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٤/ ١٤٢٥)، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (٥/ ١٤٤)، وابن منظور، لسان العرب، (٩/ ٣١٠)، والرازي، مختار الصحاح، (٢٧٤)، والأصفهاني، المفردات، (٧٢٧)، والمعجم الوسيط، (٢/ ٨٠٣).

_ المجتمع، من ثم تنطلق حركة النهضة متئدة في أركان المجتمع، من مجمع البحرين إلى ظهر السفينة، فإلى القرية التي غدت مدينة بدخول موسى عليه السلام والعبد الصالح إليها(١).

_ الأرض، وأخيراً انتشرت النهضة في الأرض كل الأرض، من مغرب الشمس إلى مطلعها، إلى أماكن ما زال المفسرون يختلفون في تحديدها؛ كالمكان بين السدين، وسد يأجوج ومأجوج.

- **التدرج في آليات النهوض وسماته،** وهذا ما سبقت الإشارة إليه أثناء تفصيل أركان النهضة ووسائل تحقيقها في ثنايا هذا الفصل، حيث تتدرج الآليات من قصة إلى أخرى ببناء تراكمي مرحلي، وفيما يأتي خلاصة ذلك:

_ الإيمان والثبات عليه، والذي برزت آلياته في قصة أصحاب الكهف، فقد ورد فيها العزلة والهجرة، وظهر فيها التغيير بالقلب، والتربية الإيمانية، والتخطيط لحماية الإيمان والحفاظ عليه وتجنيبه الصراع، واتخاذ أسباب النجاة من مال وكهف، وكل ذلك لأجل ترسيخ الإيمان والثبات على المبدأ.

_ العلم والحوار به، وظهرت هذه المنهجية جلية في قصة صاحب الجنتين، وتبين فيها آليات الحوار العلمية، وقيمة الحوار كوسيلة لتحقيق النهضة، وحاجة الحوار إلى الحكمة والعلم الراسخ والوعي للواقع وفهم ما وراء السلوك من تصور.

_ العمل والصبر عليه، وتجلت آلياته في قصة العبد الصالح مع موسى، والذي سعى عاملاً مغيراً للمنكر، ومحارباً للظلم، وحامياً لأهل الإيمان مساكين ويتامى، ورادعاً للمغتصبين ملوكاً وأهل قرى، وكل ذلك مما يتطلب الحكمة والصبر.

---

(١) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ٤٩٢)، والقاسمي، محاسن التأويل، (٧/ ٥٤)، وطنطاوي، الوسيط، (٨/ ٥٦١).

ـ الدعوة والجهاد، وجاءت قصة ذي القرنين أخيراً بآليات السعي لنشر العدل، وتغيير المجتمعات والأقوام، ومنع الفساد في الأرض دعوة وجهاداً؛ بعد التمكين في الأرض وإتيان أسباب النهضة.

• **التدرج في مراحل تشكيل النهضة،** ويمكن ملاحظة هذا التدرج والمرحلية في النقاط السابقة والتي يمكن وصف كل مرحلة من مراحل النهضة فيها بظاهرة غالبة عليها، يمكن أن تعد عنوان تلك المرحلة ودلالتها، وفيما يأتي هذه المراحل:

ـ مرحلة الكمون، مرحلة الكهف، ومرحلة الإعداد والتجهيز والتحضير، تلك مرحلة صحوة الفتية الثابتين على الإيمان، الكامنين في كهفهم، أصحاب التغيير بالقلوب، الذين يعتزلون المنكر، ويهاجرون إلى الله، حيث تبدأ النهضة في التكون والتشكل في نفوس أهلها.

ـ مرحلة التكوين، مرحلة الحوار، وقوة الرجال المؤمنين المغيرين بألسنتهم، المجادلين عن دينهم، أصحاب النظرة الإيمانية الصحيحة في مواجهة المادية والاغترار بالدنيا، حيث تنتقل النهضة إلى اليقظة لتتشكل وتتكون، وتفتح أعينها لترى ما حولها وتحاوره وتصارعه لتثبت وجودها واستحقاقها.

ـ مرحلة الكيان، مرحلة إصلاح المجتمع، وحركة العلماء العاملين الجامعين للعلم مع الصبر، والقائمين على تغيير المنكر بأيديهم، فيحافظون على سفن المساكين، ويقيمون جدران الحماية لكنوز المستقبل، حيث يمنع الظلم والطغيان، ويصبح للمجتمع كيان واضح.

ـ مرحلة التمكين، مرحلة الذروة، وأسباب الأشياء بيد سلطة النهضة، فتتحرك الأمة لإقامة دين الحق في الأرض، ونشر العدل بين الأمم، ومحاربة الفساد بقوة حضارتها، حيث النهضة متحققةً قائمةً لها قيم جليّة واضحة، وتنتج عنها آثار ظاهرة بارزة.

الفصل الرابع

قيم النهضة وآثارها

في سورة الكهف

تتميز النهضة الإسلامية القرآنية عن غيرها بما تحمل من مقوّمات، فأركانها ليست كأركان غيرها من النهضات، وأهدافها مميزة عن أهداف غيرها أيضاً، وتحدياتها كذلك مختلفة عن تحديات الأمم، وقل مثل ذلك في وسائل تحقيقها، والتي وإن تشابهت في المسمّى لكنها تختلف بالمضمون.

ومضمون نهضة أمتنا متميز بما تحمل من قيم نهضوية وحضارية، وبما تؤدي إليه من آثار، وما ينتج عنها من ثمار، وفي هذا الفصل عرض لهذه القيم والآثار، في مبحثين؛ الأول منهما يدرس قيم النهضة التي أرشدت إليها آيات سورة الكهف الكريمة؛ ما بين قيم إيمانية، وقيم عملية سلوكية، ويبحث الثاني في آثار النهضة وثمارها الواردة في السورة الحكيمة.

المبحث الأول: قيم النهضة التي أرشدت إليها سورة الكهف

افتتحت سورة الكهف المباركة بوصف قيّوميّة الكتاب في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ① قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ - ٢]، وبيَّن سبحانه وتعالى أن هذا الكتاب القيِّم(١) نزل بقصد تبشير المؤمنين وإنذار غيرهم:

---

(١) قيّما في الآية إما بمعنى معتدلاً مستقيما، الطبري، جامع البيان، (١٥/ ٢١١)، أو مصدقاً للكتب، ابن عطية، تفسير ابن عطية، (٣/ ٤٩٤)، أو مكملاً لغيره، الرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ٤٢١)، والمعنى المختار المناسب لسياق الكلام هو قول أبو السعود رحمه الله: "قيِّما: بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الإنذار والتبشير." أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: ٩٨٢هـ)، تفسير أبو السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (٥/ ٢٠٢).

﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٢ – ٤].

ومضمون سورة الكهف توافق مع مقدمتها التي بينت أن هذا القرآن يحمل قيماً عظيمةً مقصدها هداية الأمة إنذاراً وتبشيراً (ترغيباً وترهيباً)، وإذا تأملت في هذه القيم التي حملتها آيات السورة وقصصها وبحثت فيها ستجد نفسك أمام كم هائل من القيم القرآنية الربانية، منها قيم إيمانيّة تصوُّريَّة، ومنها قيم عمليّة سلوكيّة، وفي هذا المبحث سَيُسَلَّط الضوء على بعض هذه القيم وخصوصاً ما تعلق منها بالنهضة، وذلك في مطلبين؛ بحث أولهما القيم الإيمانية للنهضة في آيات السورة، واختص ثانيهما بدراسة القيم العملية للنهضة الواردة في ثناياها.

المطلب الأول: القيم الإيمانية

المقصود من وصف هذه المجموعة من القيم بأنها إيمانيّة أنها متعلقة بالجانب العقدي والفكري والمعرفي، ومختصة بالإيمان والفكر والعقيدة والمبادئ، ولا يعني هذا كونها مقصورة على التنظير غير متحققة في الواقع؛ بل يدل على أنها في الأصل يجب أن تكون تصوّراً عقدياً وإيماناً راسخاً في نفس صاحبها، مما يشكل انعكاسها سلوكاً واقعياً عملياً.

وفيما يأتي أهم القيم الإيمانية التصورية التي ركزت عليها سورة الكهف:

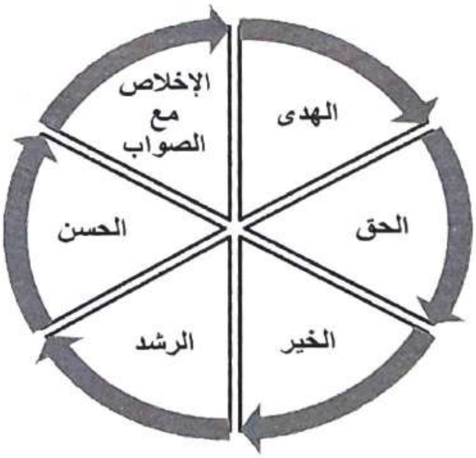

• أولاً: الهدى

من أول آيات الذكر الحكيم تبين أن المقصد الأعظم للقرآن الكريم هو الهداية: ﴿الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ (٢)﴾ [البقرة: ١-٢]، ويمكن القول بناءً على هذا إن آيات القرآن كلها من أول آية إلى آخر آية يمكن تصنيفها تحت بند من بنود معادلة الهداية المقصودة من نزول القرآن الكريم(١).

وهذه القيمة العليا حاضرة واضحة المعالم في سورة الكهف، فقد ورد ذكر الهدى فيها خمس (٥) مرات، في كل مرةٍ منها تأصيل لأساس معين من أسس هذه القيمة، وفيما يأتي بيان ذلك:

_ الهدى يزداد بالإيمان، وجاء تقرير ذلك في وصف الفتية المؤمنين أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [الكهف: ١٣]، فقد قدموا الإيمان فاستحقوا زيادة الهدى، وهذه الزيادة قد تكون ازدياد البصيرة في الدين، أو الثبات عليه، أو الاطلاع على مكنونات محاسنه، أو تحصيل التقوى فيه،(٢) وجميع ذلك صحيح، وجمعه كله ممكن وأكثر قرباً لروح الآية؛ فالزيادة نتيجة بذل الإيمان متحصلة في تثبيته، والتلذذ فيه، والتعمق في دقائقه ومحاسنه، والهدى عنوان هذه الزيادة هو درجات متصاعدة لمراتب إيمانية عليا أسأل الله أعلاها وأسماها.

_ الهدى يقابل الضلال، فللهدى فضيلة ومنزلة عليا، كما للضلال سفول ودنو منزلة: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف:

---

(١) الدقور، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، (١٣-٢٨).

(٢) الطبري، جامع البيان، (١٥/ ٢٣١)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٥/ ٢١٠)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٥/ ٢٧٢).

١٧]، وفي هذا ترغيب بالانضمام إلى زمرة المهتدين، وترهيب من قطع موالاة الله وإرشاده بالضلال عن صراطه وعدم اتباع هديه.

_ طلب الهدى والسعي له، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، وفي الآية إرشاد إلى أهمية التوجه لله سبحانه بطلب الهداية بعد الأخذ بأسبابها، بأن تؤمن بالله وتصدق بدينه ورسوله وكتابه، وتُعمِل عقلك بأدلة الهدى والرشاد، متوجاً ذلك كله بالرغبة إلى الله سبحانه أن يقربك من الرشد والهدى، وعسى في الآية متحققة بإذن الله،(١) لكنها تحتاج السعي إليها كالرزق تماماً؛ فهو مقدر ومقسوم، ولكنه يحتاج السعي والطلب، والهداية أعظم الأرزاق.

_ للهدى موانع، وقد بينت سورة الكهف اثنين من هذه الموانع؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف: ٥٥]، فقد كان طول الأمل وعدم الاعتبار هما المانع من اتباع الهدى، حتى تأتي سنة الله في إهلاك الضالين وإيقاع العذاب بهم،(٢) وعليه فالواجب الوعي على قصر الحياة الدنيا، وضرورة الاعتبار من تاريخ الأمم وقصص السابقين.

_ التحذير من عاقبة مخالفة الهدى، يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ

---

(١) ينظر البقاعي، نظم الدرر، (١٢/ ٤٥)، والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: ٦٧١هـ)، تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، (١٠/ ٣٨٦)، وسيد قطب، الظلال، (٤/ ٢٢٦٦).

(٢) ينظر ابن عطية، تفسير ابن عطية، (٣/ ٥٢٥)، والرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ٤٧٥).

وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴾ [الكهف: ٥٧]، فمن جاءه الهدى والآيات الهادية ثم أعرض عنها وضل سعيه في الأرض، فسيكون هذا الضلال خاتماً على قلبه حاجزاً له عن الهداية.

ويتبين ميما سبق كيف نبهت الآيات على قيمة الهدى وضرورة اتباعه والسعي له حتى يرتقي المسلم في درجات الإيمان، وفيها التحذير من الإعراض عنه ووضع الموانع في طريقه مما ينتج الضلال. وبلا شك فهذه القيمة إن تأصلت في نفوس القائمين على النهضة كانت وقود حركتهم وسبب نهضتهم، وهذا متحقق واضح في نماذج سورة الكهف كفتية الكهف المؤمنين، وصاحبُ صاحبِ الجنتين الصالح، ورفيق موسى عليه السلام المصلح، وذو القرنين الملك العادل، فالهدى كان هو المحرك الأول لنهضتهم، والقيمة العليا فيها.

- **ثانياً: الحق**

قيمة الحق هي قيمة الوجود الأساسية، فحتى المخالف لطريق الحق يدعيه، والكل يزعم قرباً منه، وما ذاك إلا لأن الإنسان مجبول ومفطور على معرفة الحق، وإن تلوثت فطرته أو فسدت تصوراته، إلّا أن الحق للإنسان أوضح وأبلج، ومن هنا كانت قيمة الحق هي القيمة التي يتحاكم إليها البشر ليظهروا إنسانيتهم، مع التحفظ على بعض ما تلبس هذه الإنسانية من أدران - خاصة في الزمن الحاضر - والتي ألصقت بالحق وهو منها براء.

وأما النهضة فمن الضروري لها أن تقوم على الحق في بنائها لأنه قيمة أساسية من مكونات تشكيلها، والمقصود بهذا أن يكون الحق ومقاربة الحق وأداء الحق وموافقته هو مظهر النهضة وسمتها؛ وذلك لتلقى القبول والتوفيق والتمكين.

وترد لفظة الحق في سورة الكهف (٦) ست مرات، في كل مرة منها يظهر جانب من جوانب هذه القيمة يسهم في تشكيل الصورة الكلية لها، والناظر في هذه الآيات يستشف منها الرؤية القرآنية في سورة الكهف لهذه القيمة الأساسية من قيم النهضة الإيمانية، والتي يمكن تلخيصها في القواعد الأساسية الآتية:

ـ تقرير أن الحق من الحق سبحانه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [الكهف: ٢٩]، فالله سبحانه وتعالى الحق، وما ينزل من كتبه هو الحق، وما يرسل من رسل فبالحق وللحق، وحقائق هذا الوجود ومخلوقات هذا الكون شاهدة بوحدانيته واستحقاقه للعبادة، وهذا أصلٌ للحياة ومصدرٌ للسعادة والحياة الطيبة فيها، وهذا ركن النهضة الأول كما مر سابقاً.

ـ إثبات حقيقة أن كلام الله وقرآنه هو الحق، يقول عز وجل: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الكهف: ١٣]، فقصص قرآنه؛ بله كل قرآنه الكريم حق كما في الإسراء: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، فلا ريب فيه ولا شك، ولا يدخله زيغ ولا ضلال، ولا مبدل لكلماته، وفي هذا طمأنة لأهل النهضة أن مصدر نهضتهم (كتاب الله العزيز) هو الحق صرفاً، فلا يقبلون بغيره دستوراً ولا هادياً[1].

ـ الإيمان بالله سبحانه هو حقيقة هذا الوجود الكبرى، يقول سبحانه: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الكهف: ٤٤]، مبيناً في هذه الآية الكريمة أن موالاة الله، وطاعته، واتباع أمره، هي حقيقة الفوز ومظنّة النجاة، وبغير هذه الحقيقة فالخسران والهلاك والمآل البئيس في الآخرة، وفي تقرير هذه الحقيقة راحة لقلوب

---

[1] ينظر الطبري، جامع البيان، (١٧/ ٦١٥)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٥/ ٢٧١).

صناع النهضة بصدق توجههم، وقوة لهم في ممارسة حقوقهم وأعمالهم، وتأييداً لحركتهم لأجل دين الله، ونهضة أمة الإسلام، وخير الإنسانية والأرض.

_ الإيمان بالبعث والنشور من حقائق الحياة، وهي مبعث التوازن والصلاح، ودافع عمل الخير والرشد في الدنيا، يقول سبحانه وتعالى مبيناً سبب إيراد قصة أصحاب الكهف، وهو بذاته سبب حدوثها أصلاً:(١) ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ [الكهف: ٢١]، فتقرير حقيقة البعث والحساب، وأنه سبب وجود للحياة، ومآل لها؛ هو ما يبعث في الناس محبة الحق والرغبة في اتباعه، وهو ما يمنعهم من اقتراف الذنوب، ويحول بينهم وبين المعاصي، وهذه القيم من أهم المرتكزات والنتائج التي تطمح النهضة القرآنية لتحقيقها على ظهر هذه البسيطة.

_ التحذير من تصرف بعض المنحرفين عن الحق، يقول تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾ [الكهف: ٥٦]، فمنبع الضلال والكفر والشرك والإلحاد، وما يتبعها من انحراف ومعاصٍ وفساد وظلم، إنما كلها مسميات للباطل عدو الحق، ويجادل أصحاب هذا الباطل به الحق ليغلبوه بزعمهم، ولكن الله غالب على أمره فالحق يعلو ولا يعلى عليه، وكلمة الحق واضحة في هذه الأرض بيّنة،[٢] ومصير أهل الباطل هؤلاء معروف ومرسوم، والنهضة القرآنية بحملها لقيمة الحق في التصور والسلوك هي العدو الأول لأهل الباطل، وهي حاملة راية الحق والممهدة لإقامته في المعمورة باسم الحق سبحانه.

---

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، (١٧/ ٦٤٠)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٥/ ٢١٤).

(٢) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ٤٧٦،٤٧٥).

ـ بيان مآل الحق ونتيجته، فبالحق قوام الأرض، وإذا ظهر الفساد وانتشر الباطل وقلَّ الحق فخراب الأرض واقع: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]، وهذا الوعد الرباني بنهاية الأرض هو الختم الرباني لأعمال العباد الصالح منها والفاسد، فيعلم أهل الحق أن بضاعتهم منه مصيرها الفوز والفلاح، ويتيقن أهل الباطل أن خسرانهم هو الجزاء الأمثل على تنكبهم سبيل الحق وإعراضهم عنه.

وباجتماع هذه الحقائق الربانية الأساسية للحياة وتمثلها في تصور صناع النهضة، وإيمانهم بها تتشكل نهضة الأمة القرآنية متينة واثقة، وتستوي على سوقها قائمة على الحقائق الوجودية كالإيمان بالله وبالبعث وباليوم الآخر، وبصدق كلام الله ومصدريته للحقائق، وبأن الانحراف عنه إلى الباطل مغبته الخسران والهلاك، فتقوم النهضة القرآنية بذلك على قيمة الحق تصوراً وسلوكاً.

● ثالثاً: الرشد

الرشد الهداية والدلالة والتوفيق، والعقل والإدراك في بعض معانيه، وهو قرين الحق والوضوح، وخلاف الغيّ والضلال،(١) يقال للغلام إذا عقل ووعى رشد، وتوصف عملية الإرشاد بالتعليم والتوعية، وهو في كل معانيه يدور حول صفة حسنة لتزكية النفس ورقيها.

والرشد من حيث هو قيمة قرآنية يمثل سبيل الهداية والحق؛ فوظيفة أنبياء الله ورسله ملخصةٌ بعملية إرشاد الخلق، والأمة الراشدة والنهضة الراشدة والخلافة الراشدة كلها أوصاف لتزكية الموصوفات المقرونة بها وفضيلتها على غيرها؛ بخاصية اهتدائها بنور الله سبحانه وإرشاداته.

---

(١) ينظر الأصفهاني، المفردات، (٣٥٤)، وابن منظور، لسان العرب، (٣/ ١٧٦،١٧٥)، والمعجم الوسيط، (١/ ٣٤٦).

وفيما يأتي عرضٌ للقواعد المستخلصة من سورة الكهف المحددة للرشد قيمةً مهمةً من قيم النهضة الإيمانية:

ـ الله سبحانه مصدر الرشد، ولذا نجد فتية الكهف يبتغون الرشد منه سبحانه، ويدعونه طالبين تهيئته لهم في كهفهم: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، وبذا يتضح أن الله سبحانه هو ملهم الرشد ومانحه ومعطيه.

ـ العلم دليل الرشد وموجبه، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، فموسى الكليم عليه السلام يبتغي التعلُّم ليزداد رشداً، فالعلم هو سبيل الرشاد وباعثه، والجهل عدو الرشد ومانعه، والنهضة أحوج ما تكون اليوم إلى عناق العلم ابتغاء للرشد، وهي كذلك في أشد حالاتها حاجة لنبذ الجهل وما ينتج عنه من ضلال وباطل، والرشد هو سبيلها في الحالتين.

ـ الهداية طريق الرشد وسبيله، يقول الله عز وجل: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، فهذا بيان رباني بضرورة اتباع سبل الهداية للوصول إلى حالة الرشد أو الاقتراب منها، فالرشد غاية مبتغاة؛ ووسيلتها الاهتداء بنور الله لزيادته في النفوس، وتمكّنه من القلوب، ويشكل الرشد بذلك قيمة ضرورية لوجود الأمة ونهضتها.

ـ الضلال عدم الرشد وعدوه، يقول الله سبحانه: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، فمن سلك سبل الهداية نال الرشد وحصله، ومن تنكب طريقه فهو الضال البعيد عن الرشد، وبما أن الهداية

هي طريق الرشد فكذا الغواية والضلال سبيل الغي وعدم الرشد، وهذا تحذير لصناع النهضة كي يتبعوا سبيل الرشد مهتدين، ولا يكونوا من الغواة الضالين.

_ ضرورة الولي المرشد لتحقيق النهضة، واتضحت هذه القاعدة من اقتران الرشد بالهداية والعلم، فالهداية تحتاج إلى توفيق وسداد من الهادي سبحانه صاحب الرشد ومانحه، وتحتاج الدلالة والإرشاد من رسول أو معلّم، كما يحتاج العلم لأستاذ شارح ومبين، ويظهر تطبيق هذا في أنموذج موسى عليه السلام المسترشد بالعبد الصالح صاحب العلم اللدني والرحمة الربانية، فلا غنى للنهضة عن المفكرين الراشدين، والمعلمين المرشدين، وإلا صار طريقها وسلوكها متشتتاً متخالفاً ومتناقضاً كما هو حاصل - لشدة الأسف - في واقع الأمة اليوم حين تنكبت طريق الرشد وتعالت على استرشاد علمائها الراسخين وحاربتهم.

وهكذا شكلت آيات سورة الكهف صورة هذه القيمة الربانية، وأظهرتها جلية واضحة، فالرشد صنو الحق وقرينه، وعدو الضلال والباطل، ودليله العلم، وطريقه الهداية، وهو نور من الله يقذفه في قلوب عباده المؤمنين، وبهذا يتقرر أنه لا محيد للنهضة القرآنية عن رفع لافتة الرشد عنواناً لها، وقيمة إيمانية تحملها لتنشرها على الناس وتنثرها في الحياة وتزرعها للعالم.

• رابعاً: الخير

الخير سمة الفضيلة وكل ما يحب من الأمور، وهو قيمة لكل ما يرغب فيه الكل، كالعقل والنفع، وهو خلاف الشر، ويأتي مطلقاً، أو يكون مقيداً قريناً للمفاضلة والاصطفاء (الاختيار) كخير البشر، أو خير من كذا، أو خير الموجود(١).

---

(١) ينظر الأصفهاني، المفردات، (٣٠١)، وابن منظور، لسان العرب، (٤/ ٢٦٤)، والمعجم الوسيط، (١/ ٢٦٤).

وبعيداً عن خلاف المتكلمين والمفسرين وغيرهم في طبيعة الخير، وكونه نابعاً من الشيء المختار أم من اختيار الناس له،(١) فأعتقد أن مخرج هذه المسألة بكل اختصار إن الخير هو ما اختاره الله سبحانه، فهو الأعلم والأحكم بما ينفع الناس ويفيدهم، فإذا اختار شيئا ووصفه بالخيرية فلا نعدوه ولا نتجاوزه؛ وفي ذلك حسم لمادة النزاع وطمأنينة للمؤمنين.

وبما أن الخير هو ما اختاره الله ورضيه لنا فالمطلوب أن نبحث في كلام الله سبحانه في الذكر الحكيم عن أصول هذا الخير وفروعه وعناصره ومتعلقاته، وما يهم في هذا المقام هنا هو حديث سورة الكهف عن الخير فيما يتعلق به قيمةً إيمانيةً تصوريةً من قيم النهضة القرآنية، وفيما يأتي بيان القواعد الأساسية لقيمة الخير بحسب آيات سورة الكهف:

_ طمع ابن آدم في تحصيل الخير لا ينقطع، وجاء تقرير هذه الحقيقة على لسان صاحب الجنتين المترف: ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]، فقد ظن بغروره أن الخير سمة ملازمة له، فبما أن نصيبه من الخير كان كبيراً وكثيراً فبالطبع سيكون الخير حليفه وقرينه في الآخرة بزعمه،٢ وهذا منطق الماديين في كل زمان ومكان يعميهم تحصيل الخير الدنيوي عن ملاحظة حقيقة انقطاع الدنيا وانتهائها، وأملهم هذا ممدود بحبال أطماع النفس وأهوائها، وحبال تزين الشيطان وتغريره، ونسوا أن مانح الخير ومانعه سبحانه لهم بالمرصاد.

_ الأمل بما عند الله هو الخير، وهو التقرير الرباني الذي أجاب على النظرة المادية في النقطة السابقة، ووردت هذه الحقيقة على لسان الصاحب المؤمن

---

(١) المسألة مبسوطة في كتب العقيدة والكلام وبعض التفاسير، ينظر مثلاً البراك، شرح العقيدة الطحاوية، (٢٤٥-٢٤٨).

(٢) ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٥/ ٢٢٢).

لصاحب الجنتين ذو النظرة المادية سابقة الذكر في نصحه له: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ [الكهف: ٤٠]، فأرشده إلى أن الله تعالى هو من يعطي ويأخذ ويقسم ويقدر الخير، وأن الإيمان به واتباع منهجه هو السبيل لتحصيل الخير، وأن الأمل بما عنده سبحانه هو الخير الدائم الذي لا ينقطع.

وبينت آيات سورة الكهف في هذا الجانب أشكالاً متعددة لخير الله الدائم، بيانها فيما يأتي:

- الثواب والعاقبة الحسنة من أعظم الخير، فقد جاء وصف هذه الخيرية العظمى مرتين بصيغة التفضيل (خيرٌ) في آية واحدة لبيان أهميتها وقيمتها: ﴿ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴾ [الكهف: ٤٤].

- العمل الصالح ومآلاته أرجى أبواب الخير، وجاء التأكيد عليه مرتين - كسابقه - بصيغة التفضيل (خيرٌ) كذلك، وهذا لبيان أن الخير العميم الباقي إنما هو في عمل الصالحات: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ [الكهف: ٤٦].

- استبدال الطغيان بالتزكية هو من أهم أبواب الخير، وظهر ذلك في تفسير العبد الصالح لسبب قتل الغلام الطاغي: ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا﴾ [الكهف: ٨١]، وفي ذلك إشارة إلى أن التزكية للنفوس وقتل طغيانها هو السبيل لتحصيل الخيرية والبقاء والقرب من الله سبحانه، وهذا ما يتحتم على النهضة أن تسعى في تحصيله وتمكينه.

ويتضح بهذه العناصر الثلاثة لخير الله سبحانه أن تحقيق الخير لنهضة الأمة ينبغي أن يقوم على السعي في تحصيل الثواب والعاقبة من الله سبحانه، وذلك

وفق الالتزام بخيرية العمل والأداء، وبتزكية النفوس وقتل طغيانها سبيلاً لنيل الخير التام الباقي من الله سبحانه.

ـ التمكين هو الثمرة الخيِّرة للنهضة، وترد هذه الحقيقة على لسان ذي القرنين في رده على من أرادوا أن يجعلوا له الأموال لبناء سد يمنع عنهم الفساد، فجاء جوابه لهم: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾[الكهف: ٩٥]، وفي هذا بيان أن الأسباب الربانية من إيمان وهدى وعدل وحق ورشد وما إلى ذلك مما مكن الله ذي القرنين فيه خير من أسباب المادة والمال التي يطمع الناس في تحصيلها،[١] وهذا ما ينبغي أن يكون سبيل النهضة ومبتغاها؛ فالتمكين هو باتباع أسباب الله سبحانه لا بتحصيل الأموال وكنزها.

وخلاصة القول أن الخير قيمة يوصف بها ما اختاره الله من عمل وثواب وإنسان، فخير آمال الإنسان وأطماعه ثواباً وعقبى ما وافق شرع الله، كما أن خير الأعمال ثواباً وأملاً هي أكثرها صلاحاً، وخير الناس أكثرهم تزكية لنفسه وأبعدهم عن الطغيان والكفر، وعناصر الخير هذه هي أدوات تمكين النهضة في الأرض، والتي هي خير ثمار النهضة.

• خامساً: الحُسن

الحُسن وصف لكل مبهج مرغوب فيه، وهو نعت لكل ما يسر الإنسان، واستحسان الحسن قد يكون بالعقل أو بالحس أو بالهوى، وذلك بحسب المستحسَن أو المستحسِن وطريق تذوقه وأسلوب الإحساس به، والحُسن خلاف القبح، وقرين الجمال(٢).

---

(١) ينظر القاسمي، محاسن التأويل (٧/ ٦٧).

(٢) ينظر الأصفهاني، المفردات، (٢٣٥)، وابن منظور، لسان العرب، (١٢/ ١١٤)، والمعجم الوسيط (١/ ١٧٤).

وكما سبق أن قلت في الخير كذلك أقول في الحسن، فهو ما حسّنه الله سبحانه وشرعه، وضده ما قبحه الله سبحانه في شرعه فهو القبيح، وما رسالة الرسل وإنزال الكتب إلا وسيلة لبيان ما حسّنه الله وفضّله وقبله مما قبّحه وقضى برذالته وسوئه ونهى عنه.

والحُسن في النهضة هو المظهر الخارجي لها، واتصاف النهضة بالحُسن هو ثروة عظيمة ومكسب لها، فإذا دخل الحسن في تصوراتها وسلوك أبنائها، وإذا أصبح السمة البارزة لبنائها وواقعها؛ فتلك هي القيمة التي تحببها إلى قلوب أبنائها، وتقربها إلى الناس من غيرهم، وبذلك تكون تلك القيمة من أهم المؤيدات الربانية للنهضة.

وفيما يأتي عناصر هذه القيمة ومفرداتها الأساسية التي تحدثت عنها آيات سورة الكهف الحكيمة:

_ مقصد الوجود ابتلاء الخلق للتنافس في حيازة الحُسن، وتجد تقرير هذه الحقيقة الوجودية في قوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، فكل ما على الأرض هو مادة الاختبار لتحصيل الحُسن في الأعمال، والأحسن عملاً هو الأنجح في معركة الحياة وهو الأقدر علة صناعة النهضة.

_ الحسن هو القيمة الباقية التي لا تنتهي، وبقاؤها مرهون بإتقانها، وبأن تكون وصفاً عاماً لأعمال الإنسان، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، فالتنافس على الإحسان في العمل هو مظنة الخلود والبقاء الذي يرغب فيه البشر ويطلبونه.

_ المآل الحسن هو جزاء الحسن في الدنيا، فمن بداية السورة يبين الله سبحانه أن هذا القرآن يبشر المؤمنين: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢]، وما هذا

الأجر الحسن إلا المآل الحسن متناسباً مع حسن الإيمان بنفي الشرك منه، وصلاح العمل وإحسانه في الدنيا، ولهذا كانت الجنة الحسنى هي هذا الأجر المناسب للإحسان في الدنيا: ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الكهف: ٨٨]، ويصف ربنا تبارك وتعالى هذا الأجر بقوله: ﴿ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٣١]، فهو نعم المثوبة والجزاء المتناسب مع ما يقدمه المؤمن من صالح العمل في الدنيا.

_ طريق النهضة هو السلوك الحسن، فها هو ذو القرنين يخيره ربه في رحلاته لنشر نهضته الإيمانية بالمنهجية التي سيختارها في تعامله مع القوم الذين وجدهم عند مغرب الشمس: ﴿ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ [الكهف: ٨٦]، فيكون اختياره أن يتعامل معهم بنظام الموازنة في إثابة المحسن ومكافأته، وفي عقاب المخطئ وردعه: ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ [الكهف: ٨٨]، وذلك هو الطريق الأمثل للنهضة في ارتقائها وتوازنها وتقريرها لأصول التعامل فيما بين الأمم، وهي بذلك تمكن لنهضتها وحضارتها.

_ التحذير من عدم إصابة الحُسن، ففي البشر من يخطئ في فهمه للحسن وإصابته، فتجده يتخبط بعيداً عنه، وربما تجده مرتكباً للسيئ ومقيماً عليه، مدعياً أنه الحسن الذي يجب عمله، يقول رب العزة واصفاً لحال هؤلاء:(١) ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٤]، وما هذا الفعل إلا نتيجة اتباع الهوى وتزيين الشيطان، وإلا فالحسن هو ما حسنه الله تعالى ودعا

---

(١) ينظر الزحيلي، التفسير الوسيط، (٢/ ١٤٥٤)، ودروزة، التفسير الحديث، (٥/ ١٠٨).

إليه، وأما ما تظنه النفس وتحسبه تبعاً لهواها حسناً فإن لم يوافق ما جاء من عند الله فليس بحسن وإن ظهر فيه ذلك وإن ظن فيه، ففهم ومعرفة حسن الأشياء وقبحها أو سوئها منوط بالحواس وطرق المعرفة، وهي عاجزة عن تقرير ذلك دون معونة الله سبحانه وتحسينه للحسن وتبيينه للقبيح.

وهكذا يتبين من آيات سورة الكهف الحكيمة كيفية تكوين هذه القيمة وتمكينها في نفوس صناع النهضة وأعمالهم، فهي القيمة التي يتسابق على حيازتها أهل الرقي والحضارة في الأرض، وعلى مقدار التمكن منها يتحصل الأجر الحسن والجنة الحسنى في الآخرة، ولا بد بناءً على هذا أن يكون الحسن وصفاً لأعمال النهضة وسلوك أبنائها، وأن يقاربوا الحُسن الحقيقي المتضمن في كتاب الله وشرعه، وأن يحذروا من بريق الحُسن الزائف الذي يزينه الهوى وحسبة النفس، وبذا يحققون لنهضتهم سمة عامة من الحسن تحببها للخلق والعالم.

• سادساً: الإخلاص مع الصواب

الإخلاص مع الصواب... هاتان القيمتان المرتبطتان معاً تشكلان بهذا الترابط السمة المميزة الأبرز للنهضة القرآنية، فقد تكرر في القرآن الكريم هذا التركيب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في خمسين موضعاً،(١) وارتباط الإيمان بالعمل الصالح فيها هو دليل هذه القيمة القرآنية؛ فالإخلاص هو روح الإيمان، والصواب هو صرح العمل الصالح.

الإخلاص بوصفه قيمة من قيم النهضة يعني أساسها وهدفها، ومحركها ودافعها، وهو الميزان الذي يؤثر في صحتها وخطأها، وبدون الإخلاص تفقد النهضة القرآنية ميزتها وقيمتها، وتغدو مجرد حركة اجتماعية، أو ثورة شعبية، أو

---

(١) ينظر عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (٥٩٣-٥٩٩).

فوضى غوغائية لا طائل وراءها ولا ثمرة، فالإخلاص هنا هو البوصلة التي تشير إلى هدف الحركة والتفاعل والنهضة.

والصواب هو القيمة المعيارية المقيِّمة لأهداف النهضة وأركانها ووسائل تحقيقها، فصدق السعي لتحقيق هذه الأهداف، وصحة الالتزام بإقامة هذه الأركان، وحسن أداء هذه الوسائل؛ كل ذلك لا سبيل له إلا بالصواب قيمة جوهرية أساسية لكل من أهداف النهضة وأركانها ووسائلها.

ولا يكفي الإخلاص وحده ليكون قيمة أساسية للنهضة، كما لا يكفي الصواب وحده كذلك ليكون هو قيمة النهضة الأساسية؛ بل يجب أن يرتبط الإخلاص بالصواب ليشكلا معاً القيمة الأساس لحركة النهضة القرآنية؛ فشهادة "لا إله إلا الله" لا تتحقق إلا بشهادة "محمد رسول الله"، والإيمان لا يكتمل إلا بعمل الصالحات، والفكرة لا تتم إلا بتطبيقها وتنفيذها، وكذلك الإخلاص في النهضة لا تظهر قيمته إلا بترابطه واتساقه مع صواب العمل، ولذا وجب أن تكون قيمة الإخلاص وقيمة الصواب مرتبطتين بالمعية.

وفي سورة الكهف جاءت هذه القيمة المركبة حاضرةً ساطعةً في السورة كلها من افتتاحها إلى خاتمتها، ففي مفتتحها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١ - ٢]، وفيه تقرير بأن هذا القرآن يبشر بالأجر الحسن لمن جمع بين الإيمان (وروحه الإخلاص)، وبين العمل الصالح (وقوامه الصواب)⁽¹⁾.

---

(١) ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٥/ ٢٠٣)، والبقاعي، نظم الدرر، (١٢/ ٧)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٥/ ٢٥٠).

وفي خاتمة السورة الكريمة يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وفيه التقرير أيضاً بأن مقصد إرسال الرسول عليه الصلاة والسلام هو إقامة الناس على حقيقة الإيمان بالله وأداء الصالحات للنجاة يوم لقائه سبحانه،(١) وتحقيق ذلك يحصل بالجمع بين إخلاص الإيمان وصواب العمل وصلاحه كما لا يخفى.

وهكذا يتجلّى تناسق فاتحة السورة مع خاتمتها في بيان أن سبب نزول القرآن الكريم وإرسال الرسول عليه الصلاة والسلام هو تحقيق إخلاص الإيمان وصواب العمل، وأنهما صراط الله المستقيم الذي تترتب عليه النجاة في الدنيا والآخرة، وهذا هو روح النهضة القرآنية وقيمتها العليا.

وليست فاتحة السورة وخاتمتها بمنقطعتين عما بينهما من آيات وقصص؛ بل إن الإخلاص مع الصواب قيمتان تراهما مبثوثتين في آيات السورة الكريمة كلها، ولن أعدو الحق لو قلت إنهما قيمتان مركزيتان في آيات القرآن الكريم كله، وفيما يلي بيان حديث سورة الكهف عنها:

_ الإخلاص مع الصواب في قصة أصحاب الكهف والتعليقات التي تليها، المتمعن في قصة هؤلاء الفتية يجد أن المحرك الأول لأحداث قصتهم هو مخالفتهم لكفر قومهم، وثباتهم على الإيمان بالله في وسط بيئة الكفر، مما اضطرهم إلى اللجوء إلى الكهف؛ طلباً لرحمة الله وحمايته، وفترة كمون لتحصيل الرشد والترفق بالأمور.

---

(١) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ٥٠٤)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥/ ٢٠٥)، وسيد قطب، الظلال، (٤/ ٢٢٩٧) جزء (٤).

ولقد كان حادي فتية الإيمان في هذا الفعل إخلاصهم لله ولدينه، فكان فعلهم هذا دليل إخلاصهم وصدقهم، وكان إخلاصهم لله ودينه هو دافعهم لإصابة العمل بما قاموا به من حماية لدينهم ولجوء إلى رحمة الله: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٣ - ١٦].

وكذلك في الآيات التي أعقبت هذه القصة جاء التأصيل لقيمة الإخلاص والصواب؛ وذلك في سلسلة الأوامر التزكوية الإيمانية والتربوية العملية المعقبة على هذه القصة في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ٢٢ - ٢٤]، فترك المراء، والإيمان بمشيئة الله، والذكر بعد النسيان والغفلة، ودعاء الله والرغبة بالقرب من رشده وهدايته، كل ذلك أعمال صائبة مبنية على إخلاص صاحبها وإيمانه، وموافقة لأوامر الله فهي صوابٌ مخلَص.

وكذلك في قوله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦) وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا (٢٧) وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٦ - ٢٨]، مزيج من سلسبيل الإخلاص الإيماني، مع تسنيم الإصابة في الأعمال الصالحة، تظهر في ما ورد في الآيات المباركة من إرشادات وتوجيهات؛ ففيها دلائل الإيمان بالله فيما تراه العيون وتدركه الأسماع، وتوحيد الله وإخلاص العبودية له بلا إشراك، وتلاوة القرآن، والصبر، والثبات مع جماعة الإيمان، والاستمرار على الإخلاص لله، وعدم الافتتان بزينة الحياة الدنيا، والبعد عن الغفلة واتباع الهوى، وكل ذلك يجتمع فيه إخلاص النية لله مع صواب العمل وموافقته للأوامر الربانية.

وجاءت خلاصة ما تقدم من أعمال في قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠]، إذ يُطَمئِن الله سبحانه عباده (أهل الإخلاص مع الصواب) بأن أجرهم محفوظ.

ـ الإخلاص مع الصواب في قصة صاحب الجنتين وما يليها من آيات، ويظهر في هذه القصة أنموذج المؤمن المحافظ على إخلاصه لله ولدينه واستقامته على الصواب في أفعاله على الرغم من قلة ذات يده، وضعف إمكاناته، وذلك في مقابل أنموذج المقصر البعيد عن الإخلاص الواقع في الشرك والأنانية والغرور، والغارق في الخطأ بنظرته المادية وكفره باليوم الآخر، ثم ليظهر في ختام القصة مآل هذا ومصير ذاك، وهذا ما تقرره الآيات المعلقة على ختام القصة في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٣ - ٤٦]، حيث جاء التعليق "مبيناً للقيم الزائلة والقيم الباقية"،(١) وأثبت البقاء للأعمال الصالحة والتي لا شك ينبع صلاحها من إقامتها على الإخلاص إيماناً والصواب عملاً.

وفي الآيات التالية جاء الحديث "يتضمن عدة مشاهد متصلة من مشاهد القيامة، تتوسطها إشارة إلى قصة آدم وإبليس، وتنتهي ببيان سنة الله في إهلاك الظالمين، ورحمة الله وإمهاله للمذنبين إلى أجل معلوم"،(٢) وغير خافٍ أن هذه النتائج معتمدة في أساسها بحسب ما تقرر من تلازم الإيمان والإخلاص فيه، مع صواب العمل وصلاحه، فهما غاية الحياة الدنيا والقيمة الحقيقية فيها.

_ الإخلاص مع الصواب في قصة موسى مع العبد الصالح، والمتأمل في أعمال العبد الصالح يجدها مبنية على صواب العمل - وإن بدا للناظر لأول وهلة غير ذلك - إلا أن بيان الأسباب المخفية وراء هذه التصرفات أثبت أنها محض الصواب، وتبين فوق ذلك أنها مبنية على إخلاص صاحبها عمله لله، وقائمة على ابتغاء الأجر منه بفعل ما أراده سبحانه منه، حيث يقرر العبد الصالح في نهاية المطاف حقيقة أفعاله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

_ الإخلاص مع الصواب في قصة ذي القرنين والآيات التي تلتها، فأما ذو القرنين فحاكم صالح وقائد فاتح يسعى في الأرض من مطلع شمسها إلى مغربه متبعاً للأسباب وناشراً لدين الله، ويظهر من رحلاته إخلاصه لله وصواب

---

(١) سيد قطب، الظلال، (٤/ ٢٢٥٨).

(٢) سيد قطب، الظلال، (٤/ ٢٢٥٩).

أفعاله التي قام بها، مثال ذلك في حكمه على قوم مغرب الشمس: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٧ - ٨٨]، فهو يقرر ميزان النجاة والإحسان مستنداً إلى قيمة الإخلاص مع الصواب، ومن تعداه فقد ظلم وسوف تكون عاقبته العذاب في الدارين.

وقل مثل هذا في بناء السد؛ فهو عين الصواب للحماية من الفساد، وظهر إخلاص ذي القرنين فيه بعدم أخذه الأجر على بنائه: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥]، وجمع بذلك الإخلاص في المقصد والهدف، إلى جانب الصواب والصحة في العمل.

ثم تنطلق الآيات بعد ختام قصة ذي القرنين إلى بيان مشهد عظيم من مشاهد يوم القيامة، ذلك هو مشهد العرض والحساب، حيث يبرز التقابل بين نتيجتين ومصيرين؛ نتيجة الأخسرين أعمالاً الضالين، وهم من حبطت أعمالهم لخلوها من الإخلاص والصواب: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا (١٠٣) ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا (١٠٦)﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٦].

والنتيجة الأخرى مصير المؤمنين الجامعين بين الإخلاص في النيات والمقاصد والصواب في الأعمال وصلاحها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧ - ١٠٨].

وعلى هذا ترى روح الإخلاص مقترنة بصواب العمل في سائر آيات سورة الكهف الكريمة؛ ليتقرر بذلك أن الإخلاص مع الصواب هما القيمة الأساسية للنهضة القرآنية، وأنهما المعيار الذي تحتكم إليه النهضة، والميزان الذي توزن به حقيقتها، والسمة العامة التي لا تتخلف عن النهضة القرآنية لأمة الإسلام.

وفي خلاصة الحديث عن القيم الإيمانية (التصورية) للنهضة أرى أن هذه القيم بمجموعها (الهدى والحق والرشد والخير والحسن والإخلاص مع الصواب) تشكل الميزان القيمي والمعيار الإيماني الضابط لحركة النهضة، فهي السمات المميزة للنهضة القرآنية، وبنقصان أي قيمة منها تتأثر هذه النهضة وتفقد خاصية مهمّة من خاصياتها التي تميزها عن غيرها وتشكل تفردها وقيمتها.

فالنهضة المبتغاة لأمة الإسلام محملة بقيم الإيمان؛ فمظهرها الهدى، وسبيلها الحق، وعنوانها الرشد، وغايتها الخير، وسَمتُها الحسن، وميزتها الإخلاص مع الصواب، كيف لا وهي نهضة ربانية قرآنية إسلامية إنسانية.

وغير بعيد عن هذه القيم الإيمانية الضابطة لحركة النهضة القرآنية مجموعة أخرى من القيم المستندة إلى هذه القيم، والتي تشكل بدورها مظاهر هذه النهضة وأنموذجها الواقعي، تلك هي القيم العملية السلوكية للنهضة؛ تلك القيم البانية لمجتمع النهضة، والمنظمة لعلاقاته، والمحافظة على وجوده واستمراره، وهذا ما سيبحث في المطلب الآتي بإذن الله سبحانه وفضله.

المطلب الثاني: القيم العملية (السلوكية) للنهضة في سورة الكهف

نُسجت آيات سورة الكهف كما هو معلوم من القصص الأربع والتعليقات عليها وفيما بينها، وتخلل هذا النسيج القصصي كثير من القيم العملية السلوكية المتعلقة بالنهضة حملتها النماذج والشخصيات التي تحدثت عنها قصص السورة، وسبق التعرض لكثير من هذه القيم مضمنّة في ثنايا الحديث عن أركان النهضة ووسائل تحقيقها، ولأهميتها وضرورتها أفردت في هذا المطلب.

وحيث إن النهضة تحتاج قيماً عمليةً تسهم في بنائها، وقيماً أخرى تنظم مجتمع النهضة وتنسق سلوك أبنائه، وتتطلب قيماً تحافظ على مسيرة النهضة واستمراريتها، فقد اجتهدت في توزيع القيم العملية التي استنبطها من السورة الكريمة على ثلاث مستويات كما يأتي:

١. قيم بناء مجتمع النهضة، والتي هي أساس تكوين مجتمع النهضة ومعيار نجاحه، وتشكل سماتاً عامة له، وخصائص مميزة لنهضته، وتتمثل في أربع قيم رئيسة هي: (الموالاة، الثبات، الصبر، والرحمة).

٢. قيم تنظيم مجتمع النهضة، وهي تلك القيم المنسقة لمجتمع النهضة، والمحددة لكيانه، والمنظمة لأعمال أفراده، وتمثلت في أربع قيم هي: (الصحبة، المسؤولية، التلطف والرفق، المشاركة أو نظام المشاريع).

٣. قيم المحافظة على مقدرات النهضة؛ فتكوين النهضة ونجاحها ليس في وصولها إلى التحقق فحسب، وإنما في ديمومتها واستمراريتها، وهي لذلك تحتاج مثل هذه القيم التي تحافظ على وجودها وبقائها، وقد تمثلت هذه القيم في أربع قيم أساسية هي: (حماية المقدرات وحفظ الثروات، إزالة العقبات، شكر النعمة، استشراف المستقبل).

وفيما يأتي تفصيل هذه القيم العملية السلوكية التي أرشدت إليها سورة الكهف:

قيم بناء مجتمع النهضة	قيم تنظيم مجتمع النهضة	قيم المحافظة على مقدرات النهضة
الموالاة	الصحبة	حماية المقدرات وحفظ الثروات
الثبات	المسؤولية	إزالة العقبات
الصبر	التلطف والرفق	شكر النعمة
الرحمة	المشاركة (نظام المشاريع)	استشراف المستقبل

• أولاً: قيم بناء مجتمع النهضة

وتتمثل بالموالاة والثبات والصبر والرحمة، وفيما يأتي بيان كل قيمة منها وتفصيل الكلام عنها:

- قيمة الموالاة في مجتمع النهضة

الموالاة لغة لها ثلاثة معان في الاستعمال؛ فهي إما المحبة والقرب، أو المتابعة والمعاهدة، أو النصرة والولاء،⁽¹⁾ وهي في الاصطلاح لم تخرج عن هذه المعاني الثلاثة، فتستخدم في الفقه لوصف متابعة غسل أعضاء الوضوء دون فاصل

---

(١) ينظر الأصفهاني، المفردات، (٨٨٥)، وابن منظور، لسان العرب، (١٥/ ٤١٥)، والمعجم الوسيط، (٢/ ١٠٥٨)، والموقع الإلكتروني (http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar) موقع معجم المعاني الجامع - معجم عربي/ عربي.

زمني،(١) وتستعمل في العقيدة بمعنى محبة الله وطاعته ومخالفة أعدائه،(٢) ويمكن أن تكون وصفاً لتعاهد الناس على النصرة والتوافق(٣).

ولفظة الموالاة في القرآن الكريم أكثر ما يدل على المحبة والمودة والاتباع والطاعة، وفي بعض السياقات وردت بمعنى النصرة والتأييد والولاء،(٤) وجاءت في سورة الكهف في خمسة مواطن كلها في موالاة الله (محبته وطاعته) وتوليه (نصرة دينه ومخالفة عدوه) والولاء له (الخضوع له واتباع أمره)، وفيما يلي بيان معالم هذه القيمة المتشكلة من آيات سورة الكهف:

○ الله هو الولي الحق، وقد تقرر هذا في قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الكهف: ٤٤].

○ لا ولي دون الله، فلأنه الحق سبحانه فكل ما سواه موالاتهم باطلة: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦].

○ موالاة غير الله ضلال، لأن ولاية الله للناس مرتبطة بولايتهم له ولدينه ولجماعة المؤمنين به: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف: ١٧].

---

(١) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، ط ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ، (٣٩/ ٢٣٧).

(٢) للتوسع ينظر مقال أبو محمد الجريتلي بعنوان "الموالاة: معناها ومظاهرها"، الموقع الإلكتروني / موقع الدرر السنّيّة (http://www.dorar.net/article).

(٣) المرجع السابق.

(٤) ينظر ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، نشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٧ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، (١٨١- ١٨٥).

○ بئس البديل في الولاية دون الله، فمن شطَّ عن حبل الولاء لله فوليه الشيطان: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف: ٥٠]، وسيكون مآل هذه الموالاة وأهلها جميعاً في نار جهنم: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا﴾ [الكهف: ١٠٢].

وبهذه الخطوط العريضة لمعادلة الموالاة في سورة الكهف حيث تقرر أن الله هو الولي الحق المرشد، وأن من اتخذ ولياً غيره فهو ضال؛ بئس ما استبدل به، وبئس مصيره ومآله، أقول بهذه الحقائق المقررة للموالاة بهذه الصورة تغدو الموالاة هي القيمة العليا والعنوان الأول لمسيرة النهضة وحركتها، فهي مع الله ولله وبالله.

فمجتمع النهضة وأفراده أولياء لله طائعون له متبعون لأمره، يسيرون بنوره، ويوالون فيه ويعادون لأجله، وهذا ما يضرب فتية الكهف مثاله في موقفهم من قومهم.

وموالاة أفراد هذا المجتمع الناهض لله وولائهم له تصبرهم عن الوقوع في مستنقع النظرة المادية، والقراءة الخاطئة للوجود الإنساني في الدنيا، فتنعكس قيمة الموالاة عندهم على المقام الأمين فيما بين الإيمان والمادة، متمسكين بنظرة ربانية قرآنية تعطي كل ذي حق حقه، فلا تطغى المادة والدنيا على إيمانهم، وليس إيمانهم خيالياً نظرياً لا يوجد إلا في الكتب؛ بل هو إيمان واقعي يعرف قيمة المادة وموقعها الحق، ومثالهم في ذلك قصة صاحب الجنتين.

وهذه الموالاة لله تحرك المصلحين من أهل النهضة، فيعملون بحسبها على وقاية مجتمعهم وحمايته، فيمنعون الظلم عن المساكين؛ لأن موالاة الله لا تقبله، ويحجزون الظالم عن ظلمه؛ لأنه عدو لله تجب محاربته، ويبنون جدر الحماية لمنع

الاعتداء والظلم عن أبناء المجتمع؛ لأن في ذلك إظهاراً لنصرة الحق وخدمة أهل الإيمان وهم أهل الله وأولياؤه(١).

وقُل مثل ذلك في دافع ذي القرنين لتطوافه في الأرض ورحلاته فيها؛ فبسبب من موالاته لله، ولأجل نشر دينه ومحاربة أعدائه اتبع الأسباب حتى بلغ مطلع الشمس ومغربها، وأظهر موالاته لله بإقامة الأقوام الذين وجدهم في رحلاته على موالاة الله ودينه: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ [الكهف: ٨٧ – ٨٨]، واتخذ الأسباب لصد الفساد ومنعه عن الأرض: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾[الكهف: ٩٥ – ٩٨]، وفي كل ذلك بيان لدور أمة النهضة في إظهار موالاتها لله ومحاربة ما سواه.

وهكذا يتضح كيف تكون الموالاة قيمة مجتمعية هامة من قيم النهضة؛ فبها يتآلف هذا المجتمع كفتية الإيمان في الكهف، وبها يتميزون بنظرتهم الإيمانية للحياة في وجه المادية والكفر، وبولائهم لله يحمون مجتمعهم من الظلم، وينشرون دين الله ويمكنونه فيما حولهم من الأمم والأقوام.

ولا يعني كل ما سبق أن الموالاة هي مبدأ نظري تصوري موقعه القلب أو العقل فحسب، وإنما ظهر من سلوك وأفعال نماذج أولياء الله في سورة الكهف

---

(١) تفكر في مسألتي قتل الغلام وبناء الجدار من أفعال العبد الصالح مثلاً فإنهما كانتا بسبب حماية أهل الإيمان؛ فالغلام قتل لمنعه من ظلم أبويه المؤمنين، والجدار بني لأن أبا الغلامين اليتيمين كان صالحاً، والإيمان والصلاح مظنة موالاة الله، والله يدافع عن أوليائه.

يقرر بالقطع تلازم الولاء لله بالإحسان في السلوك والتعامل مع الله، والنفس، والناس، والعالم، وتلك هي قيمة النهضة الحقة.

- الثبات على مبادئ النهضة

هذه القيمة لم يرد ذكرها صريحاً في آيات سورة الكهف - على عكس القيمة السابقة - وإنما يمكن ملاحظتها والتنبه لها من خلال سلوك أبطال قصص السورة، والمقصود بالثبات بوصفه قيمة أنه الظاهرة الصحيّة للمجتمع المتمثلة بالمحافظة على المعتقد والتصور والدوام عليه، والاستمرار على المبدأ الصحيح، والمدافعة عنه، وحمايته، وعدم التنازل عنه تحت أي ظرف(١).

ولقد كان الثبات من القيم العظيمة في قصص القرآن كله؛ فثبات الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم مضرب المثل؛(٢) وخيرها وأعلاها يتجلى في مواقف حبيبنا المصطفى ﷺ التي ذكرها القرآن الكريم؛ فإن فيها نماذج عديدة تقتدى في حسن الثبات على الإيمان والمبدأ ويتأسى بها، كموقفه في الهجرة، وثباته حين عرضوا عليه الملك والأموال، وثباته يوم أحد، ويوم حنين، وفي حادثة الإفك وغير ذلك(٣).

وفي سورة الكهف نماذج لأشكال مختلفة من الثبات فيما يأتي بيانها:

○ الثبات على الإيمان في وجه الكفر والشرك والعداوة، وهذا واضح في قصة فتية الكهف لا يحتاج مزيد بيان، وإنما يتطلب الاحتذاء والتأسي، ويستلزم حسن الاقتداء بصبرهم وثباتهم، وجاء تلخيص هذه القيمة المقصودة من قصة

---

(١) ينظر الدقور، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، (١٦٢).

(٢) ينظر سيد قطب، الظلال، (٤/ ١٨٣٩-١٩٤٨)، تفسير سورة هود.

(٣) ينظر الخضري، نور اليقين، (٢٠٤،١٤٠،١١٩،٧٢،٣٨).

أصحاب الكهف في الآيات التي تلت ذكر القصة في قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا (٢٧) وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٧ - ٢٨].

فتلاوة القرآن تلاوة الاقتداء والاتباع، وصبر النفس مع المؤمنين المتعلقين بربهم، واستمرارية هذه العاقة على مر الزمن، ثم الحذر من الابتعاد عنه وتجنب المغريات الدنيوية من زينة وهوى وغفلة وضياع (فرط)،⁽¹⁾ كل ذلك هو عناصر وجزئيات منظومة الثبات الإيمانية في قصة الكهف، وهي الحاجة الأساسية المفقودة والمطلوبة لنهضة أمتنا هذا اليوم.

○ الثبات على التصور الإيماني الصحيح في وجه المادية والدنيا، إذ جاءت قصة صاحب الجنتين لترشد إلى كيفية الثبات في وجه المغريات المادية، ولتبين مآل هذا الثبات في مقابل مآل الساقط في حمأة المادة والمال، وكسابقتها فقد تم لُخِّصَتْ حكمة القصة ومقصدها هذا في الآيات التي تلت القصة في قوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٥ - ٤٦].⁽²⁾

○ الثبات على العقيدة في وجه موالاة العدو، والذي أرشد إليه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ

---

(١) سيأتي تفصيل هذه الجزئيات والعناصر أثناء الحديث عن قيمة الصبر التالية.

(٢) يراجع تفصيل الكلام حول المادية في المطلب الثاني من المبحث الثالث في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠]، فالثبات في مواجهة هذا العدو، والحذر من موالاته هو أساس الإيمان بالله سبحانه.

وهكذا تقرر أن الثبات قيمة مطلوبة في وجه التأثيرات السيئة التي تحرف النهضة عن طريقها، فالنهضة تتطلب الثبات على الإيمان في وجه الكفر والشرك، وتحتاج الثبات على النظرة الإيمانية الصحيحة في وجه النظريات المادية، وتستلزم الثبات على الصراط المستقيم في مواجهة العدو الذي لا يغفل.

- قيمة الصبر في تحقيق النهضة

الصبر قيمة أساسية ومهمة من القيم التي أكثر القرآن .الكريم ذكرها والإرشاد إلى دورها، وقرنها مع كثير من أركان الإسلام كالصلاة والصيام والجهاد، ومجرد المرور على الآيات التي ورد ذكر الصبر فيها تؤكد لنا قيمة وعظمة هذا القيمة،(١) ولعل مكتبة التفسير تحتاج لأطروحة أو رسالة لدراسة موضوع الصبر في القرآن الكريم دراسة وافية تبين مفهومه ومقوماته وحيثياته وعناصره.

والنهضة تحتاج الصبر في أول طريقها ومنتصفه وآخره؛ فهو الروح الكامنة وراء إقامة النهضة وصنعها، ولولا صبر الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم ما وصلت الأمة إلى ما وصلت إليه في انطلاقتها ونهضتها وحضارتها.

وأما في سورة الكهف فقد كان الصبر حاضراً إذ هو محرك أساسي في أحداث قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، بالإضافة إلى الحديث عن متطلبات الصبر وآلياته في آية مهمة مركزية من آيات سورة الكهف؛ تلك هي

---

(١) عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (٤٩١-٤٩٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]؛ ففي الآية بيان للأمور التي يحتاجها الصبر حتى يكون ناجحاً مؤدياً لدوره، وفي الآية إرشادات ربانية حكيمة موضحة للوسائل المعينة على الصبر، وأما قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح فتكتمل بها الصورة القرآنية لقيمة الصبر في هذه السورة الكريمة، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

الوسائل المعينة على الصبر ومتطلباته في الآية الكريمة (٢٨) الكهف، وفي قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح:

o البيئة الصالحة: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨]، فلبيئة الدعاة والصالحين تأثير على صبر من يرافقهم، فيقوون صبره ويشدون أزره ويعينونه ويهونون عليه وعثاء الصبر وشدته، والمؤمن قوي بإخوانه كثير بهم، ضعيف وحده قليل، "وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية"(١).

o الإيمان بالله واستمرارية العلاقة معه: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ [الكهف: ٢٨]، فكثرة الدعاء والتعلق بالله سبحانه، والاستمرار على ذلك صباح مساء ويوماً فيوم، كفيل برسوخ الصبر وصيرورته سجية ملازمة لصاحبها، "وإنما الصبر بالتصبر"،(٢) أي باستمراريته والمداومة عليه.

o المقصد الأسمى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ [الكهف: ٢٨]، وأن يكون مقصد الصبر لله تعالى لا لأجل غاية أخرى فيصبح الصبر عندها مجرد

---

(١) جزء من حديث نبوي شريف رواه أحمد، المسند، (٣٦/ ٤٢/ ٢١٧١٠)، والحاكم، المستدرك، (١/ ٣٤٧/ ٩٠٠)، والنسائي، السنن الكبرى، (٢/ ١٠٦/ ٨٤٧)، وأبو داود، السنن، (١/ ١٥٠/ ٥٤٧).

(٢) أثر عن ابن شبرمة أورده البيهقي، شعب الإيمان، (١١/ ٢٩/ ٨١٠٤).

قدرة على التحمل لا يؤجر صاحبها ولا يثاب، فروح الصبر أن يبتغي به صاحبه وجه الله تعالى.

- الحذر من زينة الحياة الدنيا: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، وأكثر ما ينقض الصبر ويمنعه التوجه إلى الدنيا وزينتها، والتولع بتحصيل ملذاتها، فهذا مما يذيب الصبر ويلغي وجوده.(١)

- الحذر من طاعة الغافلين ومن الغفلة: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]، فالغافل عن ذكر الله بعيد عن ميدان الصبر لا سهم له فيه، وإنما يمتلك الصبر من كان ذا همة عالية ذاكراً لربه ودوره وحقيقة وجوده.

- عدم اتباع الهوى وضبط الأمور: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨]، فمن اتبع الهوى وتتبع الشهوات فرطت أموره وتقلبت نفسه في الحياة، حتى يكون مآله انحلال عقد الصبر من يده فليس له جلد على طاعة الله، ولا قوة للبعد عن معصيته، وهما مناط الصبر (فعل الطاعة والبعد عن المعصية)، بل من فرطت أموره لن يستطيع الصبر حتى على تقادير الله سبحانه وتعالى له.(٢)

---

(١) وليس معنى هذا انتقاص الدنيا وما فيها، وإنما المقصود أن لا يجعل الإنسان همه مقصوراً على الدنيا ومادتها، بل لا بد له من الصبر عن بعض ما فيها من لذائذ لا يستطيع تحصيلها، والعمدة في هذا والمخرج حديث المصطفى ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له." رواه مسلم في صحيحه، (٤/ ٢٢٩٥/ ٢٩٩٩)، باب المؤمن أمره كله خير.

(٢) من المعلوم المشهور أن الصبر على ثلاثة أنواع: الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر على أقدار الله. العثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين للإمام النووي، نشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط - ١٤٢٦ هـ، (١/ ١٧٢).

○ المعرفة والعلم: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٨]، فقد ينعدم الصبر ويضعف بقلة العلم والمعرفة، وكلما زاد الوعي والمعرفة والعلم عندك أصبحتْ قدرتك على الصبر وطاقتك فيه أوسع وأكبر، وربما كان الجهل سبباً في الطيش والعشوائية والفوضى وعدم الانضباط، والأكيد أن الصبر المبني على المعرفة والعلم مؤثر مباشر في القوة والكفاءة والتخطيط والتنفيذ والعمل والسعي لتحقيق النهضة وإقامتها.

○ توطين النفس على الصبر: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩]؛ فمقولة موسى عليه السلام هذه تبرز العزم وتوطين النفس على الصبر والتحمل رغم تحذير العبد الصالح له بأنه لن يستطيع الصبر، وفي ذلك إرشاد لمن أراد أن يدخل في زمرة الصابرين بضرورة أن يوطن نفسه على الصبر ابتداءً، وأن يتيقن بوجود صعوبات ومزالق ومتاهات في الطريق تستلزم الصبر وتحتاجه، فلا غنى عنه لطالب العلا، وصاحب النهضة أشد احتياجاً للصبر فالأصل فيه أن يكون الصبر سجية مستقرة في خلاياه المكونة.

ومما سبق يتبين ضرورة بناء الصبر وتحقيقه؛ فهو قيمة عظيمة ومهمة تحتاجها النهضة في سبيل تمكين أهدافها، واستمرارية وجودها، واجتياز عقبات طريقها، ومناجزة عدوها، وتحصيل ثمارها المرجوة في النتيجة والمآل.

- قيمة الرحمة في مجتمع النهضة

وهي قيمة عظيمة من قيم الإسلام ومكوّن رئيس من مكونات المجتمع الإسلامي؛ فهي صفة العظيم جل جلاله: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾]البقرة: ١٦٣]، وصفة النبي القدوة ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وصفة القرآن الكريم: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾

[الإسراء: ٨٢]، وهي لذلك من أهم قيم المجتمع الإسلامي وروابطه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]، بل واشتق منها وصف علاقات الأقارب فيما بينهم فسموا أولي الأرحام: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وفي سورة الكهف ورد ذكر هذه القيمة سبع (٧) مرات، شكلت مجموعة من مظاهر قيمة الرحمة التي تحتاجها النهضة في مسيرتها، وفيما يأتي بيان هذه المظاهر:

o الرحمة في الثبات على الحق واعتزال المنكر، فالرحمة هي الكهف الذي يلجأ إليه المؤمن ليحتمي فيه من البيئة الفاسدة: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، وينشر الله رحمته على الثابتين الصابرين ويهيئ لهم الخير رحمة منه جزاء إيمانهم: ﴿ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، وهذا المظهر تحتاجه النهضة في ثباتها وأول تشكلها، أسأل الله أن يسبغ رحمته على الأمة ويهيئ لها أمر رشد يقيم نهضتها.

o الرحمة في وجود يوم القيامة، فوجوده مما يطمئن المؤمن، ويثبته على طريقه، يقول سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ [الكهف: ٥٨]، فبسبب قضاء الله سبحانه بأن للحساب يوماً كان هذا الإمهال للكافر والمعاند،(١) وهذه الرحمة هي مناط سعي المؤمن لتحقيق نهضة أمته ليقينه بالمآل والنتيجة.

---

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، (١٥/ ٢٩٧)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٥/ ٣٥٦)، وقطب، الظلال،(٤/ ٢٢٧٦).

○ الرحمة في العبودية لله، ينعكس معنى العبودية والالتزام به على صاحبه، فيورثه رحمة ربانية للخلق، ويغدو العبد بذلك أداة لتنفيذ قدر الله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، وهي صفة صانع النهضة.

○ الرحمة في استشراف المستقبل وإزالة معيقات النهضة فيه، ومثال هذا المظهر في قتل العبد الصالح للغلام الكافر، فمقصد القتل كما ظهر على لسان العبد الصالح هو: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١]، ويفهم من هذا التوضيح أن قتل الغلام كان عين الرحمة بوالديه المؤمنين،⁽¹⁾ وظهرت الرحمة في استشراف العبد الصالح لمستقبلهما وإزالة الغلام الكافر الطاغي كي يبدلهما الله سبحانه خير منه، وكم تحتاج النهضة من نظرات استشرافية ترحم مستقبلها وتخفف من معيقاته.

○ الرحمة في حماية الثروات والكنوز، وأنموذج هذا المظهر من الرحمة برز في بناء الجدار: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]، فمن رحمة المسلم لأمته أن يبني جدران الحماية لكنوز الماضي؛ كي يورثها سليمة تامة لأبناء المستقبل، وهذا من أعظم مظاهر الرحمة التي تحتاجها النهضة وتقوم عليها.

○ الرحمة في منع الفساد وصده عن المجتمع، ففي نهاية بناء السد نسمع مقولة ذي القرنين في وصف هذا العمل: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ

---

(١) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٦/ ١٣)، وقطب، الظلال، (٤/ ٢٢٨١)، والزحيلي، الوسيط، (٢/ ١٤٤٧).

وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]، فمن رحمة الله أن هداه لكيفية بناء السد لمنع فساد يأجوج ومأجوج،(١) وفي ذلك مظهر عظيم من مظاهر الرحمة التي يجب أن تكون سمة واضحة وميزة أساسية في مسيرة الأمة وحركتها لإقامة النهضة، والمتمثلة بمنع الفساد وحماية المجتمع منه رحمة من الله.

وخلاصة القول أن قيمة الرحمة هي المظهر العام لمجتمع النهضة؛ يطلبها في كهفه إذا ضعف، ويدفع من خلالها عدوه أثناء صراعه، ويزين بها عبوديته لله، والرحمة هي ما يقيم بها المجتمع صروح مستقبله باستشرافه، وإزالة المعيقات من سبيل تزكيته، وهي ما يشكل روح حركة النهضة للمحافظة على ثرواتها، وصد الفساد عن أبنائها.

• ثانياً: قيم تنظيم مجتمع النهضة

وتتمثل بالصحبة والمسؤولية والرفق والمشاركة، وفيما يأتي تفصيل الحديث عن كل قيمة منها:

- الصحبة المنظمة لمجتمع النهضة

الصحبة هي الرفقة والتآلف بين اثنين فأكثر، وهي أبلغ من الاجتماع وأخص منه، "فكل صحبة اجتماع، وليس كل اجتماع صحبة"،(٢) وهي قيمة مهمة وأساسية لمجتمع النهضة، تربط بين أفراده، وتقرب بينهم، وتؤلف بين قلوبهم، يقول سبحانه وتعالى ممتناً بهذه النعمة على مجتمع الصحابة (لاحظ الاسم) رضي الله عنهم: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، (١٦/ ٣٢)، والرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ٥٠٠)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٥/ ٢٤٦)، والألوسي، روح المعاني، (٨/ ٣٦٣).

(٢) الأصفهاني، المفردات، (٤٦٧).

وفي سورة الكهف تظهر أشكال مختلفة من الصحبة، ترسخ هذه القيمة وتبين العناصر التي تحتاجها لتكون ميزةً لمجتمع النهضة وظاهرةً إيجابيةً فيه، ويمكن تلخيص إرشادات سورة الكهف في تكوين قيمة الصحبة في النقاط الآتية:

١. الأخوّة الإيمانية أساس الصحبة، وظهر ذلك في قصة أصحاب الكهف، أولئك الفتية الذين ألف بينهم إيمانهم، وربط بين قلوبهم ثباتهم على الدين، فتصاحبوا وتناصحوا وقاموا متفقين على كلمة واحدة:﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ [الكهف: ١٣-١٤].

٢. المال والعرض والمادية تقطع الصحبة وتؤدي إلى تنافر الأصحاب، وتجد الحديث عن هذه الحقيقة في فعل صاحب الجنتين المغتر بماله وولده وجنتيه: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾[الكهف: ٣٤].

٣. النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو واجب الصحبة، وتقرر ذلك الآيات التي بينت حديث الصاحب المؤمن لصاحب الجنتين سابق الذكر، حيث نصحه وأمره بالإيمان ونهاه عن الكفر والتكبر: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [الكهف: ٣٧-٣٩].

٤. الترفق في الطلب ومعاونة الصاحب من ضرورات الصحبة، وتؤخذ هذه القواعد من صحبة موسى عليه السلام مع فتاه الذي رافقه في رحلة البحث

عن الرجل الصالح وكان نعم الرفيق والمساعد: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الكهف: ٦٠-٦٣].

٥. الإرشاد والتعليم والصبر أركان بقاء الصحبة واستمرارها، ودليل هذه الأركان الضرورية والواجبة في حق الصحبة يستفاد من ترافق موسى عليه السلام والعبد الصالح: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الكهف: ٦٥ - ٧٠].

وهكذا يتجلى لنا كيف رسمت سورة الكهف هذه القيمة العظيمة اللازمة لبناء مجتمع النهضة وتنظيم العلاقات بين أفراده، وكيف بينت أنها تقوم على الأخوة الإيمانية، وأن واجبها التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنها تقوم على التعاون والصبر والتعليم والإرشاد بين المتصاحبين، وأن البقاء والاستمرار مرهون بالصحبة الإيمانية لا بصحبة المصالح المبنية على التنافر والتكبر والغرور، وكل هذه العناصر المكونة للصحبة من المفردات الأساسية لتنظيم بناء مجتمع النهضة وترسيخ روابطه.

- مسؤولية أفراد مجتمع النهضة

المقصود بالمسؤولية من حيث هي قيمة حسن تأدية الإنسان للتكاليف المناطة به بحسب مكانه ومقامه ومهمته، وبحسن تأديتها وإجادة أفراد النهضة لها تتشكل قوة مجتمع النهضة وشدة تماسك أجزائه وترابط هيئاته ومؤسساته وتكاملها، وإلا فانحلال المجتمع وتفككه وضعفه واضطرابه - كالحاصل في أمتنا اليوم للأسف - وبالتالي تخلفه وتبعيته لغيره وضياع نهضته هو النتيجة المتوافقة مع عدم أداء المسؤولية، وهو الثمرة المترتبة على قصورها أو ندرة وجودها.

ومسؤولية كل فرد من أفراد النهضة عن تأدية مهمته والقيام بواجبه هي المظهر الصحي والصحيح للنهضة القرآنية المرجوة، وبمقدار تمسك صناع النهضة بمسؤولياتهم وتأديتهم لأدوارهم ومهماتهم كل حسب إمكاناته وقدراته ومركزه، أقول بمثل هذه المسؤولية الفاعلة تتحقق النهضة ويتمكن مجتمعها ويستمر أداؤه ورقيه وتطوره.

وتضرب آيات سورة الكهف الكريمة أروع الأمثلة في حسن أداء قيمة المسؤولية وتحققها في حياة نماذجها المؤمنين، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

○ مسؤولية الرسالة عند النبي ﷺ، فقد بلغ عليه الصلاة والسلام الشأو الأبعد في الاستغراق في أداء رسالته، ومهمته الدعوية والاهتمام بها، حتى كان - بنفسي وأمي وأبي عليه الصلاة والسلام - يكاد يزهق نفسه من التأسف والتوجع على عدم الإيمان بدعوته ورسالته،(١) يخاطبه ربه عز وجل مخففاً عنه: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[الكهف: ٦]، وهذا

---

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، (١٧/ ٥٩٧)، والزمخشري، الكشاف، (٢/ ٧٠٤)، والرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ٤٢٦).

مثال أعلى فيما يكون عليه صاحب الرسالة من حرص على مهمته وأداء دوره في أعلى درجات التمكن والحرفية واللزوم.

○ مسؤولية الثبات على المبدأ عند فتية الكهف، فلولا أنهم كانوا مسئولين عن إيمانهم، وثبتوا عليه متحملين العزلة عن قومهم، وصابرين على وحشة الكهف، لما تم لهم تحقيق المدح والحمد من الله سبحانه، فقد أنزل سبحانه ذكرهم في القرآن المتلو إلى يوم الدين: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[الكهف: ١٣]، فمسؤوليتهم أن يعتزلوا كفر قومهم، وأن يقوموا بموقف ثابت، ويقولوا كلمة الحق: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (١٥) ﴾ [الكهف: ١٤ – ١٥]، كل ذلك أنموذج رباني لما ينبغي أن تكون عليه مسؤولية صناع النهضة في ثباتهم على المبدأ، وتحملهم لنتيجة قرار النهضة وتكاليفه.

○ مسؤولية النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الصاحب المؤمن، وهو مثال آخر في حس المسؤولية المرهف المؤدي لحق الصحبة، فرغم كفر صاحب الجنتين وغروره وتكبره على صاحبه، إلا أن ذلك لم يمنع الصاحب المؤمن من القيام بمسؤوليته وأداء مهمته ودوره في النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:(١) ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩)

---

(١) ينظر الزحيلي، الوسيط، (١٤٢٦،١٤٢٥).

فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾[الكهف: ٣٧ – ٤١].

○ مسؤولية البحث عن العلم والمعلم عند موسى عليه السلام، فها هو يجد في تحصيل المعلّم ويبحث عن سبيل الاهتداء إليه ولو احتاج أن يبحث عنه عقوداً من الزمن: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: ٦٠]، وها هو يجتهد مرة أخرى وقد لقي المعلم المرشد بالتواضع أمامه – وهو من هو – ويتلطف معه مترفقاً متأدباً ليتبعه متعلماً منه: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[الكهف: ٦٦]، وهذا هو حق المسؤولية المقتضي البحث عن الحقيقة والتزامها والاستفادة منها مهما كان مركزك ومكانتك.

○ مسؤولية العلم والعمل به عند العبد الصالح؛ إذ قام بحق العلم اللدني الذي آتاه الله له، منفذاً بدقة وإتقان لأعمال شديدة الصعوبة والأداء، من خرق وقتل وبناء، وما كانت هذه الأعمال ليقوم بها إلا مسؤول مقدر لما منح له من مهمة، ولما طلب منه من دور، فهي أعمال جليلة غير متوقعة ولا مألوفة، لكنه يمضي في أدائها بكل حرفية وإتقان مستشعراً ثقل هذه المسؤولية وحقها الواجب، وهذا هو عين المسؤولية المطلوبة لتحقيق النهضة.

○ مسؤولية القيادة والتمكين عند ذي القرنين، فهو اتبع الأسباب التي مكنه الله منها مطوفاً ومتنقلاً من مشارق الأرض إلى مغاربها لينشر العدل والحق، وليحارب الفساد والظلم، كل ذلك استجابة لنداء المسؤولية عن البشرية بما تملكه من أسباب وتمكين، وتلك هي مسؤولية النهضة تجاه الأمم الأخرى، فهي قيمة الدور والوظيفة الوجودية لأمة النهضة بتحرير شعوب الأرض وأممها من الظلم والفساد، وبنشر العدل والحق، وتحقيق النهضة القرآنية في الأرض.

وهذه النماذج توضح حقيقة هذه القيمة التي تشكل ظاهرةً حيويةً وأساسيةً للنهضة؛ فالقائد مسؤول عن أمته، والعالِم مطالب بتفعيل علمه ومسؤوليته بالعمل الحقيقي في واقع الأمة ومجتمعها، وصناع النهضة مسئولون عن دعوتهم وثباتهم عليها، وعن إرشاد الناس لها وبها، وتعليمهم مبادئها، ووارث النبوة مسؤول عن إكمال رسالته، وعن القيام بمهمته على قدر وسعه وطاقته لأداء دوره المنوط به في نهضة أمته.

- التلطف والرفق رابط مجتمع النهضة

يقول النبي ﷺ: «ما وضع الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه»(١)، فالرفق واللطف ولين الجانب والرقة قيمٌ محمودةٌ وأخلاقٌ حميدةٌ تكوّن عليها مجتمع الإسلام المتكامل المتعاون المتكاتف، وهي من أهم سمات ومظاهر المجتمع الناهض.

والمقصود بالرفق التحبب ولين الجانب والتوصل للمقصود بيسر،٢ وهو قرين اللطف، وضده العنف المتضمن للشِّدَّة والقهر وسوء التعامل والسلوك، ولذا أرشد نبينا عليه الصلوات والتسليم إلى فضيلته وتزيينه لكل ما يدخل فيه من الأمور.

وأما اللطف فهو الحركة الخفيفة وتعاطي الأمور الدقيقة، وقد يعبر عما لا تدركه الحاسة من خفايا الأفعال،(٣) وجاء وصف الله سبحانه باللطف: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، دلالة معرفته بدقيق الأمور وخافيها، وترفقه في تمكين أمره وتمام مراده سبحانه.

---

(١) رواه مسلم، الصحيح، (٤/ ٢٠٠٤/ ٢٥٩٤)، وأحمد، المسند، (٤٠/ ٣٥٣/ ٢٤٣٠٧)، وأبو داود، السنن، (٣/ ٣/ ٢٤٧٨)، والبيهقي، السنن الكبرى، (١٠/ ٣٢٥/ ٢٠٧٩٦).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، (١٠/ ١١٨).

(٣) الأصفهاني، المفردات، (٧٤٠).

وقد كان اللطف والرفق دأب الأنبياء والصالحين في دعوتهم لأقوامهم، كما كان عاملاً مهماً من عوامل بناء مجتمعات النهضة، وفيما يأتي نظرة مدققة في قيمة التلطف والرفق في قصص سورة الكهف:

○ تلطف فتية الكهف، فانسلاهم من بين ظهراني قوم الكفر، والتجاؤهم إلى الكهف ليحميهم من تعدي قومهم عليهم، بل وتوصيتهم لبعضهم بالاحتراز والتلطف إذا قابلوا أحداً من هؤلاء الكفار عندما بُعثوا من مرقدهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[الكهف: ١٩]، كل هذه مظاهر لقيمة التلطف والرفق وحسن التصرف مع العدو المصارع، وهذا ما تحتاجه النهضة في نفوس أبنائها، وبخاصةً في أول مراحل النهضة؛ مرحلة التشكل والتكوين.

○ لطف الصاحب المؤمن ورفقه في الدعوة، وتأمل في لطف كلامه وحسن صياغته لنصيحته في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾[الكهف: ٣٧ - ٤١]، وهذا إرشاد رباني لتضمين الدعوة والنصيحة لقيمة الرفق واللين والتلطف، فهي عنوان الحكمة فيها، وسبيل الموعظة الحسنة أن يدخلها اللطف والرفق بالمدعو، حتى لو كان طاغياً شديد الكفر؛ ويشهد لهذا خطاب الله سبحانه لموسى عليه السلام لما بعثه

لفرعون رسولاً: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤].

○ لطف موسى عليه السلام وأدبه في طلب العلم، يقول الله عز وجل: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾[الكهف: ٦٦]، وموسى عليه السلام كليم الله، وأحد أولي العزم، وأكثر رسول ذكر في القرآن، قارع طغيان فرعون، وعالج فساد بني إسرائيل؛ فله المكانة المرموقة، والمقام المحفوظ وعلى الرغم من هذا كله - والأحرى بسببه - يتواضع ويتلطف ويلين ويترفق بين يدي العبد الصالح سائلاً طالباً ليتعلم **جزءاً** مما يعلَمُه العبد الصالح، بل يريد أن يكون تابعاً له ليتعلم منه، فهل بعد هذا الأدب والتلطف أي درجة تفوقها، وهذه سبيل طلاب العلم والنهضة فليسلكوها !.

○ رفق العبد الصالح في التعليم والإرشاد، فتلطف موسى عليه السلام وترفقه في أدب طلب العلم؛ يقابل بتلطف العبد الصالح في إرشاده لموسى عليه السلام، ودعوته له للتمسك بالصبر، ومسامحته له وتجاوزه عن عدم صبره مرةً بعد مرة، وفي هذا غاية اللطف واللين والرفق، وكم هو حري بذوي المكانة والسيادة من علماء وأصحاب مراكز ومسؤولين أن يلتزموا هذه القيمة في سلوكهم وتصرفاتهم؛ فثَمَّ نهضة المجتمع والأمة.

○ قمة الرفق واللطف في أعمال العبد الصالح، ويمكن التمثيل على ذلك في تلطفه لبناء الجدار ليحمي كنز الغلامين اليتيمين، لكن قد يخطر بالبال سؤال مهم في هذا المقام، وهو هل في خرق السفينة لطف؟ وأين الرفق في قتل الغلام؟

وإجابة السؤال أن اللطف واللين ليس في فعل الخرق أو القتل؛ ولكنه قطعاً فيما وراء الخرق والقتل من مقاصد وأهداف، فخرق السفينة لحمايتها من الغصب والعدوان هو قمة اللطف والرفق بأصحابها المساكين، وقتل الغلام لمنع

طغيانه وكفره، وللتخفيف عن أبويه المؤمنين، هو أيضاً قمة الترفق والتلطف بأهل الإيمان، وهل هناك ما هو ألطف وأرفق من منع الظلم والتعدي في المجتمع وحماية الناس الضعفاء منه !.

○ **لطف ذي القرنين ورفقه في دعوته وأعماله**، وظهر ذلك في تلطفه بالقوم بين السدين وإشراكه لهم في مشروع بناء السد،[1] كما ظهر في تعامله مع من وجدهم عند مغرب الشمس: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ﴾[الكهف: ٨٦ – ٨٨]، فقد خيَّره الله بكيفية معاملتهم، ففرَّق بين المحسن منهم والمسيء، وقصَر عذابه على من ظلم وتعدى (وفي ذلك غاية الرفق بالمجتمع كما تبين من النقطة السابقة)، وترفق ولان وتلطف ويسّر على من آمن وعمل صالحاً في الدنيا.

والمتأمل فيما سبق من أمثلة التلطف والرفق يجد أن لطف الله بالناس ورفقه بهم مقرون بتلطفهم ورفقهم في حياتهم، فمن كانت هذه القيمة سجيته وميزته كانت نتيجته النصر والتأييد والتمكين، كأصحاب الكهف والمؤمن من الصاحبين، وموسى عليه السلام، والعبد الصالح، وذي القرنين، وبالمقابل تجد نتيجة من نزعت منهم قيمة التلطف والرفق ومآلهم الخسران والسوء، فالمستكبر يهلك، والغاصب يخسر، والطاغي يقتل، والمعتدي يفشل، والمفسد يُصَدُّ بِسَد، فأعمالهم (الكفر، الكبر، الغضب، الطغيان، الظلم، والفساد) كلها نُزِعت منها قيمة التلطف والرفق فاستحقوا ما باؤوا به.

---

[1] يأتي تفصيل ذلك في القيمة التالية بإذن الله.

وفيما سبق من ألوان اللطف وأشكال اللين والرفق، تظهر أهمية هذه القيمة وضرورتها في تكوين روابط مجتمع النهضة، وتآلف أبنائه، وحسن تعاملهم وسلوكهم مع بعضهم، وفي هذا توطيد لأسس النهضة، وتمكين لوجودها، ليصبح الرفق واللين واللطف مظاهراً حضاريةً للنهضة.

- المشاركة (نظام مشاريع النهضة)

من أهم القيم المنظمة لمجتمع النهضة هي قيمة التشارك والتفاعل ضمن مخطط مرسوم، ووفق عمل مشاريعي منظم ومرتب، تلك هي قيمة العمل الجماعي، قيمة المشاركة بين الفئات والهيئات كافة لمجتمع النهضة، قيمة المشاريع التي يقوم عليها متخصصون متمكّنون كل في الجانب المناط به بحسب علمه وتخصصه وإمكاناته وقدراته.

وهذه القيمة أضحت سمة النهضة في هذا الزمن؛ فأيما نهضة معاصرة لا تتضمن المشاريع والتشارك والعمل الجماعي فهي حركة مقضيٌّ عليها بالإخفاق والتشتت وعدم النجاح، وما كان القرآن الكريم - وسورة الكهف بخاصة - ليترك قيمة بهذه الأهمية لنهضة الأمة دون أن يشير إليها ويؤكد على أهميتها.

ولقد جاء الحديث عن هذه القيمة مبرزاً مكانتها وضرورتها للنهضة في قصة ذي القرنين وبنائه للسد، يقول الله سبحانه وتعالى واصفاً "**مشروع بناء السد**":(١) ﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٤ – ٩٧].

---

(١) ينظر الحديث عن هذا المشروع، ووصف تفاصيله عند الدقور، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، (٢١٢).

والمتأمل في هذه الآيات يرى كيف أسس ذو القرنين مشروع بناء السد بتعاونه مع القوم المحتاجين له؛ فهو قد أشركهم في البناء وجعلهم جزءاً أساساً من تنفيذه، مع أنهم في البداية كانوا يريدون رفع هذه المهمة عن كواهلهم وتكليف ذي القرنين بها مقابل دفع قسط من أموالهم له: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾[الكهف: ٩٤]، لكنه بحكمته ووعيه لكيفية الرقي بالمجتمع وتحضيره وصناعة نهضته أشركهم في هذا المشروع الحيوي والمهم للحماية من الفساد.

وانظر دليل ذلك في نسبة الأفعال التي أقيم بها هذا السد وتبادلها فيما بين ذي القرنين والقوم،⁽¹⁾ فهو استخدم الأسباب التي مكنه الله فيها ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾، وطلب معونتهم على أداء العمل ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، وأراد أن يؤدي مهمته بأن ﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾، فطلب منهم أن يحضروا له الحديد اللازم للسد ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ﴾، وقام هو بالبناء ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ ، ناداهم بأن يسهموا بالعمل ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾، ثم لما حقق المطلوب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا﴾، طلب منهم إحضار النحاس ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾، فجاء هذا البناء التشاركي والمشروع الضخم بناءً نهضوياً متيناً متقناً: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾.

تأمل هذا وتفكر في تقابل الأفعال بين (أعينوني وأجعل)، وبين (آتوني وساوى)، وأيضاً بين (انفخوا وجعله)، وكذلك بين (آتوني وأفرغ)،⁽²⁾ تجد المشاركة بين القيادة والشعب في مشروع حضاري من أهم مشاريع النهضة

---

(١) ينظر الدقور، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، (٢١٢).

(٢) الدقور، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، (٢١٢).

بقصد حماية المجتمع من الفساد، وهذا يعطي أنموذجاً لمنهجية نظام المشاريع وأهميته للنهضة.

فالشراكة بين الحكومة والشعب، والتشارك بين الوزارات والهيئات العامة والخاصة، وبين المؤسسات والأفراد، هي سمة النهضة ومظهرها الناجح، وانقطاع حبل هذه المشاركة أو انفراط عقد المشاريع في الأمة، وظهور النزعات الفردية والاحتكار والسيطرة على رؤوس الأموال ومقدرات المجتمع هو مما يؤخر نهضة الأمة ويطيل أمد تخلفها وضياعها.

وهذه التشاركية والتمشرع - إن جاز التعبير - هي القيمة المناط بها إخراج الأمة من ربقة التشتت والضعف والفقر والمديونية والتبعية، ففي الأمة ثروة بشرية ممثلة بالكوادر الهائلة الموجودة فيها من متخصصين في شتى مناحي العلوم الضرورية لنهضة الأمة، بالإضافة إلى كم هائل من ثروات أساسية رئيسة تقام بها النهضات والحضارات، كالزراعة والنفط والماء وغيرها، فإذا خططت للاستفادة من هذه الثروات ضمن مشاريع مدروسة ومنسقة فلا أظن أن إقامة النهضة منها ببعيد حينئذ بإذن الله سبحانه وتعالى.

• ثالثاً: قيم المحافظة على مقدرات النهضة

وهي متمثلة بحماية المقدرات وإزالة العقبات وشكر النعم واستشراف المستقبل، وفيما يأتي بيانها:

- حماية مقدرات النهضة وحفظ ثرواتها

إنَّ كل مكسب وثروة وكل فرد في النهضة تجب حمايته، والمحافظة عليه، وعدم إهداره. وإنَّ عدم التفريط في هذه المقدرات قلت أو كثرت، وحماية ثروات النهضة صغرت أم كبرت هو الواجب الأول على صناع النهضة والقائمين عليها.

وبالعودة لآيات سورة الكهف تبرز نماذج عملية عدة تقرر أهمية وجود هذه القيمة في مجتمع النهضة، وضرورتها لاستمراره وبقائه وتجاوزه لما يعترضه من عقبات، وفيما يأتي إطلالة على عناصر هذه القيمة الأساسية في آيات سورة الكهف وقصصها:

- حماية إنسان النهضة والمحافظة عليه، ففي ثبات فتية الكهف، ولجوئهم إلى كهفهم؛ لحماية أنفسهم وإيمانهم من القوم الكافرين، مثال يحتذى، وفيه إرشاد لصناع النهضة بتجنب المصادمة مع أعداء النهضة وبخاصة في أول طريقها وقبل اشتداد عودها، وحياة الفرد المؤمن ووجوده من أهم المقدرات والثروات الواجب المحافظة عليها، يقول نبينا عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مسلم»،(١) وإذا حفظت كرامة الإنسان وطاقته، وحرِّمت مقدراته على الاستباحة: «كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه، وماله، وعرضه»(٢)، أقول فتلك هي غاية غايات النهضة، وأهم ثمارها.

- حفظ المادة والمال قوام النهضة، والإشارة إلى هذا جاءت في قصة صاحب الجنتين الذي أهلك جنتيه وقوام حياته بشركه بالله وكفره بالبعث، والإرشاد هنا بضرورة حفظ المادة التي هي قوام النهضة والحضارة بالنظرة الإيمانية السليمة لها، وبعدم الاغترار بها؛ إذ تقع المحافظة على المال والمادة بضرورة معرفة حق الله فيها وتسخيرها بحسب النظام الرباني الاقتصادي في القرآن الكريم.

---

(١) رواه النسائي، السنن الكبرى، (٧/ ٨٢/ ٣٩٨٦)، والترمذي، السنن، (٤/ ١٦/ ١٣٩٥)، والبيهقي، السنن الكبرى، (٨/ ٤٢/ ١٥٨٦٩).

(٢) رواه الإمام مسلم، الصحيح، (٤/ ١٩٨٦/ ٢٥٦٤)، وأحمد، المسند، (١٣/ ١٥٩/ ٧٧٢٧) ، والترمذي، السنن، (٤/ ٣٢٥/ ١٩٢٧).

- حماية أرزاق المجتمع من الغصب والظلم، وظهر أنموذج هذا في خرق العبد الصالح لسفينة المساكين؛ للحيلولة بين الملك الظالم واغتصابها، ويستفاد من هذا "ضرورة المحافظة على مقدرات الحياة، وعلى أقوات الناس وحمايتها، حتى لو تطلب الأمر إخفاء ثمرتها، وإظهار عيبها؛ خوف أن يطمع فيها الغاصبون"(١).

- حفظ ثروات الأرض لأجيال المستقبل، فليست النهضة بالتي تحافظ على مقدرات العصر واليوم فحسب؛ وإنما النهضة هي التي تحافظ على هذه المقدرات والثروات وتنميها لتتسلمها الأجيال القادمة مصانة ومعتبرة، ومثال ذلك في بناء العبد الصالح للجدار لحماية كنز الغلامين اليتيمين ليستفيدا منه إذا ما بلغا أشدهما، وهذا إرشاد رباني لضرورة حفظ ثروات الأمة ومقدراتها لتتسلمها أجيال المستقبل امتداداً حضارياً للنهضة ومنجزاتها.

ومما سبق من الأمثلة يمكن أن ألخص القول بأن المحافظة على مقدرات مجتمع النهضة وثرواته البشرية والمادية، وحمايتها من الغصب والضياع، بالإيمان والعلم والعمل، إنما كل ذلك قيمة بارزة مهمة من قيم النهضة القرآنية يجب أن تظهر في مجتمع النهضة الإسلامي للمحافظة على بقائه واستمراره.

- إزالة العقبات المعيقة للنهضة

وفي مقابل القيمة السابقة الإيجابية الفاعلة لبقاء مجتمع النهضة واستمرار مسيرته، تستكمل هذه القيمة المنهج الرباني لهذه الديمومة لمجتمع النهضة، وذلك بإزالة كل ما يعترض طريق النهضة من أخطار تهدد بقاءها ووجودها وامتدادها.

---

(١) أستاذي الدكتور سليمان الدقور حفظه الله في حواري الفكري الممتد معه، في محاضرات التفسير الموضوعي في الجامعة الأردنية.

وآليات إزالة العقبات من طريق النهضة التي أرشدت إليها آيات الكتاب الحكيم كثيرة ومتعددة؛ منها الجهاد، والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الفساد، وغير ذلك، وفي سورة الكهف مثالين واضحين لكيفية إزالة العقبات المواجهة للنهضة فيما يأتي بيانهما:

○ إنهاء وجود الطغيان، فإذا اعترض طريق النهضة من يحاول تعطيلها وإرهاقها، ومن يريد استئصالها والقضاء عليها؛ فلا سبيل للنهضة إلا أن تحاربه وتحاول رده ومدافعته؛ لتمنع أذاه وضرره على وجودها، وهذا هو سبب تشريع الجهاد في سبيل الله، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨٠ – ٨١]، ومسوّغ القتل هنا هو حماية النهضة من الكفر والطغيان.⁽¹⁾

● حجر الفساد لحماية المجتمع، وفي بناء ذي القرنين للسد أكبر مثال وأجوده لكيفية حماية المجتمع بإقامة الأبنية - الحقيقية أو المجازية - الكفيلة بصد المفسدين وحجرهم عن الإضرار به، والحيلولة بينهم وبين التأثير عليه بأي سبيل أو طريق، ومن أهم واجبات الأمم الناهضة إقامة مثل هذه السدود لإزالة الأضرار التي تواجه مجتمعاتهم، فتشرع القوانين وتؤسس الهيئات، وتقيم الصروح؛ لأجل هذه القيمة العظمى، كيف لا وفيها استمرار وجود المجتمع واستقراره ونماؤه.

وبإزالة العقبات؛ هذه القيمة الكبرى من قيم المحافظة على مقدرات مجتمع النهضة يُضمَن للنهضة دوام التقدم في الحياة، والقوة في مواجهة العدو

---

(١) هذه النقطة حساسة ودقيقة، وليس المقصود منها إباحة القتل والهرج، وإنما هدفي هنا الإشارة إلى إمكانية وجود القتال والمدافعة والجهاد في طريق النهضة المطلوبة، وعند لزوم ذلك لا بد من النظر في الشروط والحيثيات، وأسلوب وحجم الاستخدام، وعدة أمور أخرى يمكن بحثها تحت عنوان الجهاد أو القتال أو ما شابه، وهو موضوع شائق وشائك من أكثر الموضوعات التي تحتاج اليوم إلى تدقيق وبحث وتأطير وتأصيل، فلعل الله أن ييسر من الباحثين من يدرس هذا الموضوع ويشفي غليل الأمة بالإجابة على تساؤلاتها فيه.

والعقبات، والثبات في الصراع الحضاري المتلازم مع وجود النهضة وتأثيرها على الأرض والإنسانية جمعاء.

- قيمة شكر النعمة للمحافظة على استمرار النهضة

شكر النعمة وحمد المُنعِم سبحانه دأب الصالحين والمصلحين وأهل الخير من البشر، وبه تحفظ النعم وتدوم، ومن خلاله تكثر الخيرات وتنمو وتزكو الثمرة وتطيب، ولكل هذا - ولأجل هذا - فإن قيمة شكر النعمة هي مظهر أساس، وسمة بارزة في مجتمع النهضة القرآني الرباني.

وفي سورة الكهف عدة نماذج لشكر النعمة تعلم كيفية إقامة نهضة الأمة على هذه القيمة البانية والحامية للمجتمع، ويظهر تطبيق هذه القيمة وأنموذجها العملي في شكر العبد الصالح لله وإرجاع الفضل له بما قام به من عظيم الأعمال: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[الكهف: ٨٢]، فلم يبطر ولم يمُنّ ولم يستكبر؛ بل أرجع الفضل لله، شاكراً وحامداً ومعترفاً بالنعمة.

وكذلك قال ذو القرنين مثلاً بمثلٍ لما أتم بناء السد وأقامه على أوثق ما تقام السدود وأمنعها: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾[الكهف: ٩٨]، فها هو في قمة مجده ومنتهى نهضته وحضارته، تجده شاكراً لله حامداً لأنعمه، متواضعاً لرحمته محتاجاً لفضله سبحانه، وهذه خاصية صناع النهضة وديدنهم.

وأما ما ورد قبل ذلك في آيات السورة من قصة صاحب الجنتين فالأنموذج السلبي الذي جاء للتحذير من تضييع هذه القيمة، وللترهيب من عواقب تركها، ولبيان أثر عدم الاعتراف بفضل المنعم وشكر نعمته سبحانه، مما يؤدي إلى هلاك

النعمة وضياع الثمرة لات حين مندم: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣)﴾ [الكهف: ٤٢ – ٤٣]، وكان الحريُّ به سماع نصيحة الصاحب المؤمن المدرك لقيمة شكر النعمة للحفاظ عليها إذ يقول لصاحبه: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا (٤١)﴾ [الكهف: ٣٩ – ٤١].

وهكذا ترسم سورة الكهف صورتين متقابلتين لهذه القيمة الواقية لمقدرات النهضة والحامية لها، صورة الشاكر للنعمة المعترف بفضل المنعم، وجزاؤه بقاء أثره ونمو ثمرته ونيل مبتغاه، وصورة الكافر بنعمة ربه المغرور بما يملك، وعاقبته الخسران والهلاك والندم، وفي هاتين الصورتين رسالة ربانية لصناع النهضة أن يختاروا طريق النماء والزكاة عبر شكر النعمة والحذر من الأخرى المهلكة الماحقة للأمة والقاضية على نهضتها.

- استشراف المستقبل ضمانة بقاء النهضة

وهي قيمة أساسية للنهضة؛ إذ عن طريقها يمكن دراسة ما قد يعترض طريق النهضة من عقبات، ومن خلالها يمكن الكشف عما تخبئه الأيام لمستقبل الأمة ونهضتها القادم القريب أو البعيد على حد سواء، والمقصود باستشراف المستقبل بوصفه قيمة من قيم النهضة هو التخطيط والإعداد لمستقبل النهضة برؤية واضحة ونظرة كاشفة.

والمقصود باستشراف المستقبل هو الالتفات إلى معطيات الحاضر ومقدماته، وإدراك ما وراءها من نتائج وغايات مستقبلية، وهو "منهج يحتاج الوعي والإدراك البالغين، ويتطلب آليات التذكر والتفكر والتدبر والمعرفة، ويستلزم التأمل، وبعد النظر، وعمق البصيرة، والتحقيق، والتدقيق"(١)، فهي بكل هذا قيمة معتبرة مبنية على علوم راسخة، وليست مجرد تخرصات، أو رجماً بالغيب.

وكل هذه المتطلبات والعناصر المتضمنة لقيمة الاستشراف تسهم في تصحيحها وإقامتها على أساس متين؛ حتى لا تكون مجرد تكهنات وتوقعات قد تصح وقد تخطئ، والجدير بالذكر هنا أنَّ الكفيل بجعلها قراءةً صحيحةً للواقع، وكشفاً حقيقياً منيراً للمستقبل، صادقاً في استشرافه وحسن استكشافه، إنما هي الإرشادات الربانية التي يجب أن تطبق لضمانة صفاء هذه القيمة وإفادتها للمجتمع، وفيما يأتي بيان هذه القواعد المؤسسة لاستشراف صحيح لمستقبل النهضة:

○ الاهتداء بنور الله سبحانه واستدعاء رحمته وإرشاده، فهؤلاء فتية الكهف يطلبون من الله أن يهيئ لهم الخير والرشد في إيوائهم إلى الكهف: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾[الكهف: ١٠]، فالمؤمن يرغب في ما عند الله، مقدماً ما يستطيعه لأجل دينه ونهضة أمته، ثم يسير بنور الله مهتدياً: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ [الكهف: ١٦]، وبهذا يكون متيقناً بأن الله سبحانه لا يضيع أجره، ولن يمنع عنه الرفق والرحمة وتهيئة الأسباب له.

---

(١) أستاذي الدكتور سليمان الدقور حفظه الله ونفع به في حواري الفكري الممتد معه.

- الثقة بما عند الله والاحتكام إلى سننه الكونية، وبرزت هذه القاعدة واضحة في قصة صاحب الجنتين، حيث تظهر ثقة صاحبه المؤمن بما عند الله في قوله محاوراً صاحبه: ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ [الكهف: ٣٩ - ٤٠]، ويظهر فيها احتكامه لسنن الله الكونية بإهلاك المفسد ونجاة المصلح في قوله: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا (٤٠) أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴾ [الكهف: ٤٠ - ٤١]، وفي النهاية حدث مصداق تلك الثقة وتحققت سنة الله مطابقة لرؤية الصاحب المؤمن: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا (٤٢) وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴾ [الكهف: ٤٢ - ٤٤]، وخلاصة القول في هذا الباب أن الالتزام بأوامر الله سبحانه، وعدم مخالفة سننه هو الكفيل بنظرة صائبة لمستقبل النهضة في الغد الآتي.

- العمل وفق تعاليم الله وهداياته، فذاك العبد الصالح يقوم بأفعال غريبة عجيبة في الظاهر، لكنها مبنية على ما علمه الله من وقائع وحوادث، وهذه النظرة المبنية على العلم اللدني الراسخ لم يستطع موسى عليه السلام الصبر عليها أو احتمالها، وذلك أنه لم يطلع على ما اطلع عليه العبد الصالح من علم، وهكذا يتقرر أن العلم هو سبيل الكشف عن المستقبل واستطلاع أخباره واستشراف حوادثه.

- تمحيص الواقع لاستخلاص حقيقة الأمور ومآلاتها، ومدار ذلك على ممارسة فن التخطيط، وإقامته على مرتكزات صحيحة من ملاحظة الظواهر المجتمعية والتوجهات العامة للناس، والبحث في حقائق الواقع ودراسة مقدماته

لاستخلاص نتائجها، ودليل ذلك في سورة الكهف هو تلك الأعمال التي قام العبد الصالح، فهي قائمة على دراسته لواقع الملك الغاصب وحقيقة الغلام الكافر وطبيعة أهل القرية الفاسدين، وبتمحيصه لمآلات سلوكهم القائمة على الظلم لمن حولهم قام بخطوات استباقية احترازية كفيلة بمنع وقوع هذا الظلم والتجاوز.

○ النظرة المستقبلية الصائبة قائمة على البحث والدراسة والتحقيق، فلم ولن ترتقي النهضة وتتطور وتؤتي أكلها وثمرتها بغير تحقيق في أسباب الانحطاط والتراجع، ودراسة بواعث الارتقاء والنهوض، وبحث السبل والطرائق الكفيلة بقيام نهضة الأمة ورقيها، ومن أهم أسس هذه الدراسات والأبحاث قراءة تاريخ الأمة، وفهم حاضرها، وإدراك حقيقة واقعها، ومعرفة السنن الكونية الربانية المهيأة لنهضتها، وهذا ما هو مبثوث في ثنايا سورة الكهف مما تتناوله هذه الدراسة من أولها إلى آخرها، فبمثلها - أسأل الله القبول - يسهم الضعفاء أمثالي بمقدار جهدهم ووسعهم لتحقيق نهضة أمتهم، وقراءة حاضرها لاستشراف نهضة مستقبلها بالبحث والدرس والتحقيق والاستنباط.

ومن خلال هذه القواعد السابقة يغدو استشراف المستقبل سبيل النهضة في تحقيق آثارها المطلوبة، وتحصيل ثمارها المرجوّة.

وفي آخر هذا المبحث لا بد من كلمة مهمّةٍ أساسيّةٍ فيه، مضمونها أنَّ ما ذكر من هذه القيم التي اجتهدت في استنباطها من آيات سورة الكهف لا تعد نهائيّة ولا قطعيَّة؛ فهي نماذج يمكن الإضافة إليها والزيادة عليها من معين آيات القرآن الكريم وسوره، كما أنها يمكن أن يتعمق البحث فيها بأكثر مما ورد، وذلك أن موضوع القيم القرآنية هو موضوع جوهريٌّ مكثّف، فالقرآن الكريم كتاب القيم لا يخلو سطر فيه ولا آية، بله ولا كلمة من قيمة مهمة لنهضة الأمة ورفعتها، أسأل الله سبحانه أن يجعلني من صنّاعها بقيمها وأركانها، وهو ولي ذلك والقادر عليه.. آمين.

المبحث الثاني: آثار النهضة الواردة في سورة الكهف

المقصود الأعلى للنهضة هو في تحققها واقعاً للأمة، ويتضمن ذلك - كما مر في فصل أهداف النهضة - تحقيق العبودية لله وصناعة إنسان النهضة وإقامة مجتمعها، ولتحقيق هذه الأهداف مظاهرٌ لا بد أن تنعكس على وجود النهضة، تلك هي ما يمثل الناتج النهائي للنهضة المتمثل في آثارها.

وفي هذا المبحث الختامي لهذه الدراسة استعراض لهذه الآثار الناتجة عن تكوّن النهضة وقيامها، وذلك في مطلبين؛ يدرس أولهما آثار هذه النهضة في الدنيا، ويبحث آخرهما في آثارها في الآخرة، وهذا بحسب ما دلت عليه آيات سورة الكهف أنموذج هذه الدراسة.

المطلب الأول: آثار النهضة الدنيوية في سورة الكهف

تحقق النهضة وجودياً على الأرض في الدنيا، وواقعاً في حياة أصحابها هو النتيجة النهائية والمقصودة لحركة النهضة وفاعليتها، ولهذا التحقق آثار تظهر في الواقع وثمار يجنيها صناع النهضة والعاملون عليها، وهي آثار متعددة وثمار متنوعة، تقاربها الدراسة في هذا المبحث وتحتاج لتقريرها وتتبع مظاهرها وإثباتها لسببين مهمين:

١. سبب دافع وباعث، بمعنى أن تكون هذه الآثار في قلب وعقل ونصب عين كل فرد من صنّاع النهضة، يسعى لإقامتها وإيجادها، باذلاً لأجل ذلك كل وسيلة من وسائل تحقيقها، مقيماً لأركانها، ومستصحباً قيمها، ومتحدياً معيقاتها.

٢. سبب تقييمي، أي أن تكون هذه الآثار ميزاناً ومعياراً لتحقق النهضة من عدمه، فمن خلال متابعة هذه الآثار وملاحظة نسبة تحققها يمكن الحكم على مقدار نجاح النهضة ونسبته في واقع الأمة.

وحريٌّ بالذكر هنا أن هذه الآثار هي الانعكاس المتشكل من تنفيذ أهداف النهضة التي تسعى الأمة لتحقيقها، ونتيجة تطبيقها لها في الواقع، فهذه الآثار كلها هي مظاهر تحقيق العبودية لله، ونتائج صناعة إنسان النهضة، وعاقبة إقامة مجتمع النهضة.

ومن خلال استعراض سورة الكهف الكريمة وبخاصةٍ قصصها الأربع؛ تنكشف طائفةٌ كبيرةٌ من الآثار التي تسعى النهضة لتحقيقها في الدنيا، إلا أنه يمكن جمعها في أربعة آثارٍ رئيسيةٍ تندرج باقي الآثار تحتها، وهي:

١. تحصيل التأييد الرباني.

٢. بروز مظاهر النهضة.

٣. تحقيق النصر.

٤. تمكين أمة النهضة.

وفيما يأتي بيان هذه الآثار بالتفصيل:

تحصيل التأييد الرباني
بروز مظاهر النهضة
تحقيق النصر
تمكين أمة النهضة

• أولاً: تحصيل التأييد الرباني

وتحصيل تأييد الله سبحانه المرتبط بتحقيق مهمّة النهضة في الأرض هو المظهر الأشمل والأثر الأوضح لإقامة النهضة وتحصيلها، وللتأييد الرباني أشكال وألوان متعددة، وفيما يأتي أشكال التأييد الرباني ومظاهره التي جاءت في ثنايا قصص سورة الكهف وآياتها:

_ اختيار الله واصطفاؤه، فهو سبحانه من استصفى أصحاب الكهف، واستخلصهم من كفر قومهم. وهو من هدى الصاحب المؤمن واختاره على صاحب الجنتين. وهو اختص العبد الصالح بعلم يربو على علم موسى كليمه عليه السلام. وهو من مكّن ذا القرنين من أسباب الأشياء. واختيار إنسان النهضة وصانعها هو أثر رباني يميزه ويرفع مرتبته على بني البشر وأبناء الأرض كلهم؛ فهو المحقّق لمهمة الخلافة، والقائم بدور الرسالة، ووارث النبوة، ورجل الأمة.

_ الربط على القلب، يقول الله سبحانه مبيناً هذا الأثر: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الكهف: ١٤]، فالربط على القلب هو تثبيت من الله وتأييد للمؤمن، وهو أثر يظهر على الساعي لتحقيق النهضة يطمئنه على صواب مسعاه، ويهدئ من روعاته، فكأنما هو البلسم المطيِّب أو المَرهم المخفف لآلام الطريق وتقلبات المحيط.

_ زيادة الهدى، وهذا الأثر ورد في قوله سبحانه: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣]، فزيادة الهدى هي الأثر المباشر لسير المؤمن في طريق الهدى، وهذه الزيادة أثرٌ ينعكس على تفاصيل حياة المؤمن، فييسر له الأمور، ويسهل عليه العقبات.

ـ مقاربة الرشد، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، فأن تتحصل على قيمة الرشد وتحوز القرب منها؛ فذلك أثرٌ واضحٌ لتحقق المطلوب: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، فمن تهيأ له الرشد ينال السعادة والراحة والطمأنينة، ويحيا الحياة الطيبة بما حازه من الرشد والهدى.

- نشر الرحمة، يقول الله عز وجل: ﴿فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الكهف: ١٦]، ونشر الرحمة من الله هو كناية عن إسباغ العطف واللطف واليسر والفرج، وعن المنح والعطاء والنعم، ومن أعظم آثار النهضة أن يتحصل أهلها على رحمة ربهم سبحانه.

- تهيئة المرفق، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، ويتضمن هذا الأثر تخفيف الأعباء عن الساعين لإقامة النهضة، والترفق بهم، وينعكس مظهر هذا الأثر في تخليص المؤمن الناهض من الذنوب والمعاصي والوقوع في الخطايا، فهو من خواص العباد.

- تحصيل الأفضل، يقول الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠]، فالله سبحانه يمنح الخير ويَضمَنُه للعامل على تحقيق نهضة أمته، فتحصيل الأفضل والأعلى، وعطاء الخير والبركة هو أثر ربانيٌّ للقائم على تحقيق النهضة لمجتمعه.

- إعانة الله وتيسيره، وهذا الأثر يرى في تأييد الله تعالى لأهل الكهف في كهفهم، وإخفاء أمرهم، وعدم استطاعة قومهم النيل منهم، ثم يظهر واضحاً في بعثه سبحانه لهم حجةً على الخلق وإثباتاً للبعث، وانظر كذلك في إعانته

للصاحب المؤمن في حواره مع صاحب الجنتين، وتأمل في تيسيره سبحانه لأمور العبد الصالح وموسى عليه السلام في رحلتهما، فكل ذلك آثارٌ لإعانة الله وتيسيره للقائمين على تحقيق نهضة أمتهم ودينهم.

وهكذا يتبين أن تأييد الله سبحانه لأمة النهضة والقائمين عليها هو أثر عظيم ورئيس من آثار النهضة في الدنيا، ويتمثل هذا الأثر في مظاهر متعددة كما تبين؛ فاختيار الله واصطفاؤه لصناع النهضة، وربطه على قلوبهم، وزيادة هداهم، وتقريبهم من الرشد، ونشر رحمته سبحانه لمجتمع النهضة، وتهيئته المرافق له، وإعانته لأفراده، وتيسيره لأمورهم، وتحصيل أمة النهضة لما هو خير وأفضل في الدنيا، كل ذلك مظاهر شتى لأثر التأييد الرباني للنهضة وصناعها.

ولا بد من الملاحظة هنا أن هذا التأييد هو غاية ووسيلة في ذات الوقت، فهو غاية من حيث هو أثرٌ لسعي المؤمن لتحقيق نهضته؛ ولكنه وسيلةٌ ومقدمةٌ لتحصيل ما يترتب على وجوده من آثار أخرى كالنصر والتمكين وبروز مظاهر النهضة على الأمة.

- **ثانياً: بروز مظاهر النهضة**

إنَّ تحصيل تأييد الله الذي سبق تفصيل جزئياته في النقطة السابقة إنما هو مقدمةٌ لظهور نهضة الأمة وتحقيقها واقعاً، مصداق قوله سبحانه في سنَّته الربانيّة الكونيّة في نهضة الأمم: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]، فتأييد الله سبحانه للمؤمنين يتبعه ظهورهم وتمكن نهضتهم، وفيما يأتي عرضٌ موجزٌ لأهم وأبرز مظاهر النهضة التي تعد معياراً لتحقق النهضة:

- أول مظاهر النهضة هو نصرها على عدوها وتمكينها في الأرض، ولأهمية هذين المظهرين والأثرين وقيمتهما فسيخصص الحديث عنهما في نقطتين منفصلتين تالياً.

- انعقاد السيادة والسلطة لأمة النهضة في مجتمعها، واستقلالية قرارها، والقدرة على تطبيق دستورها ومبدأها الأول (شرع الله المتمثل في الكتاب والسنة)، وبرزت كل هذه المظاهر جليَّةً في سورة الكهف في قصة ذي القرنين أنموذج مشروع النهضة المنجزة.

- تكامل النهضة في كل مجالاتها وشمولها لكل أنواعها، فتظهر النهضة السياسية بعنفوانها، والنهضة الفكرية برونقها، والاقتصادية بكل قوتها، والاجتماعية بكل حضارتها، ويتحقق للفرد حياته الطيبة، وللمجتمع استقراره وسعادته، وتتجلى هذه المظاهر بأروع صورها وأجملها في نهضة سليمان عليه السلام،⁽¹⁾ كما يظهر جانب منها في قصة ذي القرنين.

- إزالة الفساد والظلم وشتى أنواع المعيقات المعطلة للنهضة، فخلو مجتمع النهضة من الفساد والظلم والعنصرية والجهل والتفرق وما إلى ذلك من إشكالات إنسانية كبرى هو أهم مظاهر النهضة، وأبرز آثارها. وبدون إنهاء وحل مثل هذه الإشكالات تبقى النهضة قاصرة، ودليل هذا ماثل في أنموذج العبد الصالح الذي ضرب بأعماله المثال الأكبر لكيفية منع الظلم والفساد في المجتمع.

- أن يكون لأمة النهضة دورها المؤثر الفاعل في الأمم من حولها، بحيث تصبح رمزاً للحق والعدل والخير، وهذا هو المظهر النهائي للنهضة القرآنية بأداء دورها الإنساني ووظيفتها الربانية في إعمار الأرض وخلافة الله فيها بنشر دينه وإقامة شرعه بين البشر.

---

(١) ينظر الدقور، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، (٢١٢ - ٢١٦).

- **ثالثاً: تحقيق النصر**

وهو غاية أمة النهضة، وعاجل بشراها في الدنيا، ولهذا الأثر ثلاثة مظاهر، وهي:

- إبعاد الأذى وإعاقة التحديات، فأهم مظاهر نصر أمة النهضة يتمثل في قدرتها على مواجهة تحدياتها، وتخطيها لعقباتها، ومصارعتها لعدوها ومغالبتها له، والنظر ملياً في قصص سورة الكهف يبرز تحقق هذا في كل القصص؛ ففتية الكهف ينتصرون على قومهم بإبعاد أذاهم وعدم قدرة قومهم على النيل منهم، فأوقفوا الكفر وقلّموا أظفاره، والصاحب المؤمن لصاحب الجنتين انتصرت نظرته الإيمانية للحياة والعالم، فهزم الماديّة وأظهر خسرانها، وكذلك العبد الصالح بأعماله يجتث جذور الظلم من المجتمع، فيبعده ويبطل فاعليته، وذو القرنين أيضاً يحارب الفساد ويصارعه حتى يصده ويسد مداخله، وفي كل ذلك ترى تحقق مظاهر النصرة الربانية والنصر المبين لصناع النهضة.

- خسارة أعداء النهضة، فمن آثار النصر الرائعة رؤية المآل المعاكس لأعداء النهضة، ومن أعلى درجات النصر أن ترى هزيمة الأعداء متحققة في الواقع المعاش، ومثال هذا الأثر هلاك جنتي الصاحب الماديّ، وخيبة مسعى الملك الغاصب، وحجز يأجوج ومأجوج خلف السد، فهي مظاهرٌ تُفرِح المؤمن وتعدّ من مآثر النهضة.

- تحصيل التقدّم والتطوّر، وإقامة مجتمع النهضة القوي المتمكن، فلا يكفي للنصر أن يُهزَم العدو ونرى هزيمته متحققةً، بينما الأمة ضعيفةٌ متهالكةٌ، بل يحتاج النصر هزيمة الأمة لمشاكلها كذلك، فما فائدةُ النصر في ظل وجود الفقر أو المرض أو الجهل أو التخلف وفتكها بالأمة؟!

إنَّ تحصيل تقدّم الأمة وتطوّرها متمثل بإقامة أركانها وقيمها، وتحقيق أهدافها، ومن أهمها القضاء على تحديات النهضة الداخلية من ظلم وفساد، والانتصار على مظاهر الضعف والتفكك والتخلف المعشش في المجتمع، وبمقدار ظهور التقدم والتطور والتغلب على إشكالات مجتمع النهضة تحوز النهضة على نصرها المحقق، وهذا النصر يتأتى مقرونا - بطبيعة الحال - بمظاهر النهضة التي سبق إيرادها في بروز مظاهر النهضة في النقطة السابقة.

- **رابعاً: تمكين أمة النهضة**

فترسيخ أسس النهضة في الواقع وبناء صرح الأمة ظاهرا بين الأمم، هو الأثر الذي تطمح النهضة إلى رسمه على الأرض، ولخطّه في تاريخ العالم، وفيما يأتي مظاهر هذا الأثر:

- استطاعة تسخير الأسباب وحيازتها، فمن أهم آثار النهضة في الدنيا أن تكون الأمة قادرةً على حيازة أسباب الحياة والوجود، وأن تكون متمكنةً من تسخير ما تحتاجه من سننٍ كونيةٍ وموجوداتٍ وموادٍ لأجل تطوير نهضتها، وسعادة مجتمعها وأفراده، وهذا الأثر متمثل في أنموذج ذي القرنين قائد النهضة المتمكن من الأسباب، المطوِّف في مشارق الأرض ومغاربها متبعاً أسباب التمكين التي أعطاه الله إياها، ومستفيداً من علوم عصره ومسخّراً لها في خدمة نهضة الأمم ومنع الفساد في الأرض، وهذا من أكبر آثار النهضة، ومن أهم المظاهر الضابطة لتحقيقها، وهو أحد المعايير المقيّمة لأدائها؛ فبمقدار استطاعة الأمة تسخير أسباب الحياة وسنن الكون، وبحسب حيازتها لهذه الأسباب وتمكّنها منها يكون حجم نجاح نهضتها أو فشلها.

- القدرة على المبادرة والفاعلية، فمن أعظم آثار النهضة في الدنيا تحوُّل الأمة من أمةٍ تابعةٍ متلقيةٍ مفعولةٍ للأمم إلى أمةٍ فاعلةٍ مؤثرةٍ وسابقةٍ لغيرها في

ميدان الحضارة والتقدم، يظهر مثال ذلك وأنموذجه في أعمال العبد الصالح لمنع الظلم من المجتمع؛ من خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار. كما يبرز كذلك في نهضة ذي القرنين الذي جاب المشارق والمغارب مبادراً لنشر الإيمان والحق، وفاعلاً في تحقيق العدل ومنع الفساد، أسأل الله أن يعود للأمة دورها، وأن تحقق نهضتها لتكون قائدة الأمم، ورائدة الخير والحق في الأرض، الأرض التي طال شوقها لأمة نهضةٍ حقيقيةٍ بعد أن امتلأت فساداً وظلماً وباطلاً وادعاءً زائفاً للنهضة والحضارة.

- نشر قيم النهضة في الأرض، ومن مظاهر التمكن وآثاره أيضاً أن تكون الأمة قادرةً على نشر قيم نهضتها الربانية في الأرض، وأن تكون حاملة الراية في معركة الإنسانية، إليها يلجأ الضعيف ويحتمي حماها، ويخاف منها الأعداء ويحسبون لها الحسابات، فالأرض والإنسانية تحتاج وجود هذه الأمة الراشدة القائمة على قيم الهدى والخير، والساعية لتحقيق العدل والحق، وإبطال الضلال والشر والفساد، أسأل الله أن يعجّل في تحقيق نهضة أمتنا لتقوم بدورها.

وفي الخلاصة فإن تحصيل التأييد الرباني لأبناء النهضة ومجتمعها، وبروز مظاهر نهضتها، وتحقق نصرها وتمكنها في الأرض إنما هي آثار هذه النهضة في الدنيا؛ هي تلك الآثار التي تبعث الحماسة والفاعلية في نفوس صنّاع النهضة لكتابتها على صفحات الأرض وفي سطور التاريخ، وهي كذلك مقياس وميزان للحكم على حقيقة نهضة الأمة، ومقدار تحقيق أهدافها ونتائجها.

المطلب الثاني: الآثار الأخروية للنهضة في سورة الكهف

في صميم عقيدة الإسلام أنَّ هذه الدنيا ممر للآخرة، وأنها امتحان واختبار ستظهر نتائجه يوم القيامة، وأساس الحساب في ذلك اليوم الآخر هو العمل:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧]، وبما أن تحقيق النهضة هو أجلّ أعمال المسلم وأرجاها؛ فإن سورة الكهف أنموذج النهضة بينت الآثار الأخروية الناتجة عن القيام بمهمة تحقيق النهضة بالوجه المطلوب، كما أنها وضحت بالمقابل آثار ونتائج التقصير في أداء هذا العمل.

ولقد تحدثت سورة الكهف عن الآخرة مقررة مجموعة من الحقائق الضرورية والمهمة للاعتقاد بها، ويحسن أن تكون نصب عين صناع النهضة لتكون محفزاً لهم لنيل أحسن أجورها وللحذر من المآل السيئ فيها، وفيما يأتي بيان هذه الحقائق:

- **التأكيد على الأبدية والخلود في الآخرة:** ﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف:٣]، وأكد ذلك بقوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾]الكهف:١٠٨].

- **إثبات الآخرة والبعث فيها:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾]الكهف:٢١].

- **تفصيل الفرق في الجزاء بين المحسن والمسيء في الآخرة:** ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾]الكهف: ٢٩-٣١].

- **ذكرت غرور أهل الدنيا وعدم اعتقادهم بالآخرة:** ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا (٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦].

- **وصفت أحوال الحشر وأثبتت عدل الله وعدم ظلمه للناس بحسب كتابة أعمال العباد كل في كتابه صغر أم كبر عمله:** ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾ [الكهف: ٤٧-٤٩].

- **نبهت على ضعف موقف المشركين وضياع آمالهم في الآخرة:** ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا (٥٢) وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)﴾ [الكهف: ٥٢-٥٣].

- **وصفت مشاهد متعددة من أحداث اليوم الآخر، مع ذكر أصناف الناس فيه، وبيان جزاء كل صنف منهم:** ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا (٩٨) ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا (١٠٣) ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى

وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ٩٨-١٠٨].

وفي إرساء هذه القواعد طمأنة للمؤمن بحسن جزائه على ما قام به من أعمال الخير، وهذه القواعد والحقائق هي نفسها الحقائق والقواعد الدائمة المتواردة والمتواترة التي يقررها القرآن كله عن الآخرة، وليس في سورة الكهف خروج على سياق الآخرة في باقي سور القرآن الكريم. وإذ تقرر هذا فتبين دلالته على أن النهضة مثلها مثل غيرها من أعمال المسلم تتحقق أجورها بحسب إجادته وإتقانه وفعاليته في أدائها وإخلاصه العمل فيها لله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن انتظار هذه الأجور من الله عز وجل في الآخرة دون محاولة تلمس آثار تحقيق النهضة في الدنيا إنما هو تحايل معرفي على ذواتنا؛ ذلك أن أجور الآخرة مضمونة متحققة بإذن الله سبحانه، لا مماراة ولا مجادلة في هذا؛ لكنَّ ما يستحق الوقوف عنده هو ادعاء أن الآخرة للمؤمن في مقابل ترك الدنيا للكافر، فهذا خطأ في الاعتقاد يجر تخاذلاً وقعوداً عن تحصيل الآثار الحسنة للعمل في الدنيا.

وكما تبيّن سابقاً من استعراض آثار تحقق النهضة في الأرض من تحصيل تأييد الله سبحانه، وبروز مظاهر النهضة على أمة الإسلام، وتحقيق النصر والتمكين لها، فتأكد بذلك أن آثار النهضة المتحققة في الدنيا هي المحفزات والأهداف المقصودة والمطلوبة من السعي لتحقيق نهضة الأمة، وان التفريط فيها وانتظار تحصيل أجور الآخرة فحسب إنما هو ضعف لنا وهوان، وأن عدم القدرة على تحقيق النهضة في الدنيا لن تكون نتائجه حسنة في الآخرة: ﴿قُلْ هَلْ

نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤]، أعوذ بالله أن أكون من المتقاعسين عن نهضة الأمة، وأسأله عز وجل أن يغفر لي تقصيري، وأن يتقبل مني صالح عملي مخلصاً لوجهه الكريم، والحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين؛ عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم، وبعد...

فإن لكل وسيلة غاية، ولكل مقدمة نتيجة، وغاية هذا الكتاب التي بذلت منتهى جهدي لإخراجها في أحسن صورة، وحاولت تقديمها في أبهى حلة، ورجوت لها القبول في السماء والأرض؛ إنما هي بيان مفهوم النهضة المحدد وفق مقوماته القرآنية المستنبطة من سورة الكهف، وهذه نتيجة البحث وخلاصته التي توصلت أليها أجملها فيما يأتي:

- للنهضة رؤية متكاملة في سورة الكهف، تجلت مظاهرها في احتواء السورة على عناصر النهضة كاملة في ثنايا قصص سورة الكهف وآياتها.

- تشكلت الرؤية القرآنية للنهضة المستنبطة من سورة الكهف من عدة عناصر محددة للنهضة تمثلت بأنواع النهضة ومجالاتها وأهدافها وتحدياتها وأركانها ووسائل تحقيقها وقيمها وآثارها.

- للنهضة أنواع متعددة، تركز الحديث في سورة الكهف على أهم أربعة أنواع منها هي:
  - نهضة إيمانية تقوم على التوحيد في أساسها.
  - نهضة مادية تعتمد تقييم المادة واستثمارها بحسب ميزان الإيمان.
  - نهضة اجتماعية إصلاحية متشكلة من محاربة أنواع الظلم والفساد في المجتمع.

- نهضة سياسية عسكرية تعتبر قوام دولة النهضة وحاجز الدفاع عنها.

- للنهضة أربعة مجالات متكاملة، هي:

- أولاً: المجال الفكري التصوري المتمثل بالإيمان والعقيدة والمبادئ الراسخة.

- ثانياً: المجال العملي السلوكي المتشكل من العمل الصالح والحركة لأجل الدين.

- ثالثاً: المجال الفردي الذي يهتم بشخصية المسلم وهدف وجوده ودوره الهام في نهضة أمته.

- رابعاً: المجال الجماعي الموجه لتشكيل أمة النهضة المتماسكة المتكاملة.

- للنهضة ثلاثة أهداف رئيسة تسعى لتحقيقها، هي:

- تحقيق العبودية لله سبحانه في الأرض، بحسب إحسان العلاقة معه سبحانه من خلال التوحيد.

- صناعة إنسان النهضة، وتربيته وتزكية نفسه.

- بناء مجتمع النهضة، والمتمثل بعمران الأرض وإحسان التعامل مع موجوداتها.

- للنهضة تحديات تعيق حركتها يجب الحذر منها والتنبه لها، وهي:

- الكفر: العدو الأول لنهضة الأمة القائمة في أساسها على الإيمان كفكرة مركزية لها.

- النظرة المادية: تلك النظرة المقصورة على عرض الدنيا وزينتها.

- الظلم؛ بأشكاله وصوره المتعددة التي شرحت في مكانها من الرسالة.

- الفساد؛ بشتى أنواعه ومختلف مظاهره المضعفة للنهضة.
- إبليس؛ عدو الإنسان الأول ومحارب نهضته.

● للنهضة أركان أساسية لا تقوم إلا بها، هي:
- الإيمان / مبدأ النهضة.
- العلم / أساس النهضة.
- العمل الصالح / حركة النهضة.
- التغيير الإصلاحي / منهج النهضة.
- الإنسان / صانع النهضة.
- القرآن الكريم / مصدر النهضة.

● للنهضة وسائل متعددة لتحقيقها، توزعت إلى ست مجموعات، بالتفصيل الآتي:
- وسائل تشكيل النهضة وتكوينها (العزلة والنفرة).
- وسائل تفعيل النهضة وأدائها (الحوار والانطلاق واتباع الأسباب).
- وسائل تطبيق النهضة وتنفيذها (التخطيط والدقة في التنفيذ).
- وسائل تطوير النهضة وتقدمها (التربية والتنمية).
- وسائل دعم النهضة وتمكينها (المال والسلطة).
- وسائل تنظيم النهضة وتنسيقها (البناء والتدرج والمرحلية).

● القيم التي تشكل مظاهر النهضة القرآنية والمستنبطة ن سورة الكهف هي:
- أولاً: القيم الإيمانية للنهضة (الهدى، الحق، الرشد، الخير، الحسن، والإخلاص مع الصواب).

- ثانياً: القيم العملية للنهضة، وتوزعت إلى ثلاثة مجموعات، هي:
  - ○ قيم بناء مجتمع النهضة (الموالاة، الثبات، الصبر، والرحمة).
  - ○ قيم تنظيم مجتمع النهضة (الصحبة، المسؤولية، التلطف، والمشاركة).
  - ○ قيم المحافظة على مقدرات النهضة (حماية المقدرات وحفظ الثروات، إزالة العقبات، شكر النعمة، واستشراف المستقبل).

- للنهضة آثار تترتب على تحقيقها في الدنيا هي:
  - تحصيل التأييد الرباني، والذي شرحت أشكاله المختلفة في محلها من الرسالة.
  - بروز مظاهر النهضة، من تكامل وشمول وانتصار على المعيقات وتحقق للنهضة في الواقع.
  - النصر، وهو أحد مظاهر النهضة أفرد لأهميته.
  - التمكين، وهو نتيجة النهضة الكبرى في الدنيا.

- للعمل على إقامة النهضة أجورٌ عظيمةٌ في الآخرة.

وختاماً... فإن الموت في سبيل الله وحسن لقائه مرهون بالحياة في سبيله وتحقيق مراده في الدنيا، فأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلني من جنده في أرضه إلى أن ألقاه، وأن يستعملني في نهضة أمتي، وأن يجعلني أداة لتحقيقها في الأرض، خليفة له في عمارتها،

حاملا لإرث نبوة قدوتي محمد ﷺ، عابداً بالمنهج الذي رضيه لي،

آمين.. آمين.. آمين... وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

الملحق

قاموس الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالنهضة

الواردة في سورة الكهف

الرقم	الموضوع	الآية
١	**الإجرام**	﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ الكهف: ٤٩ ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴾الكهف: ٥٣
٢	**الأسباب**	﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴾ الكهف: ٨٤ ﴿ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴾ الكهف: ٨٥ ﴿ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴾ الكهف: ٨٩ ﴿ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴾ الكهف: ٩٢
٣	**الاستهزاء**	﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴾ الكهف: ٥٦ ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ الكهف: ١٠٦

٤	الإعراض	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ الكهف: ٥٧
٥	الافتراء	﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ الكهف: ١٥
٦	الإنذار	﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ الكهف: ٢ ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ الكهف: ٤ ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ الكهف: ٥٦ ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ الكهف: ٥٦
٧	الانطلاق	﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ الكهف: ٧١ ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ الكهف: ٧٤ ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ الكهف: ٧٧

﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ الكهف: ٢

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ الكهف: ٦

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ الكهف: ١٣

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ الكهف: ٢٩

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف: ٣٠

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ الكهف: ٥٥

﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ الكهف: ٨٠

﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ الكهف: ٨٨

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ الكهف: ١٠٧

٩	**التبشير**	﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ الكهف: ٢ ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ الكهف: ٥٦
١٠	**الحسن**	﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ الكهف: ٢ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الكهف: ٧ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف: ٣٠ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ الكهف: ٣١ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ الكهف: ٨٦ ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ الكهف: ٨٨ ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ الكهف: ١٠٤

١١	الحق	﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ الكهف: ١٣ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾ الكهف: ٢١ ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾ الكهف: ٢٩ ﴿ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴾ الكهف: ٤٤ ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴾ الكهف: ٥٦ ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴾ الكهف: ٩٨
١٢	الحوار	﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾ الكهف: ٣٤ ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴾ الكهف: ٣٧
١٣	الخير	﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴾ الكهف: ٣٦

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴾ الكهف: ٤٠

﴿ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴾ الكهف: ٤٤

﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ الكهف: ٤٦

﴿ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴾ الكهف: ٨١

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴾ الكهف: ٩٥

١٤ الرحمة

﴿ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾ الكهف: ١٠

﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾ الكهف: ١٦

﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴾ الكهف: ٥٨

﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ الكهف: ٦٥

﴿ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴾ الكهف: ٨١

﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا

		وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾ الكهف: ٨٢ ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴾ الكهف: ٩٨
١٥	**الرشد**	﴿ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾ الكهف: ١٠ ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾ الكهف: ١٧ ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾ الكهف: ٢٤ ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾ الكهف: ٦٦
١٦	**الزعم**	﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴾ الكهف: ٤٨ ﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴾ الكهف: ٥٢
١٧	**الشرك**	﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴾ الكهف: ٤ ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم

بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ الكهف: ١٥

﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ
وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾
الكهف: ٢٦

﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٣٨

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٤٢

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟
لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ الكهف: ٥٢

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ
رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف: ١١٠

١٨ الصبر ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ
أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ الكهف: ٢٨

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ الكهف: ٦٧

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ الكهف: ٦٨

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ الكهف: ٦٩

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ الكهف: ٧٢

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ الكهف: ٧٥

﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ

		صَبْرًا ﴾ الكهف: ٧٨ ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ الكهف: ٨٢
١٩	الصحبة	﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ الكهف: ٩ ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ الكهف: ٣٤ ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ الكهف: ٣٧ ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴾ الكهف: ٧٦
٢٠	الصلاح	﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ الكهف: ٢ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف: ٣٠ ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ الكهف: ٤٦

		﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ الكهف: ٨٢ ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ الكهف: ٨٨ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ الكهف: ١٠٧ ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف: ١١٠
٢١	الضلال	﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ الكهف: ١٧ ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ الكهف: ٥١ ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا (١٠٣) ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) ﴾ الكهف: ١٠٣ – ١٠٤
٢٢	الطغيان	﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ الكهف: ٨٠

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ الكهف: ١٥

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾ الكهف: ٢٩

﴿ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴾ الكهف: ٣٣

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴾ الكهف: ٣٥

﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ الكهف: ٤٩

﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾ الكهف: ٥٠

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴾ الكهف: ٥٧

﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم

		مَّوْعِدًا ﴾ الكهف: ٥٩ ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ الكهف: ٨٧
٢٤	العلم	﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ الكهف: ٥ ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ الكهف: ١٢ ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف: ١٩ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ الكهف: ٢١ ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٢

﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ الكهف: ٢٦

﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا (٦٥) ﴾ الكهف: ٦٥

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾ الكهف: ٦٦

٢٥ العمل

﴿ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴾ الكهف: ٢

﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾ الكهف: ٧

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف: ٣٠

﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ الكهف: ٤٩

﴿ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴾ الكهف: ٨٨

﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴾ الكهف: ١٠٣

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ

		ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴾ الكهف: ١٠٥ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾ الكهف: ١٠٧ ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ الكهف: ١١٠
٢٦	الغصب	﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴾ الكهف: ٧٩
٢٧	الفتوة	﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾ الكهف: ١٠ ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ الكهف: ١٣ ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴾ الكهف: ٦٠ ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴾ الكهف: ٦٢
٢٨	الفسق	﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾ الكهف: ٥٠
٢٩	القرآن	﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ الكهف: ١ ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن

تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٧

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ الكهف: ٥٤

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ الكهف: ٥٦

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ الكهف: ٥٧

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ الكهف: ١٠٥

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾ الكهف: ١٠٦

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ الكهف: ١٠٩

٣٠ **الكذب**

﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ الكهف: ٥

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ الكهف: ١٥

٣١ الكفر

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾ الكهف: ٢٩

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴾ الكهف: ٣٧

﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴾ الكهف: ٥٦

﴿ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴾ الكهف: ٨٠

﴿ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ﴾ الكهف: ١٠٠

﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ﴾ الكهف: ١٠٢

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴾ الكهف: ١٠٥

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ الكهف: ١٠٦

٣٢ المال

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ

أَحَدًا ﴾ الكهف: ١٩

﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾ الكهف: ٣٤

﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴾ الكهف: ٣٩

﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ الكهف: ٤٦

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴾ الكهف: ٧٧

﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾ الكهف: ٨٢

﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴾ الكهف: ٩٤

٣٣ الموالاة ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾ الكهف:

١٧

﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦

﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ الكهف: ٤٤

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ الكهف: ٥٠

﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾ الكهف: ١٠٢

٣٤ النسيان

﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ الكهف: ٢٤

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ الكهف: ٥٧

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ الكهف: ٦١

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ الكهف: ٦٣

﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾ الكهف: ٧٣

﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ الكهف: ١٣

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾ الكهف: ١٧

﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾ الكهف: ٢٤

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴾ الكهف: ٥٥

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴾ الكهف: ٥٧

قائمة المراجع

❖ أولاً: كتب التفسير وعلوم القرآن

١. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ)، **تفسير الألوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١ (١٦) مجلد، (تحقيق علي عبد الباري عطية)، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ.

٢. البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (ت: ٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط٣ (٦) مجلدات، (تخريج ووضع الحواشي عبد الرزاق غالب المهدي)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣. الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو (ت: ٤٤٤هـ)، **البيان في عدّ آي القرآن**، ط ١، (تحقيق غانم قدوري الحمد)، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٤. دروزة، محمد عزت، (١٣٨٣ هـ)، **التفسير الحديث**، ط٢، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

٥. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ط٣ (٢٢) مجلداً، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٤٢٠ هـ.

٦. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (ط ١ - ١٤٢٢ هـ) **التفسير الوسيط**، دمشق: دار الفكر.

٧. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: ٩٨٢هـ)، (٩) مجلدات، **تفسير أبو السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: ٣٧٣هـ)، **تفسير السمرقندي = بحر العلوم**، (٣مجلدات)، المكتبة الشاملة.

٩. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، (٤) مجلدات، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٠. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، **تفسير السيوطي = الدر المنثور**، (٨) مجلدات، دار الفكر – بيروت.

١١. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، **لباب النقول في أسباب النزول**، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

١٢. الشرقاوي، أحمد بن محمد، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، **التفسير الموضوعي لسورة الكهف**، بحث محكم، مشروع التفسير الموضوعي لسور القرآن، جامعة القصيم.

١٣. ابن الضريس، أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن يسار البجلي الرازي (ت: ٢٩٤هـ)، **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة**، ط ١، (تحقيق: غزوة بدير)، دار الفكر، دمشق – سورية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

١٤. الطبري، ابن جرير أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت: ٣١٠هـ)، **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط ١(٢٢) مجلداً، (تحقيق: أحمد محمد شاكر)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

١٥. طنطاوي، سيد محمد، (١٩٩٧م)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ط١، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع -الفجالة.

١٦. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير« تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، (٣٠) مجلداً، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

١٧. عبد الباقي، محمد فؤاد، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ط١، القاهرة: دار الحديث.

١٨. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، **تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ، ط١ (٦) مجلدات، (تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد)، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٩. الغوري، سيد عبد الماجد، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، **دراسات قرآنية للعلامة أبي الحسن الندوي**، ط١، سلسلة من تراث العلامة الندوي، دمشق: دار ابن كثير.

٢٠. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، (ت: ١٣٣٢هـ)، **تفسير القاسمي = محاسن التأويل**، ط١ (٩) مجلدات، (تحقيق محمد باسل عيون السود)، دار الكتب العلمية – بيروت - ١٤١٨ هـ.

٢١. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: ٦٧١هـ)، **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن**، ط٢ (١٠) مجلدات، (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

٢٢. قطب، سيد إبراهيم بن حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، **في ظلال القرآن (تفسير الظلال)**، ط١٧ (٦) مجلدات، ١٤١٢هـ، دار الشروق - بيروت - القاهرة.

٢٣. القيعي، محمد عبد المنعم، (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م)، **الأصلان في علوم القرآن**، ط٤، مصر: كلية أصل الدين/ جامعة الأزهر.

٢٤. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، **تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم**، ط٢ (٨) مجلدات، (تحقيق سامي بن محمد سلامة)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٢٥. المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: ١٣٧١هـ)، **تفسير المراغي**، ط١ (٣٠) جزءاً، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٢٦. مسلم، مصطفى، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، **مباحث في التفسير الموضوعي**، ط٤، الرياض: دار القلم.

٢٧. نوفل، أحمد إسماعيل، (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م)، **تفسير سورة الإسراء**، ط١، عمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم.

٢٨. النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، **أسباب نزول القرآن**، ط٢، (تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان)، دار الإصلاح – الدمام / السعودية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

❖ ثانياً: كتب الحديث

٢٩. الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ (ت: ٣٦٩هـ)، **العظمة**، ط ١، (تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري)، دار العاصمة – الرياض، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٠. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت:١٤٢٠هـ)، **سلسلة الصحيحة للألباني = سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٣١. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، **صحيح البخاري = الجامع الصحيح**، ط١، دار الشعب – القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٢. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت: ٤٥٨هـ)، **دلائل النبوة**، ط ١، (تحقيق عبد المعطي قلعجي)، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٣. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت: ٤٥٨هـ)، **السنن الكبرى**، ط ٣، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٤. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت: ٤٥٨هـ)، **شعب الإيمان**، ط ١، (حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه

مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٥. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (ت: ٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي،** ط ٢، (تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر [جـ ١، ٢]، ومحمد فؤاد عبد الباقي [جـ ٣]، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف [جـ ٤، ٥])، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٣٦. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، **المستدرك على الصحيحين،** ط ١، (تحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

٣٧. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي الدارمي البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان،** ط ٢، (تحقيق شعيب الأرناؤوط)، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٨. حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل،** ط ١، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٩. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود،** (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٤٠. ابن أبي داود، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت: ٣١٦هـ)، **دلائل النبوة،** ط ١، (تحقيق: محمد بن عبده)، الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤١. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، **مسند ابن أبي شيبة**، ط ١، (تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي)، دار الوطن – الرياض، ١٩٩٧م،

٤٢. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت: ٣٦٠هـ)، **المعجم الأوسط**، (تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد , وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني)، دار الحرمين – القاهرة.

٤٣. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: ١٤٢١هـ)، **شرح رياض الصالحين للإمام النووي**، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ.

٤٤. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، **صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

٤٥. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: ٣٠٣هـ)، **السنن الكبرى**، ط ١ ، (حققه وخرج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه شعيب الأرناؤوط، قدم له عبد الله بن عبد المحسن التركي)، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

❖ ثالثاً: كتب اللغة

٤٦. الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ط ١ ، (تحقيق: صفوان عدنان الداودي)، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ١٤١٢ هـ.

٤٧. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ط٤ ، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار)، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.

٤٨. الرازي، الإمام زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: ٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، ط ٥، (تحقيق: يوسف الشيخ محمد)، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٤٩. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، ط ١، (تحقيق: محمد باسل عيون السود)، ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٠. عمر، أحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)، **معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي**، ط١، القاهرة: عالم الكتب.

٥١. عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت: ١٤٢٤هـ)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط ١، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٥٢. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ط ١، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر - بيروت، ١٩٧٩م.

٥٣. الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، ط٨، (تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة: بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م.

٥٤. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الحموي، أبو العباس (ت:٧٧٠ هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية - بيروت.

٥٥. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة.

٥٦. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط ٣، دار صادر - بيروت، ١٤١٤ هـ.

❖ رابعاً: مراجع عامة

٥٧. الأدهمي، محمد مظفر، (١٩٨٤م)، **دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث - عصر النهضة - الثورة الفرنسية**، ط١، بغداد: الجامعة المستنصرية.

٥٨. آزاد، أبو الكلام، (١٩٧٢م) ، **ويسألونك عن ذي القرنين**، ط١، القاهرة: دار الشعب.

٥٩. البراك، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)، **شرح العقيدة الطحاوية**، ط٢، إعداد عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية.

٦٠. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، ط ٧، (تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل)، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦١. الجاحظ، أو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي (ت: ٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.

٦٢. الجمل، شوقي عطا الله، وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، (٢٠٠٠م)، **تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة**، القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات.

٦٣. حاطوم، نور الدين، (١٩٦٨م)، **تاريخ عصر النهضة الأوروبية**، بيروت: دار الفكر الحديث.

٦٤. حامد، إسماعيل، (٢٠١١م)، **ذو القرنين الملك الذي طاف بين المشرق والمغرب**، ط١، القاهرة: مكتبة النافذة.

٦٥. خالد، خالد محمد، (ت: ١٤١٦هـ)، **رجال حول الرسول**، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٦٦. الخضري، محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (ت: ١٣٤٥هـ)، **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**، ط ٢، دار الفيحاء - دمشق، ١٤٢٥ هـ.

٦٧. ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ)، **المقدمة**، ط ١، (تحقيق: عبدالله محمد درويش)، دار يعرب، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٦٨. الدقور، سليمان، (٢٠١٥م)، **القرآن ومعادلات صناعة الإنسان**، ط١، عمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم.

٦٩. سلطان، جاسم، (٢٠٠٥م)، **أداة فلسفة التاريخ**، ط٤، سلسلة أدوات القادة - المشروع الإسلامي لنهضة الأمة، مؤسسة أم القرى.

٧٠. سلطان، جاسم، (٢٠٠٥م)، **قوانين النهضة**، ط٤، سلسلة أدوات القادة - المشروع الإسلامي لنهضة الأمة، مؤسسة أم القرى.

٧١. سلطان، جاسم، (٢٠٠٥م)، **النهضة من الصحوة إلى اليقظة**، ط٤، سلسلة أدوات القادة - المشروع الإسلامي لنهضة الأمة، مؤسسة أم القرى.

٧٢. صالح، حافظ، (١٩٩٨م)، **النهضة**،ط٣، عمان: دار الينابيع.

٧٣. الطباخ، محمد راغب بن محمود، (٢٠٠٣م)، **ذو القرنين وسد الصين - من هو وأين هو؟**، ط١، (تحقيق مشهور بن حسن)،الكويت: غراس للنشر والتوزيع.

٧٤. الطيبي، عكاشة عبد المنان، **يأجوج ومأجوج: صفاتهم وعددهم ومكانهم وقصة ذي القرنين معهم**، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي.

٧٥. عارف، نصر، **مفهوم التنمية**، بحث محكّم، كلية العلوم السياسية / جامعة القاهرة / مصر.

٧٦. عزام، عبد الله (ت:١٩٨٩م)، **السرطان الأحمر**، ط١، نشر مكتبة الأقصى، عمان – الأردن، ١٩٨٠م.

٧٧. العمري، أحمد خيري، (٢٠١٠م)، **البوصلة القرآنية - إبحار مختلف بحثاً عن خريطة النهضة**، ط٣، دمشق: دار الفكر.

٧٨. الغماري، عبدالله بن الصريف الحسني، (٢٠٠٥م)، **إثمد العين ببيان نبوة الخضر واسم ذي القرنين**، ط١، (تحقيق وتعليق وتذييل عبدالله الشريف)، دار الفتح، عمان – الأردن.

٧٩. فرعون، روضة عبد الكريم، (٢٠١٤م)، **شخصية ذو القرنين، دراسة تحليلية نقدية لأبرز ما قيل في تعيينها**، ط١، الأردن: دار المقتبس.

٨٠. القصص، أحمد، (١٩٩٥م)، **أسس النهضة الراشدة**، ط١، طرابلس – لبنان: رابطة الوعي الثقافية، وبيروت – لبنان: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.

٨١. القنوجي، صديق بن حسن، (١٩٧٨م) ، **أبجد العلوم**، ط١، (تحقيق: عبد الجبار الزكار)، سوريا: وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق.

٨٢. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت: ٧٥١هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ط ٣، (تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي)، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٨٣. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، ط ١، (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٨٤. مجموعة من الباحثين، (٢٠١٢م)، **القرآن الكريم ومقومات النهضة**، ط١، أبحاث المؤتمر القرآني الثالث لجمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم.

٨٥. موسى، سلامة، (١٩٩٣)، **ما هي النهضة**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٨٦. ابن نبي، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت: ١٣٩٣هـ)، **شروط النهضة**، (محقق بإشراف ندوة مالك بن نبي)، دار الفكر: دمشق - سورية، ١٩٨٦م.

٨٧. الندوي، أبي الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (ت: ١٤٢٠هـ)، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، ط٩، دار القلم، الكويت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٨٨. نعيم، بلال، (٢٠٠٤م)، **الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد - قراءة في فكر النهضة**، بيروت: دار الهادي.

٨٩. هونكه، زيجريد، **شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوروبا)**، ط ٨، (ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي)، دار الجيل – بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٩٠. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، **الموسوعة الفقهية الكويتية**،١٤٠٤-١٤٢٧هـ.

٩١. يحيى، جلال، (١٩٨١م)، **أوروبا في العصور الحديثة**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب العربي – فرع الإسكندرية.

٩٢. يوسف، محمد خير رمضان، (١٩٩٤م)، **ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح - دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ**، سلسلة أعلام القصص القرآني، دمشق: دار القلم.

❖ خامساً: مراجع أخرى

٩٣. الموقع الإلكتروني / موقع الدرر السنية:
.(http://www.dorar.net/article/342)

٩٤. الموقع الإلكتروني (http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar) موقع معجم المعاني الجامع - معجم عربي/ عربي.

٩٥. الموقع الإلكتروني/ منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، .(http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=76)

٩٦. الموقع الإلكتروني / ويكيبيديا / الموسوعة الحرة
.(https://ar.wikipedia.org)

٩٧. النابلسي، محمد راتب، **مادة سماعية** مسجلة لتفسير القرآن كاملاً.

٩٨. النجمي، أحمد بن يحيى، **رسالة "دور المسجد في الإسلام"** من رسائل النجمي الفقهية (٢)، كتيب دعوي إرشاد.

٩٩. وحوار فكري مكثف في **مجلس علمي ممتد** مع الدكتور سليمان الدقور في محاضرات التفسير الموضوعي في الجامعة الأردنية.

الفهرس

الموضوع الصفحة

تقديم أ. د. سليمان الدقور ---------------- ٧

مقدمة ---------------- ١١

الفصل الأول: النهضة ومقوماتها في القرآن الكريم ---------------- ١٣

المبحث الأول: المفاهيم الواردة في عنوان الدراسة ---------------- ١٤

المطلب الأول: مفهوم النهضة ---------------- ١٤

المطلب الثاني: مفهوم المقومات ---------------- ٢٦

المطلب الثالث: التعريف بسورة الكهف ---------------- ٣٠

المبحث الثاني: مفهوم النهضة ومقوماتها في القرآن الكريم ---------------- ٤٦

المطلب الأول: ورود النهضة والألفاظ القريبة منها في القرآن الكريم --- ٤٦

المطلب الثاني: منهجية القرآن الكريم في تناول موضوع النهضة --- ٥٤

المطلب الثالث: تحديد مقومات النهضة في القرآن الكريم ---------------- ٦٠

المبحث الثالث: علاقة سورة الكهف بالنهضة ومنهجها في تقرير حقائق النهضة ---------------- ٧٦

المطلب الأول: علاقة سورة الكهف بالنهضة ---------------- ٧٧

المطلب الثاني: منهج سورة الكهف في تقرير حقائق النهضة ---------------- ٨٤

الفصل الثاني: مجالات النهضة وأنواعها وأهدافها وتحدياتها في سورة الكهف ٨٩

المبحث الأول: مجالات النهضة وأنواعها الواردة في سورة الكهف -- ٩٠

المطلب الأول: مجالات النهضة في سورة الكهف ---------------- ٩٠

المطلب الثاني: أنواع النهضة في سورة الكهف ---------------- ١٠٢

المبحث الثاني: أهداف النهضة المستخرجة من سورة الكهف ---------------- ١٠٨

المطلب الأول: تحقيق العبودية لله ------------------------ ١٠٩

المطلب الثاني: صناعة إنسان النهضة ---------------------- ١١٢

المطلب الثالث: إقامة مجتمع النهضة ---------------------- ١١٦

المبحث الثالث: تحديات النهضة التي بينتها سورة الكهف -------- ١٢٠

المطلب الأول: الكفر ---------------------------------- ١٢٢

المطلب الثاني: المادية -------------------------------- ١٢٦

المطلب الثالث: الظلم --------------------------------- ١٣٠

المطلب الرابع: الفساد -------------------------------- ١٣٣

المطلب الخامس: إبليس ------------------------------- ١٣٨

الفصل الثالث: أركان النهضة ووسائل تحقيقها التي قررتها سورة الكهف --- ١٤٣

المبحث الأول: أركان النهضة التي وردت في سورة الكهف ----- ١٤٣

المطلب الأول: الإيمان / مبدأ النهضة ------------------ ١٤٤

المطلب الثاني: العلم / أساس النهضة ------------------- ١٥٢

المطلب الثالث: العمل الصالح / حركة النهضة ------------ ١٦١

المطلب الرابع: التغيير الإصلاحي / منهج النهضة ---------- ١٦٧

المطلب الخامس: الإنسان / صانع النهضة ----------------- ١٧٤

المطلب السادس: القرآن الكريم / مصدر النهضة ----------- ١٧٨

المبحث الثاني: وسائل تحقيق النهضة التي أرشدت إليها سورة الكهف ١٨٥

المطلب الأول: وسائل تكوين النهضة وتشكيلها في سورة الكهف -- ١٨٦

أولاً: عزلة النهضة التكوينية -------------------------- ١٨٧

ثانياً: النفرة المشكلة للنهضة ------------------------- ١٩١

المطلب الثاني: وسائل تفعيل النهضة وأدائها في سورة الكهف ---- ١٩٤

أولاً: لسان النهضة الفاعل / الحوار -------------------- ١٩٥

ثانياً: حركة النهضة الفاعلة / الانطلاق واتباع الأسباب ------- ١٩٨

المطلب الثالث: وسائل تطبيق النهضة وتنفيذها في سورة الكهف -- ٢٠٣
أولاً: التخطيط للنهضة ---------------------------- ٢٠٤
ثانياً: الدقة في تنفيذ أعمال النهضة ---------------------- ٢٠٥
المطلب الرابع: وسائل تطوير النهضة وتقدمها في سورة الكهف --- ٢٠٨
أولاً: التربية النهضوية ---------------------------- ٢٠٩
ثانياً: التنمية النهضوية ---------------------------- ٢١٣
المطلب الخامس: وسائل دعم النهضة وتمكينها في سورة الكهف --- ٢١٦
أولاً: المال / داعم النهضة وسلاحها -------------------- ٢١٧
ثانياً: السلطة الممكنة للنهضة ------------------------- ٢١٩
المطلب السادس: وسائل تنظيم النهضة وتنسيقها في سورة الكهف-- ٢٢٣
أولاً: بناء النهضة -------------------------------- ٢٢٣
ثانياً: مرحلية النهضة وتدرجها ------------------------ ٢٢٩
الفصل الرابع: قيم النهضة وآثارها في سورة الكهف --------------- ٢٣٧
المبحث الأول: قيم النهضة التي أرشدت إليها سورة الكهف ----- ٢٣٧
المطلب الأول: القيم الإيمانية للنهضة في سورة الكهف -------- ٢٣٨
أولاً: الهدى ------------------------------------ ٢٣٨
ثانياً: الحق ------------------------------------ ٢٤١
ثالثاً: الرشد ------------------------------------ ٢٤٤
رابعاً: الخير ------------------------------------ ٢٤٦
خامساً: الحسن ---------------------------------- ٢٤٩
سادساً: الإخلاص مع الصواب ------------------------ ٢٥٢
المطلب الثاني: القيم العملية للنهضة في سورة الكهف --------- ٢٦٠
أولاً: قيم بناء مجتمع النهضة -------------------------- ٢٦١
قيمة الموالاة في مجتمع النهضة ------------------------ ٢٦١

قيمة الثبات على مبادئ النهضة ---------------------- ٢٦٥
قيمة الصبر في تحقيق النهضة ---------------------- ٢٦٧
قيمة الرحمة في مجتمع النهضة ---------------------- ٢٧٠
ثانياً: قيم تنظيم مجتمع النهضة ---------------------- ٢٧٣
الصحبة المنظمة لمجتمع النهضة ---------------------- ٢٧٣
مسؤولية أفراد مجتمع النهضة ---------------------- ٢٧٦
التلطف والرفق رابط مجتمع النهضة ---------------------- ٢٧٩
المشاركة (نظام مشاريع النهضة) ---------------------- ٢٨٣
ثالثاً: قيم المحافظة على مقدرات النهضة ---------------------- ٢٨٥
حماية مقدرات النهضة وحفظ ثرواتها ---------------------- ٢٨٥
إزالة العقبات المعيقة للنهضة ---------------------- ٢٨٧
منهج شكر النعمة للمحافظة على استمرار النهضة ---------------------- ٢٨٩
استشراف المستقبل ضمانة بقاء النهضة ---------------------- ٢٩٠
المبحث الثاني: آثار النهضة الواردة في سورة الكهف ---------------------- ٢٩٤
المطلب الأول: آثار النهضة الدنيوية في سورة الكهف ---------------------- ٢٩٤
المطلب الثاني: الآثار الأخروية للنهضة في سورة الكهف ---------------------- ٣٠٢
خاتمة ---------------------- ٣٠٧
الملحق: قاموس الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالنهضة الواردة في سورة الكهف ---------------------- ٣١١
قائمة المراجع ---------------------- ٣٣١
الفهرس ---------------------- ٣٤٣

من منشورات
جمعية المحافظة على القرآن الكريم
المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف: +٩٦٢ ٦ ٤٦٢٨٣٣٣ فاكس: +٩٦٢ ٦ ٤٦٢٨٣٣٦
ص.ب: ٩٢٥٨٩٤ - الرمز البريدي: ١١١٩٠
حسابنا لدى البنك الإسلامي الأردني / فرع الحسين (١٧٦٧١)
عمان - الأردن
www.hoffaz.org
E-mail: hoffaz@hoffaz.org

9 789957 638269